

# البلاغه العاليه

علم المعاني

تأليف  
عبد المتعال الصعيدي  
الأستاذ بكلية اللغة العربية  
من كليات الجامع الأزهر الشريف

قدم له وراجعته وأعدت فهارسه

دكتور عبد القادر هادي  
مدير قسم المخطوطات والنقش  
جامعة الأزهر

ملزم الطبع والنشر  
مكتبة الآداب ومطبعها بالجاميز ت ٣٩١٩٣٧٧  
٢٤ ميدان الأوبرا ت ٣٩٠٠٨٦٨  
المطبعة النموذجية  
١ سكة الشاذلي بالخلية الجديدة



0135822



# البيان في العجاليات

علم المعاني

تأليف

عبد المتعال الصعيدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية  
من كليات الجامعة الأزهرية

قدم له وراجعته وأعدت فهارسه

دكتور محمد الفاضل

مدير قسم البطاقة والنقش  
جامعة الأزهر

ملئتم الطبع والنشر

مكتبة الآداب ومطبعها بالجمايز ت ٣٩١٩٣٧٧

٤٤ ميدان الأوبرا ت ٣٤٠٠٨٦٨

الطبعة النموذجية

دسكة الشاهدي بالحلية الجديدة

الطبعة الثانية

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

كافة حقوق الطبع محفوظة لمكتبة الآداب

# تقديم

للدكتور عبد القادر حسين

رئيس قسم البلاغة والنقد

جامعة الأزهر

كتاب « البلاغة العالية » لفخيلة المرحوم الشيخ عبد المتعال الصديدي ، أستاذ البلاغة بجامعة الأزهر ، لم يكده يعرفه شباب الجيل من قراء هذا العصر ؛ فقد طبع منذ أكثر من نصف قرن سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وألف بعد الهجرة . وقد تلقيت دروس البلاغة على يدي هذا العالم الفاضل ، وتلمذت على كتبه الرائعة ، مثل كتاب « النظم الفني في القرآن » الذي تناول فيه أسلوب القرآن ، وروعه ، وأسرار إعجازه .

و « بغية الإيضاح » وهو شرح وتحقيق لكتاب « الإيضاح » للخطيب القزويني ( ت ٧٣٧ هـ ) الذي طبعت شهرته الآفاق ، فهو كتاب غني عن البيان ، يعرفه القاصي والداني من طلاب العربية ؛ لأنه جمع فأوعى ، وخلق عليه فضيلته بما عرف منه من دقة وبراعة ، وعمل على تخريج أشعاره وأعلامه في وقت كان يعرف فيه الإنجاز هذا العمل المصنئ :

وله أيضا مصنف باسم « دراسة كتاب في البلاغة » يسرد فيه كثيرا من المؤاخذات على شرح كتاب من كتب البلاغة الشهيرة ، فكان عفة اللسان في نقده ، كريما في أخذه ورده ؛ لأن العلم حقوقا فوق الصداقة ، وفوق الزمالة . كما أخرج إلى النور كتابا خطيرا قويا هو « سر الفصاحة » لابن سنان الحنفاجي ( ٤٦٦ هـ ) ، هذا الكتاب يعد من أمهات كتب البلاغة التي اعتمدها عليها الباحثون ، وأقاد منه القدامى والمحدثون في البلاغة العربية .

أما كتاب « البلاغة العالية » فهو ثرى بأفكاره الجديدة ، وتأملاته العديدة ، وكل فقرة من فقراته تدهوك للتأمل فيها ، وتثبتك على النظر إليها ومراجعتها ؛ لأن

( د )

المؤلف لم يلتق بأرائه اتفاقا ، وإنما استنفد فيها الفكر ، وقاب فيها الرأي ، قبل أن يخرجها إلى القارئ في صورتها المطبوعة .

والكتاب رغم صغر حجمه ، إلا أنه نفيس بمادته الغزيرة التي يفنقر إليها دارس البلاغة حين يود اقتحام ميدانها الفسيح ، فلا بد أن يكون مساحا بما في هذا الكتاب من آراء متطورة تخالف ما استقر عليه البلاغيون حصرا وراء عصر ، ليس هذا أدعاء أو تزويدا في القول ، وإنما هي حقيقة واقعة ستبينها معي أيها القارئ حين تبدأ في قراءة الصفحات الأولى من الكتاب ، وتخطو فيه بضع خطوات : ففي كل فقرة منه فكرة جريئة ، قد تتفق معه فيها أو تختلف ، وقد ترضى عنها أو تسخط عليها ، وإمكانك في كل حال احترام صاحبها ، ولا تملك إلا أن تحمل له الشناء والإعجاب .

وقد سعدت أما سعادة حين طاب مني أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب . الذي أله ذلك العلم الكبير من أعلام البلاغة في العالم العربي ، سعدت لإعادة طبع هذا الكتاب النفيس ، ليعرفه طلاب البلاغة كما عرفناه من قبل ، يعرفون كيف تكون دراسة البلاغة ، وأنها ليست مجرد نقل من هنا وهناك ، ولكنها كما أخذناها على يدي هذا الأستاذ القدير ، إحاطة وفكر وتأمل ومقارنة بين هذه وتلك من الآراء ، ثم بعد ذلك استنباط واستخراج آراء جديدة لم تكن مألوفة من قبل .

سيبصر الطلاب تلك الحقيقة حين يطلعون على هذا الكتاب في طبعته الحديثة ، ومن ثم يتاح لهم ولشباب هذا الجيل أن يناقوا فنون البلاغة على يديه ، وأن يعشقوا منهجه في مناقشة الآراء التي حفات بها كتب التراث ، فكل رأي مهما بدا لامعا براقا ، قد يكون وراءه شيء يخفى لمعانه وبريقه إذا تأملناه ، وغصنا إلى أغواره ، فترى الرأي الذي نظيه سديدا قد أصبح متافئا لا يستحق ما بذل فيه من عناء ، وقد نتوصل بعد ذلك إلى رأي جديد مبتكر .

ليس مهما أن نردد آراء السابقين أو نتكلمها ؛ بل المهم أن نستقصى ونفكر ، ونعذب ، فربما اكتشفنا شيئا لم يكشفه السابقون ، وبذلك نضيف للبلاغة آراء جديدة .

( ٥ )

هكذا كان منهج الشيخ في الدراسة والتعليم ، تلقاه عنه تلاميذه وطلابه ، وزرّدهم به في محاضراته قبل أن يضعه في هذا الكتاب ويقدمه للقراء .  
والشيخ الصميدى قد تخرج على يديه ألوف من الطلاب ، وأنا واحد من هؤلاء الطلاب الذين يدعون له بالعلم ، والسير على منهجه في تناول المسائل البلاغية .

\*\*\*

يرى المؤلف رحمه الله أن البلاغة قد مرت بأربعة أطوار :  
الطور الأول : يبتدىء من عهد الجاحظ ( ت ٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م ) إلى عهد  
عبد القاهر الجرجاني ( ت ٤٧١ هـ - ١٠٧٨ م )  
الطور الثاني : من عهد عبد القاهر إلى عهد السكاكي ( ت ٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م )  
الطور الثالث : من عصر السكاكي إلى عصر النهضة ، أى من العصور الوسطى  
إلى العصور الحديثة منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادى ، وبلغت أوج  
ازدهارها في نهاية القرن السادس عشر .  
والطور الرابع : يبتدىء من عصر النهضة إلى وقتنا هذا ،  
فالطور الثالث الذى يبتدىء من عصر السكاكي طغت فيه المسائل الفلسفية  
على الصبغة الأدبية ، كما طغت العلوم الذوقية والمنطوية على المعانيات التى تخاطب  
الوجدان وتمس المشاعر والنفوس .

أما الطور الرابع فقد درج فيه علماء البلاغة على الأخذ بطريقة العلوم الرياضية  
التي سادت منذ عصر النهضة ، من ذكر البلاغة في مسائل موجزة ، وتمريعات  
شعرية ونثرية ، وأجوبة عن هذه التمرينات ، يطلب من المتعلم معرفتها والوقوف  
عليها . ويرى عالمنا الفاضل أن استعمال الطريقة الرياضية في علوم البلاغة كانت غير  
معمودة الأثر ، كان أن طغيان الطريقة الفلسفية في عصر السكاكي كانت عديمة الجدوى ،  
فأراد أن ينأى بالقارىء الذى يود أن يأخذ حظه من البلاغة عن الطريقة الرياضية  
والطريقة الفلسفية ؛ لأن هذه وتلك سارت في مجرى غير مجرى البلاغة الأصل ،  
وخفرت أخايد عميقة أبعدت البلاغة عن تيارها الحقيقي من التذوق الفنى ، وهو  
الانساس الذى ترتكز عليه البلاغة العربية . فألف كتابه « البلاغة العالية » ، في علم

(و)

المعاني، وإن كان قد أراد للكتاب أن يشمل علوم البلاغة الثلاثة من معان وبيان وبديع، إلا أن الظروف قد حالت دون أن يكتمل الكتاب بأقسامه الثلاثة، فلم يخرج إلى النور إلا القسم الأول من علوم البلاغة.

ويبدو واضحاً أن الهدف من تأليف البلاغة العالية، أن يوضح عن فن البلاغة ما حشر فيها من المسائل التي لا تحت لإيها بصلة، والتي جلبت إليها من عصر السكاكي إلى عصر النهضة.

كما نلاحظ في هذا الكتاب بعض الخطرات النقدية — وإن كانت قليلة — كما في باب الفصل والوصل حين يتحتم على الشاعر أن يراعى المناسبة في اللفظ، فالسكامة ينبغي أن تكون ملائمة لأخواتها، تنخرط معها في رمل واحد، فإن لم تكن ملائمة، بل كانت من واد آخر لا تتفق مع بنية السكيمات التي بنى عليها البيت من الشعر، أو الفقرة في النثر، تبدو غريبة مستهجنة بين أقدامها، ويضرب أمثلة على ذلك من شعر أبي فراس وشعر الكميت، ويبين النفرة بين السكيمات، وما ينبغي أن تكون عليه من الصحة.

وهو في هذا الكتاب يحاول أن ينأى بالابحاث البلاغية عن الابحاث الأخرى المدخيلة على فن البلاغة، كالأبحاث الفلسفية والمنطقية، وخاصة الأبحاث النحوية التي يتطرق إليها العلماء في تناولهم لمسألة من مسائل البلاغة حتى امتلأت بها الكتب البلاغية، فيعمل على تفتيتها مما خلق بها من شوائب، وما خلق بها من أضرار، فيستبعد كثيراً من الأمور التي ليس للنحو فيها إلا حظ الأعراب، كحروف المعطف، والتقييد بحروف الجر، والشرط، وذكر التوابع وغيرها مما يكتفى فيها بالحكم الإعرابي وحده، يستبعد كل ذلك ليبدل ببلوه في صميم الفنون البلاغية، ويركز على الأسرار واللفائف التي يزيغ فيها الدارسون عن الصواب، كأن يقول حين يتناول بلاغة الصفة: والنعمة في النحو للتوضيح في المعارف والتخصيص في الإسكات، ومضى أريد به ذلك كان ذكره واجباً في الكلام، ولا يصح أن تبحث عنه من هذه الناحية — لأنها نحوية خالصة — وإنما تبحث عنه إذا كان الكلام يتم بدونه، فيكون ذكره لأغراض أخرى غير هذا الغرض النحوي. ص ٨٩



## ( د )

ويقول في موضع آخر د إن منزلة عطف البيان في النحو منزلة الفتى يأتي للإيضاح والتخصيص أما هنا — في البلاغة — فيؤتى بعطف البيان لأغراض منها المدح والذم . . . .

والبدل شأنه هنا شأن التوكيد ، فليس للنحو منه إلا حظ الإعراب ؛ لأنه يأتي على نية تكرار العامل . ثم يسترسل لينذكر الأغراض البلاغية للبدل فيقول : وفيه مع هذا مزية الإجمال ثم التفصيل ، ص ٩١ إلى غير ذلك .

فهو يحاول جاهدا أن يعيد ترتيب أبواب البلاغة ، ويفصلها عن غيرها من أبواب العلوم الأخرى ، بدلا من الخلط بينها ، ونظمها جميعا في سلك واحد مما تتعذر معه الرؤية الفنية ، فأدى بهذا الفصل بين علوم البلاغة وغيرها من العلوم الأخرى إلى رؤية جديدة محدودة تسير المنهج الحديث الذي يقوم على الاستقلال والتفرد ،

وفي الفصاحة والبلاغة لا يأخذ برأى الجاحظ الذي يرى أن البديع — وهو يشمل أنواع البلاغة كلها من معان وبيان وبديع — خاص بالعرب ، وأن من سواهم من شعوب الأرض قاطبة كان يجهل البديع جهلا مطلقا ، لا يأخذ بهذا الرأي ، وينصف اللغات الأخرى من تعصب الجاحظ للغة العربية ، فلغات الأخرى جالها وبلاغتها وتأثيرها ، وشأنها في ذلك شأن العربية سواء بسواء ، فتراجع خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ؛ بل إن للفرس أمثالا مثل أمثال العرب معنى وصباغة ، وربما كان اللفظ الفارسي يفوق في فصاحته اللفظ العربي ويضرب الأمثلة على ذلك . ( ص ٥ - ٦ )

هذا الإنصاف في الحكم دون التأثر بالمعاطفة سمة من سمات العلماء ، خاصة في العصر الحديث . الذي ينظر فيه العالم للمسألة نظرة علمية محايدة ، دون جري وراء عاطفة ، أو وقوع تحت تأثير معين يفسد عليه علمه وحياده :

ويرى العلماء أن البلاغة أخص من الفصاحة ، بمعنى أن كل كلام بليغ يحمل في طياته الفصاحة ، وليس كل كلام فصيح يمتد بليغا ، كالإسهاب في غير موضعه ، فالفاظه فصيحة توافرت فيها شروط الفصاحة ، إلا أنها استعملت في غير موضعها ، فعريت من البلاغة ؛ لأن البلاغة تتعلق بملاحظة أحوال المخاطب مع إيضاح

## (ح)

المعنى وتحسين اللفظ ، فإن فقد الكلام هذه الصفات ، فهو غير بليغ .

هذه الفكرة سادت عند علماء البلاغة ، وتناقلها العلماء جيلا بعد جيل ، وقرنا وراء قرن حتى صارت بمثابة قانون يعمل به ، ولا يصح التخلف عنه ، وإذا بالمؤلف ينتقد هذا الرأي الذى ساد فى كتب البلاغة كلها ، ويرى أن الكلام قد يكون بليغا ولكنه لا يعد فصيحاً ، ويضرب مثالا يؤيد به هذا القول من شعر إبراهيم بن العباس :

تم الصبا صفحا بساكنة الغصن  
ويصدح قلبي أن بهمة هبوبها  
قريبة همد بالحبيب وإنما  
هوى كل نفس حيث حل حبيبها

يقول : إن البيت الأول فصيح وبليغ ، والبيت الثانى بليغ وليس بفصيح ؛ لأنه عرى من نظامه الألفاظ وشدها وجوالتها ، يذكر هذا رأى نقلا عن أبي هلال العسكري الذى رجح عنه بعد ذلك ، ونفى عنه البلاغة والفصاحة معا . (ص ١٠)  
والحق أن الفصاحة والبلاغة لا تكون فى الألفاظ وحدها ، أو فى المعانى وحدها ، وإنما فى تركيب الجملة ونظم الكلام ، أى فى أسلوبه ، وهو الرأى الذى انتهى إليه عبد القاهر الجرجاني .

ويتحدث المؤلف عن غرابة الألفاظ التى تزدى إلى عدم الفصاحة فى الكلام ؛ وليس كل غريب عنده قبيح ؛ بل من الغريب ما هو حسن لا يقبح استعماله ، فليست الغرابة إلا وصفا طارئا يزول بالاطلاع على معناه ، وقد جاء القرآن بألفاظ غريبة استعملها قريش وقد نزل بلغتها ، ولم تؤثر هذه الغرابة فى فصاحة القرآن ، كلفظة كبراراً فى قوله تعالى ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا ﴾ نوح ٢٢ وقسورة فى قوله تعالى ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ المدثر ٥١ ،

أما الألفاظ المبتذلة ، وهى ما تسمى بالألفاظ العامة ، على النقيض من الألفاظ الغريبة ، فيرى المؤلف أنها أهون من أن تخل بفصاحة الكلام ؛ فالألفاظ العامة مثل « صبيحة الشطار » ومثل كلمة « القمل » مقامات يقتضيها المقام شأنه فى ذلك شأن ألفاظ الخاصة ، ومن أمثال الألفاظ العامة قول بشار :

(ط)

ربابة ربة البيت تصب الخل في الزيت  
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت  
وكقول أبي نواس في الرثاء :

يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي

فالغرابية أو الابتذال في الألفاظ لا تخلان بالفصاحة عنده إلا إذا وضعت  
في غير موضعها .

فشيخنا لم يتف جامداً أمام هذه الآراء الذائفة التي أخذ بها القوم ، دون أن  
يشذ واحد منهم ؛ لأنه يرى أن لكل عصر مقوماته وضرورياته في استعمال ألفاظ  
بعضها ، ولو استعملت هذه الألفاظ كما يقتضيها المقام لما أدخلت بالفصاحة ؛ بل يرى  
أنها هي الفصاحة في جوهرها ، وهذا يذكرنا بالفنون الأدبية كالفن المسرحي ،  
والفن القصصي والروائي حين يعرض الكاتب لشخصية ريفية أو شعبية ، فيضع  
على لسانها ألفاظ الريف أو الأحياء الشعبية ، إمعاناً في الواقعية ، ولكي تساعد  
هذه الألفاظ على إبراز الملامح الشخصية في جوهر الشعبي أو الريفي ، ولو وضع  
غيرها لشعرنا إزاءها بالتكلف والسماجة ، ولا شك أن هذه الرؤية التي أخذ بها  
شيخنا الصعيدي منذ أكثر من نصف قرن تدل على نظرات متطورة وأفكار تقدمية .

\*\*\*

ويتطرق المؤلف إلى علم المعاني فيذكر الفرق بينه وبين علم النحو الذي هو  
اللبنة الأولى في أساس علم المعاني ، فالنحوي ينظر في دلالة الألفاظ على معانيها من  
جهة الوضع ، وتلك دلالة عامة ، بينما البلاغي ينظر في فضيلة تلك الدلالة وما يابها ،  
وتلك دلالة خاصة ، وهذه الخصوصية من الحسن والجمال أمرواء النحو والإعراب ،  
إلا أن السكاكي ( ت ٦٢٦ هـ ) والخطيب القزويني ( ت ٦٣٧ هـ ) قد غفلا عن هذا  
الفرق بين نظر علم المعاني في الألفاظ ، ونظر علم النحو فيها ، فأدخلا كثيراً من  
معاني النحو في مباحث البلاغة ، فإذا كان النحو ينظر في وجوه الكلام من حيث  
الصحة والفساد ، فلم البلاغة ينظر فيها من حيث رجحان بعضها على بعض ، والاختلاف  
بعض هذه الألفاظ للتأثير في المعنى دون غيرها ؛ لأنها فقدت الحسن والتأثير ،  
وهذه خاصية تفرد بها علوم البلاغة دون النحو .

ثم ينحو نحو أبواب علم المعاني فيحدث عن القصر ، ويصفه بأنه باب عظيم

## ( ى )

من أبواب البلاغة ؛ لما فيه من الإيجاز والتقرير ، فقول عمرو بن كلثوم :

لنا الدنيا ومن أضجى عايها ونسبش حين نبش قادرينا

ولنا الدنيا ، هذه العبارة أفادت القصر بسبب تقديم المسند على المسند إليه ، أى الخبر على المبتدأ ، وهذا القصر يفيد الإيجاز ؛ لأن هذه الجملة بمثابة جملتين اثنتين إحداهما مثبتة ، والأخرى منفية ، أى : الدنيا لنا ، والجملة الثانية : الدنيا ليست لغيرنا .

أما التقرير فيمثل له ببيت لبديد في رثاء أخيه :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يخور ومادا بعد إذ هو ساطع

فالإنسان كائن حتى يلا أسماع الدنيا بأفعاله وأقواله ، واسمه يلج في كل سما ، وذكوره يحمرى على كل لسان ، إلا أن صورته بعد موته تختفي ، ولمعانه ينطفئ . ويصير رمادا بعد أن كان متوهجا ، هذه الصورة الحسية في تشبيه أخيه بالشهاب اللامع الذى يخبر لمعانه سريرا تؤكد وتقرر المعنى الذى قصد إليه لبديد في رثاء أخيه .

غير أن بلاغة القصر تشوبها كثرة التقسيمات التى تؤدى إلى التعقيد والإملال ، من قصر موصوف على صفة ، وقصر صفة على موصوف ، ومن قصر أفراد ، إلى قصر قلاب إلى قصر تعيين ، وهلم جرا ، وكل منها بدوره ينقسم إلى أقسام آخر ، وهكذا اتسم القصر بوفرة التقسيمات التى لا تفيد علم البلاغة ، وأشوه الغرض منها ، فهى المؤلف أن الانسياق وراء السكاكى ، ونزعته المطلقية ، وشغفه بوضع الجزئيات مدرجة تحت السكاكيات ، هى التى أدت إلى هذه التفريعات ، وجعلت البلاغيين يتوجهون في هذا المسار ، ويتبعون خطاه في هذا المجال . ( ص ٤٩ )

هذه الأقسام التى ينبغى أن يعرض عنها البلاغيون ، يعزف إليها المؤلفون . مما بحث أخرى ذكرها العلماء في القصر ، تهجن من شأن البلاغة وتذهب برواقها ؛ لأنها أحكام لغوية نحوية لا يصح أن توضع في الفن البلاغى ، كأدوات القصر ، وموقع كل من المقصور والمقصود عليه من هذه الأدوات ، وبيان جواز تقديم المقصور عليه على أداة الاستثناء أو عدم جوازه ، هذه أمور لا معنى بالبلاغة في الصميم ، وإنما يستغنى من ذلك كله بأن المقصور عليه في العطف ببل ولكن هو ما بعدهما ،

## ( ك )

والعطف بلا هو ما قبلها ، وبإلا ما بعدها ، وفي إنما هو المتأخر ، وفي التقديم هو المتقدم . وهو منهج سديد ينقضى الأبحاث البلاغية من كل ما هو دخيل عليها ، فهي لا تساند الفن البلاغى ، وإنما تشعبه وتزيد من أقسامه ، وتعمل على تفتيته ، فية ضاعف معه النفور ، ويزداد فيه الزهد ( ص ٥١ )

وحين يمرض المؤلف الجملة الاسمية والجملة الفعلية يقول : إذا كان وضع الجملة الاسمية على إقادة الاستمرار والثبوت ، ووضع الجملة الفعلية على إقادة التجدد والحدوث ، فإن الجملة الاسمية تدل على معنى أوفى مما تدل عليه الجملة الفعلية ، ولهذا ذهب بعض العلماء إلى أن الإسمية تفيد التوكيد للمعنى ، فيؤثر التعبير بالجملة الاسمية في بعض المقامات كقوله تعالى : ( ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا : سلاما ، قال : سلام ) ( هود ٦٩ ) فسلاما جملة فعلية ؛ إذ التقدير : نسلم سلاما ، والثاني : سلام ، جملة اسمية ، إذ التقدير : سلام عليكم ، كأن إبراهيم عليه السلام أراد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به ؛ أخذاً بأدب الله تعالى ( وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ) النساء ٨٦ ( ص ٥٧ ) .

وفي حديثه عن تعريف الخبر بأل : يرى أن هذا التعريف يأق لغرضين : الأول : لإقادة القصر ، أى قصر الخبر على المبتدأ كقول المتنبي :

أنت الحبيب وليكنى أعوذ به من أن أكون محبباً غير محبوب

أى : أنت الحبيب دون غيرك من الناس ادعاء ، كأن حبه لهم لا جدوى منه ولا فائدة وراهم .

الثاني : أن الخبر ظاهر لا يجهله أحد كقول الشاعر

أسود إذ ما أبدت الحرب نابها وفي سائر الدهر الغيوث المواطرو

أى لا يخفى على أحد أن هؤلاء الممدوحين فى — جميع الحالات — عدا حالة الحرب — غاية فى العطاء والجود ، كأنهم الغيث المطهر



وفى باب التقديم والتأخير ينفى المؤلف أن تكون الفاصلة القرآنية مدخلة

## (ل)

في البلاغة ، أو تأثير في الكلام ، فشان الفاصلة في مجردها من البلاغة شأن ضرورة الشعر ، وضرورة السجع ، لا تدعو إليه البلاغة ، فإذا جاءت الفاصلة في القرآن ، فلمزية لا ترجع إليها وحدها ؛ إذ هي لا تتمدى بمجرد الشكل ، ففي قوله تعالى : ﴿ قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ طه آية ٦٦ ، ٦٧

قدم الجار والمجرور في نفسه ، على الفاعل موسى ، وهذا التقديم لم يأت لمجرد الفاصلة والتناسب في الالفاظ ، وإنما جاء التقديم للاهتمام بشأن السحر ، والمبالغة في الخوف الذي استولى على نفس موسى ، والاهتمام بإثباته له ، فالقرآن الكريم لم يقدم الالفاظ أو يؤخرها لمجرد الاحتفاء بالوزن الموسيقي ، أو لتكون الآيات متوازية في أنغامها ، منسابة في أصداؤها ، فهي أمور شكلية لا يلتقي إليها النظم القرآني اهتماما ، وإنما الإعجاز القرآني كما في هذا السياق جاء ليصير الالفظة مصرا بتأثير السحر والسحرة ، وبيان الخوف الذي دب في نفس موسى ، ولم يتلأش إلا بعد أن طمأنه الله ، وشد من أزره .

هذا القول الذي نادى به المؤلف — رحمه الله — في كرون الفاصلة ليس لها أثر بلاغي ، مخالف في ذلك رأي البلاغيين قاطبة ، يعد منه جرأة محدودة ضد هذا السيل الجارف الذي يرى أن الفاصلة أساس في البلاغة ؛ بل هي سبب من أسباب الإعجاز ، كما ذهب الروائي ( ت ٣٨٦ هـ ) بأن الفاصلة بلاغة ، والاستسجاج عيب ، وعمل ذلك بأن الفاصلة تتبع المعاني ، والاستسجاج المعاني تابعة لها ، وعد الفاصلة قسما من أقسام البلاغة ، وهي أحد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم (١)

ولا شك أن تصدى الشيخ الصعدي لهذا القيار الجارف الذي دعا إلى كون الفاصلة ذات أثر عظيم في بلاغة القرآن حتى عدت من وجوه الإعجاز ، ليقف مجاهرا بأن الفاصلة ليس تحتها كبر في البلاغة العربية ، إلا إذا جاءت مشفوعة بنوع آخر من أنواع البلاغة ، كما رأى في الآيتين السابقتين ؛ لأن التقديم والتأخير لا يأتي لأجل مزينة الفاصلة وحدها .

وهكذا نرى المؤلف ينتقل من رأى خطير إلى رأى آخر أشد منه خطرا ، دون

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٨٩ — دار المعارف .

(م)

أن يبالي بالآراء التي انتشرت واستقرت على مر الأزمان ، ودون أن يكثرت بمقابل هذا القول أو ذاك ، وكل شأنه وخطره وفضله في البلاغة العربية ، لم يعبا بهذا كله ، ولم يحفل أن يقول قولا يحرق على خلاف ما استقر عليه الأمر ، وإن أغضب الفائلين والساثرين على درهم .

\*\*\*

وفي الحديث عن حروف العطف : الواو والفاء وثم ، ينحى المعاني النحوية جانبا ؛ لأن لها علاقة وطيدة بالمعنى البلاغي ، وتكاد تكون متداخلة في باب من أهم أبواب البلاغة وهو الفصل والوصل ، يقول : وها هنا أمر لا بد من التنبيه إليه في هذه الحروف ، فالواو بدالاتها على مطلق الجمع يمكن أن تحمل في كل موضع مكان غير ها من هذه الحروف ، إلا أن صوغ الكلام حينئذ تتفاوت درجة بلاغته ، وانظر إلى قوله تعالى :

( والذي هو يطعمني ويسقني ، وإذا مرضت فهو يشفيني ، والذي يجبتني ثم يحيين ) . الشعراء ٧٩ - ٨١

فلو قال قائل في موضع هذه الآيات : الذي يطعمني ويسقني ، ويمرضني ويشفيني ، ويميتني ويحيين ، لكان للكلام معنى تام ، ولكنه لا يكون كمنى الآية ؛ لأن الآية كل شيء فيها قد دُفِئ بما يناسبه ، ووقع موقع السداد منه ، فالأول عطف بالواو التي هي لمطلق الجمع ، وقدم الإطعام على الإشفاء لمرعاة حسن النظم . والثاني : عطف بالفاء ؛ لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما .

والثالث : عطف بـ ثم ؛ لأن الإحياء للبحث يكون بعد الموت بزمان طويل (ص ٩٣)

فانظر إلى دقة التعبير بحروف العطف ، فالواو وإن كانت تصلح - نحويا - أن تؤدي معنى الفاء وثم ؛ لأنها لمطلق الجمع ، فهي تفيد تأخير المعطوف على المعطوف عليه ، سواء أكان هذا التأخير بمهلة أم دون مهلة ، فهي تتضمن - إذن - معنى الفاء ، كما تتضمن معنى ثم ، وعلى الرغم من ذلك إلا أن هدم الدقة في اختيار حروف العطف ، ووضع الواو بدلا من الفاء أو ثم نفتقد منه المعنى البلاغي

(ن)

المقصود بحسن النظم ، كما أن العبارة تكون قلقة لافتقارها الدقة .

وكا يرى المؤلف أهمية التدقيق في اختيار حروف العطف يراها أيضا في التقييد بحروف الجر ، وفي إظهار بعضها على بعض ، يكشف ما فيها من لطائف وأسرار ، فقد يبدو للوهلة الأولى أنه يجوز أن نضع حرفا مكان آخر ، وأكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها الثلاثة بها ، فيجعلون مثلا ما ينبغي أن يجر بلى مجرورا بنى وهكذا ، حتى إن الأمر قد وصل بهم أن يزعموا أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، وليس الأمر كما يرى أصحاب هذه المراسم ، ولكي نرى مصداق ذلك انظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَاقِمُ إِلَيْكَ لَمَلِ هَدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ فاستعمل حرفين من حروف الجر : « على » و « في » ، ولا نستطيع أن نضع أحدهما مكان الآخر ، بل لا يحتل المراد من الآية : فاللهي بمثابة الحق الواضح ، فأدخل عليها الحرف « على » ، لأن صاحب الحق كائن مستعمل على فارس يركض به حيث شاء ، والضلal بمثابة الباطل الصريح ، فاستعمل معه الحرف « في » ، لأن صاحب الباطل كائن متخفى في ظلام لا يدري أين يتوجه ، فهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله في الكلام ، وهذه الأسرار واللطائف لا تكاد توجد إلا في القرآن ، الكريم فأعرفها وتس عليها .



وفي باب الفصل والوصل يتناول المؤلف مسائل بلاغية تتعلق بحروف العطف ، فيذكر أموراً دقيقة للغاية تغمض على المدارس المتخصصة ، فيجليها ، ويضع الحدود الفاصلة بين ما ينبغي التسليم بصحته في النحو وفساده في البلاغة ، فيذكر في التفرقة بين صحة العطف بالواو في باب الفصل والوصل ، دون صحة العطف بالغاء ، فيصح أن نقول : « خرجت من المنزل فأمرت السماء » وعندئذ يتحقق المعنى النحوي ، وهو عطف جملة على جملة أخرى جاءت عقبها دون نظر إلى اعتبار وجود الجامع بين الجملتين .

ومن ثم لا يجوز العطف في هاتين الجملتين بالواو : لافتقارهما إلى الجامع الذي



## (س)

يجمع بينهما ، ويوجد المناسبة ، فإذا قامت : « خرجت من المنزل وأمطرت السماء » افتقدنا المناسبة بين الجملتين ؛ إذ لا جامع بين إمطار السماء والخروج من المنزل ، فالمعطف بالواو هنا لا يصح ، وإن صح المعطف بالفاء ، فالواو لم تأت هنا لإفادة التضييق بين الجملتين كما يحدد معناها علم النحو ؛ بل جاءت باعتبار أنها أداة وصل لا غير ، وهذا المعنى الجامع لا يفيد غيرهما من حروف المعطف ، ولذلك فإن المعطف بالفاء غير معتبر في باب الفصل والوصل .

ثم ينتقل إلى نقطة أخرى في باب الفصل والوصل ، أشد حساسية من غيرها ؛ لأن الأمور ثبتت فيها وتجمدت دون أن يعمل أحد من جلية العلماء فكره فيها ، ويتنازلها بالبحث والتنقيب حتى يتبين خطأها أو صوابها ، فجمهور النحاة يرى أنه لا يجوز المعطف بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية ؛ لتفاوت الغرض فيهما ، فالطلب والخبر لا يجتمعان ، واسكن الشيخ الصعدي رحمه الله يعترض على هذه المصادرة ، ويفند هذا الرأي ، ويبين أن هذه الأحكام النحوية لا يصح أن يؤخذ بها في المسائل البلاغية ، فأشهر علماء النحو قاطبة على مر العصور أجاز هذا المعطف ، فقد جوز سيبويه ( ت ١٨٠ هـ ) عطف الجملتين المختلفتين بالاستفهام والخبر مثل أن تقول : « هذا زيد ومن عمرو ؟ » هذه الفسكرة التي سجلها المؤلف منذ أكثر من نصف قرن مستشهداً بسيبويه على صحة عطف الإنشاء على الخبر تعتبر شيئاً غريباً نادراً في زمننا هذا ، وأذكر أني تناولت هذه المسألة في رساتي للدكتوراه « أثر النحاة في البحث البلاغي » منذ أكثر من عشرين عاماً ، وحضرت لبحثهم العديد من الأمثلة القرآنية ، وناقشت فيها طلبية الدراسات العليا في رسائلهم الجاهلية منذ عهد قريب ، فكانوا ينظرون إلى هذه المسألة بشيء من الغرابة والدهشة ؛ لأنها جرت على غير ما ألفوه ، ولكن هذه المسألة هي التي سبق أن تناولها المرحوم الشيخ الصعدي . منذ أكثر من نصف قرن في كتابه « البلاغة العالمية » وغير ذلك كثير تراه بين صفحات الكتاب . ورحم الله الشيخ عبد المتعال الصعدي ، وطيب ثراه ، وجعل الجنة مثواه .

الدكتور عبد القادر حسين  
رئيس قسم البلاغة — جامعة الأزهر

• جمادى الأولى ١٤١١ هـ  
٢٣ / ١١ / ١٩٩٠ م



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة المؤلف

الحمد لله حمداً يليق بكماله ، ويباغ عظيم منّه وإفضاله . والصلاة والسلام على نبيه المبعوث بهجوامع السلام ، محمد سيد العرب والعجم ، وأفصح من نطق بالانهاد فيما غبر ، وفيما بقى من الزمن .

وبعد ، فإن الكلام في النصاحة والبلاغة قد مرّ إلى عصرنا هذا في أربعة أطوار : أولاً يبتدىء من عهد الجاحظ إلى عهد عبد القاهر ، وثانيها يبتدىء من عهد عبد القاهر إلى عهد السكاكي ، وثالثها يبتدىء من عهد السكاكي إلى عهد نهضتنا الحاضرة ، ورابعها يبتدىء بعد هذه النهضة إلى وقتنا هذا .

ويمتاز الطور الأول بأن الكلام فيه على الفصاحة والبلاغة كان أقرب إلى الأدب منه إلى البحث الفلسفي كما يظهر هذا بالنظر في كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ، وكتاب « الصناعتين » لأبي هلال العسكري ، وفي أشباههما من كتب هذا العهد .

ويمتاز الطور الثاني بأخذه في ذلك بشيء من البحث الفلسفي ، يسرف فيه أحياناً ويقتصد فيه أحياناً أخرى ، ويحاول مع هذا ألاّ يفسّرط في الصبغة الأدبية للطور الأول ، وأفضل مثال لهذا الطور كتابا عبد القاهر « دلائل الإيهجاز » و« أسرار البلاغة » .

ويمتاز الطور الثالث بطغيان البحث الفلسفي فيه على الصبغة الأدبية التي امتاز بها الطور الأول ، وإن كل الكلام فيه على الفصاحة والبلاغة من الناحية العلمية ، وصار فيه إلى هذه العلوم الثلاثة المهروفة .

ويمتاز الطور الرابع بمحاولة القضاء على البحث الفلسفي في هذه العلوم ، والأخذ بها في طريقة العلوم الرياضية بدل هذه الطريقة الفلسفية ، مسائل موجزة ، وتريينات شرعية وشريعة ، وأجوبة عنها مقرونة بها ، أو مطلوب من المتعلم معرفتها .

وهذه الطريقة الرياضية هي التي تنفرو الآن سائر العلوم كما كانت تنفروها الطريقة الفلسفية قبلها، ولهذا سببه من طغيان العلوم الرياضية على غيرها من العلوم بعد أن كانت الفلسفة صاحبة الطغيان على غيرها في العصور السابقة.

والذي أراه أن كل طائفة من العلوم لها طريقتهما التي تناسبهما في التعليم ، فإذا طغت عليها طريقة غيرهما لم تحدث إلا فساداً فيها ؛ فطغيان الطريقة الرياضية في علوم البلاغة غير محمود الأثر فيها ، كما أن طغيان الطريقة الفلسفية فيها غير محمود الأثر أيضاً .

ولهذا كله وجدت الحاجة شديدة إلى وضع كتابي هذا « البلاغة العالية » في علوم البلاغة الثلاثة ، ليسير بها في الطريقة اللائقة بها ، ويأخذ من غيرها بمقدار لا يظن عليها ، ويكمل تمييز مسائل هذه العلوم بعضها عن بعض ، ويوضح عنها هذه المسائل المحوية التي حقرت بينها من عهد السكاكي ومن أتى بعده ، وهذه مهمة لا أجد - فيما أعلم - أحداً حاولها قبلي ، والله أسأل أن يجعله عملاً نافعا ، وسبيلاً راشداً .

عبد المتعال الصعيدي

١٧ صفر سنة ١٣٥٥ هـ

# البلاغة والفصاحة

(١) وجودهما في سائر اللغات :

مذهب الجاحظ :

من العلماء من يذهب إلى أن البلاغة والفصاحة مما استأثرت به العربية ، ولا توجد في غيرها من اللغات ، قال الجاحظ رحمه الله : (١) ونحن أبقاك الله إذا أذهبتنا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ، فعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صدق من الديباجة الكريمة ، والرواق العجيب ، والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان أن يقول في مثل ذلك إلا في اليسير ، والتبذ القليل . ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي في أيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة ، إذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد لا يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير .

ثم قال في موضع آخر (٢) : د إن البديع أمر خاص بالعرب مقصور عليهم ، وإن سواهم من شعوب الأرض كان يجمله جهلا مطلقاً .

مذهب أبي هلال :

والإنصاف في ذلك ما ذهب إليه أبو هلال العسكري من وجود البلاغة والفصاحة في كل اللغات ؛ وفي ذلك يقول (٣) : د العجم والعرب في البلاغة سواء ، فن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج أمثلة الكتابة التي رسمها

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٣ طبعة مطبعة الفتوح الأدبية بـ مصر .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢١٢ (٣) ديوان المعاني ج ٢ ص ٨٩ طبعة مكتبة القدسي .

من اللسان الفارسي نحو لها إلى اللسان العربي ، ويدل على هذا أيضا أن تراجم  
خطاب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطاب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل  
أمثال العرب معنىً وصنعةً ، وربما كان اللفظ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ  
العربي ، من ذلك قول العرب : **دَوَّادُكَ** من كَدَّمِي عَجَبِيكَ (١) ، وقول الفرس :  
**د هرك نژاد نرود** ، واللفظ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن ،  
وقولهم **دكشندميد** ، مثل قول العربي : **من يسمع يحزن** (٢) - سواء في المعنى ،  
والفارسي أقل حروفاً - إلى أن قال - **د وایس تصدنا لهذا المعنى فيطبل فيه ، ولكن**  
**لا يبراد** أمثله في البلاغة تكون مادة اصانع الكلام . فن ذلك قول أبرويز : **د إذا**  
**نول الخولُ استیکشید الفاص** ، يبحث على طالب النباهة والتماس جلائل الأمور ،  
وقال بهرام جور : **د الحاکم یزان الله فی الارض** ، فوافق قول الله تعالى : **د والعیاء**  
**رفعها ووضع المیزان** (\*) ، يعنى العدل في الحكم ، ونحوه قول علي رضي الله عنه :  
**د السفر میزان القوم** ، وقول الآخر **د العروض میزان الشجر** ، وقول أنوشروان  
**لاینه هرمز** : **د لا یکن عندک لعمل البرغایة فی الکثرة** ، ولعل العمل الإثم غاية في القلة ،  
ووافق هذا من العربي قول الأفوه الأودي :

**والخبرُ تودادُ منه ما اقيت به      والشرُّ یکفیک منه فلما زاد**

وقال أبرويز يوماً لجنده : **د لا یسجد امرؤ منکم سیفه حتى یسجد عقله** ، وأظن  
المتنبی ألم بهذا فقال :

**الرأى قبل شجاعة الشجعان      هو أولٌ ، وهی المحلُ الثاني**

(٢) اقوال القدماء في معنائها :

ذكر القدماء أقوالاً كثيرة في معنى البلاغة والفصاحة ، ولست أدر ما كانوا كما قال

---

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل ، فمتبنته كبشة ، فعربده  
عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت **د ابني ابني** ، فأجابها أمه بهذا المثل .  
(٢) معناه أن من يسمع أخبار الناس ومعاييرهم يقع في نفسه عليهم المكروه .  
(\*) سورة الرحمن الآية ٧

بهاء الدين السبكي (١) لا يقتصرون بها حقيقة الحد ولا الرسم ، وإنما كانوا يقتصرون ذكر أوصاف البلاغة ، والتشويه ببعض ما يستحق التشويه من نواحيها .  
أرسطو :

ومن تلك الأقوال ما حكى عن أرسطو أنه قيل له : ما البلاغة ؟ فقال :  
« حسن الاستعارة » .

أكثم بن صيفي :

ومما قول أكثم بن صيفي في خطبة له : « البلاغة : الإيجاز » ،  
بعض الهند :

ومما بعض الهند : « جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواقع الفرصة » .  
ومن البصر بالحجة أن يدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان طريق الإفصاح  
وعراً ، وذلك مثل ما حكى أن عبيد الله بن زياد بن ظبيان دخل على عبد الملك  
ابن مروان وأراد أن يعتمد معه على سريره ، فقال له عبد الملك : « ما بال للعرب  
تزعم أنك لا تشبه أباك ؟ فقال عبيد الله : والله لأننا أشبهه بأبي من الليل بالليل ،  
والغراب بالغراب ، ولكن إن شئت خبرتك عن لا يشبه أباه . فقال عبد الملك :  
من ذاك ؟ قال : من لم تنضجه الأرحام ، ولم يولد لتأم ، ولم يشبه الأخوال  
والأعوام . فقال عبد الملك : ومن ذاك ؟ قال : سويد بن منجوف ، فقال  
عبد الملك : أكذلك أنت يا سويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا قال عبيد الله لسويد :  
ورأيته بك زفادى ، والله ما يسرنى بملك حتى محنر الدنم ، فقال سويد :  
وأنا والله ما يسرنى أنك نقصته إحرقاً وأنى سود النعم ، وإنما كان عرض  
بعبد الملك وكان ولد لسبعة أشهر .

ومن البصر بالحجة ما روى أن شاهراً أقام بباب معن بن زائدة حولاً  
لا يصل إليه ، فتكتب إليه رقعة ودفمها إليه :

---

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ص ١٣٠ ج ١ من شروع  
التلخيص ، المطبعة الأميرية .

إذا كان الجواد له حجاب فما فضل الجواد على البخیل  
فكتبه معن فیها :

إذا كان الجواد قليل مالٍ ولم يُعثر تملک بالحجاب  
فأنصرف الرجل يائسا ، ثم حل إليه معن عشرة آلاف درهم .

ومن أفوالهم في البلاغة ما حكى عن ابن المقفع أو غيره أنها تصوير الحق في صورة الباطل ، وتصوير الباطل في صورة الحق ، ومن تصوير الحق في صورة الباطل قول عبد الملك بن صالح في المشورة : « ما استشرت أحدا إلا تكبر عليّ وتصاغرته ، ودخلته العزة ودخلتني الذلة ، فملك بالاستجداد ؛ فإن صاحبه جليل في العيون ، مهيب في الصدور ، وإذا افتقرت إلى القول حقرتك العيون ، فتضعض شأناك ، ورجفت بك أركانك واستحقرك الصغير ، واستخف بك الكبير ، وما هن سلطان لم ينه عقله عن عقول وزرائه ، وآراء نصحاؤه . »

ومن تصوير الباطل في صورة الحق قول الجارث بن حلوة :

هيشي يحمدي<sup>(١)</sup> لا يضر<sup>(٢)</sup>ك التوك<sup>(٣)</sup> ما لا فيف جدا  
والعيش خير في ظلا ل التوك بمن عاش كسد<sup>(٤)</sup>ا  
ذم البلاغة الساجرة :

وقد يذم هذا النوع من البلاغة ، كما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « وفد إلى رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاثم ، فقال الزبرقان : يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم ، والحجاب منهم ، أخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك — يعني عمرا — فقال عمرو : أجل يا رسول الله إنه لمناخ لحوزته ، مطاع في عشيرته ، شديد المارضة فيهم ، فقال الزبرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي ، فقال عمرو : أما إن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق العطن<sup>(٤)</sup> ، كرم<sup>(٥)</sup> المروءة ، أحمق الآب ، لثم الخال ، حديث الغنسي . فرأى الكراهة في وجه رسول الله لما اختلف قوله ،

(١) الجدد : الحظ (٢) التوك : الجهل (٣) السكد : شدة العمل .  
(٤) العطن : المناخ حول المورد . (٥) واغن .



فقال : يا رسول الله رضييتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وغضبتُ فقلتُ أقبحَ ما علمتُ ، وما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الثانية . فقال رسول الله ﷺ : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة » . وأكثَرُ الناسِ يحملون هذا من النبي ﷺ على المادح لهذا البيان ، ومنهم من يجعله ذمّا له ، وقال ابن رشيقي (١) : « والذي أراه أن هذا النوع من البيان غير صحيح ، لأنه لم يجعله الباطل حقا على الحقيقة ، ولا الحق باطلا ، وإنما وصف محاسن كل شيء مرة ، ثم وصف مساوئه مرة أخرى » . وأقوال القدماء كثيرة في البلاغة ، وأما أقوالهم في الفصاحة فنادرة ، وكانت أكثرهم لا يفرّق بينهما في المعنى .

#### أفلاطون :

وقد نقل عن أفلاطون « أن الفصاحة لا تكون إلا لموجود ، والبلاغة تكون لموجود ومفروض » .

#### العاص بن عدي :

وقال العاص بن عدي : « الشجاعة قلب ركين ، والفصاحة لسان رزين ، واللسان في كلامه اللفظ ، والرزين الذي فيه نخامة وجزالة » ، وقال بعضهم : « الفصاحة تمام آلة البيان ، فهي مقصورة على اللفظ أيضا ، لأن الآلة وهي اللسان تتعلق باللفظ دون المعنى » .

#### (٣) تعريفهما :

كان القدماء يذهبون في بيان معنى كل من البلاغة والفصاحة هذه المذاهب ، إلى أن جاء عهد تدوين العلوم التي تبحث في أمرها ، فأخذ العلماء يقربون من تحديد معنهما

#### تعريف أبي هلال :

وعرّف أبو هلال العسكري البلاغة فقال (٢) : « إنها مأخوذة من قولهم : بلغت الغاية إذا انتهيت إليها ، فهي كل ما يُبْلَغُ به المعنى قلب السامع فتشكك فيه

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده ج ١ ص ١٦٥ « مطبعة هندية » .

(٢) كتاب الصناعيتين ص ٦ « طبعة الاستانة » .

في نفسه لَتَمَكَّنِيهِ في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ، . فالإبلاغة  
عنده لإيضاح المعنى وتحسين اللفظ ممّا ، وأما الفصاحة فذكر أنهم اختلفوا فيها ،  
فقال قوم : إنها مأخوذة من قولهم أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره ، وعلى هذا  
ترجع الفصاحة والبلاغة إلى معنى واحد وإن اختلف أصلهما في اللغة . وقال  
بعض العلماء : إن الفصاحة تمام آلة البيان ، وعلى هذا تكون الفصاحة مقصورة على  
اللفظ وحده ، وليكون من الكلام ما هو فصيح وليس ببلّغ ، كما يسمى الجبناء  
فصيحاً ولا يسمى بلّغاً ، لأنه يقيم الحروف ولا يقصد إلى المعنى الذي تؤديه .  
وقال قوم : إن الكلام لا يسمى فصيحاً إلا إذا كان واضح المعنى ، سهل اللفظ ،  
جميل السبك ، غير مستكره ولا متكلف ، وجمع إلى هذا غفلة وشدة جزالة ، وعلى  
هذا يكون من الكلام ما هو بلّغ وليس بفصيح ، كقول إبراهيم بن العباس :

تمر الصبّا (١) صفحاً بساكنة للفضا ويصدجُ قلبى أن يب هبوبها  
قريبه هــدٍ الحبيب وإنما هوى كل نفس حيث حلّ حبيبها  
فالبيت الأول فصيح وبلّغ ، والبيت الثانى بلّغ وليس بفصيح ، لأنه ليس  
فيه غفلة ولا شدة جزالة . ولكن أبا هلال عاد بعد هذا فذكر (٢) أن مدار الإبلاغة  
على تحسين اللفظ وحده ؛ لأن المعاني يعرفها العربى والعجمى ، والقروى والبدوى  
إنما الشأن في جودة اللفظ ، وصفاته ، مع صحة السبك والتركيب ، والحلوة من أود  
النظم والناليف ، ولا يطلب من المعنى الآن يكون صواباً ، ولا ينفع من اللفظ بهذا  
حتى يكون على تلك الأوصاف السابقة ، فإذا خلا منها لم يكن بلّغاً ، وإن بلغ  
معناه ما بلغ ؛ وهذا كقول أبى تمام :

مستسلم لله سائس أمة بدوى تجتهد ضلماً (٣) له استسلام  
فإنه صواب اللفظ ، وليس هو بحسن ولا مقبول ، وهذا بخلاف قول  
كثير غزوة :

ولما قضينا من رضى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح

(١) الصبّا : الرشح الشرقية . ويقال مر بكذا صفحاً إذا مر بجانبه ولم يؤثر فيه ،

(٢) كتاب الصنائع ص ٤٢ (٣) الجهم ضمة : الوثوب والغلبة .

وتشدت على محدب<sup>(١)</sup> المهارى رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رافع  
أخذنا بأطراف الأحاديث بينما وسالت بأعناق المطى الأباطح  
فليس تحت هذه الألفاظ كبير معنى ، ولكنها رقيقة معجبة .

تعريف عبد القاهر :

وقد اضطرب الشيخ عبد القاهر الجرجاني في أمر البلاغة والفصاحة اضطراب  
أبى هلال العسكري ، فهما مترادفان عنده قطعا ، ولكنه مرة يذهب إلى أنهما  
يرجعان إلى المعنى دون اللفظ ، ومرة يذهب إلى أنهما يرجعان إلى اللفظ دون المعنى .  
ويؤخذ من كلامه أنهما مذهبان قديمان يرى ثانيهما الجاحظ ، ويرى أولهما غيره ،  
وقد حاول الخطيب القزويني<sup>(٢)</sup> أن يجمع بين كلامي هبه الماهر في ذلك بحمل كلامه ،  
حيث نفى أن الفصاحة والبلاغة من صفات اللفظ على نفى أنهما من صفات المفردات  
من غير اعتبار التركيب ، وحيث أثبت أنهما من صفاته على أنهما من صفاته باعتبار  
إفادته المعنى عند التركيب<sup>(٣)</sup> ، وقيل إنه لا يرى الفصاحة والبلاغة في اللفظ ولا في  
المعنى ، وإنما هما عنده في نظم الكلام ، أى في الأسلوب ، والنظم عنده عبارة عن  
توخي معانى النحو فيما بين الكلام ، وذلك كالقديم والتأخير ، والذكر والحذف ،  
والتعريف والتشكيك ، وما إلى ذلك ، وهذا كما في قول إبراهيم بن العباس :

فلو إذ كتبنا دهر وأنكر صاحب  
تكون من الأهواز دارى بنتجوة ولكن مقادير جرت وأمور  
وإني لأرجو بدم هذا مجددا لأفضل ما يربحنى أخ وزير

فلا تجد ما فيه من الرنق والطلاوة إلا من أجل تقديمه الظرف الذى هو  
وإذ نبا ، على عامله الذى هو تكون ، ، وأن قال وتكون ، ولم يقل وكان ، . ثم تنكر  
الدهر وساقى هذا التشكيك في جميع ما أتى بدمه ، ثم أن قال «وأنكر صاحب» ولم  
يقول وأنكرت صاحبا ، وكل ذلك من معانى الفحو كما ترى . ولا يريد الشيخ عبد القاهر

(١) المهارى : جمع مهيبة منسوبة إلى مهرة . وحدها : مهازيلها جمع حدها .

(٢) شرح الإيضاح ج ١ ص ٢٩ ( المطبعة المحمودية التجارية )

(٣) مقدمة نقد النثر ص ٢٨ ( مطبعة دار الكتب المصرية ) .

من هذا أن المزية واجبة لهذه المعاني النحوية في أنفسها ، وإلا وجب أن يروك التذكير أبداً ، أو التعريف أبداً ، وهكذا ، وإنما يحسن ذلك عنده بإصابعه مواقفه وموافقته أغراضه ، على ما سيأتى من اعتبار المطابقة للمقتضى الحال في معنى البلاغة ، وبهذا يظهر أن اعتبار هذه المعاني عنده في الفصاحة والبلاغة غير اعتبارها في علم النحو ، فاعتبارها في البلاغة يقوم على تطبيقها على أغراضها ودواعيها في الكلام ، واعتبارها في النحو يقوم على بيانها في أنفسها ليكون الكلام صحيحاً لا خطأ فيه ، وإن كان يجب أن يعرف أن البلاغة والفصاحة لا تقومان على توخي معاني النحو وحدها ، عند عبد القاهر ، كما قيل فيما سبق ، بل تقومان عنده على ذلك وعلى غيره من الإيجاز والاطناب ، والجاز والسكناية ، وغير ذلك من المعاني البيانية والبيديعية الآتية ، وقد نال في البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة إنه لا معنى لهذه العبارات وما يجرى مجراها غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتامها فيما كانت له دلالة ، وذلك بأن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار اللفظ الذي هو أنصه به ، واكشف عنه ، وأتم له .

#### تعريف الخفاجي :

وقد ذهب ابن سنان الخفاجي (١) إلى أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، أما البلاغة فلا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني ، وعلى هذا لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثليها إنها بليغة ، وإن قيل فيها إنها فصيححة فكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل كلام فصيح بليغ ، كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه ، والفصاحة على ذلك شطر البلاغة وأحد جزأيها ، ولها شروط إذا تكاملت في الألفاظ فلا مزيد على فصاحتها ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من المدح ، وبوجود أضدادها تستحق الإطراح والذم ، وتلك الشروط تنقسم قسمين : فالأول منهما يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن يضم إليها شيء من الألفاظ وتؤلف معه ، والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض ، وقد قام كتابه على تفصيل تلك الشروط ، وبيان ما يخل بالفصاحة والبلاغة في الكلام ، وما ينسحقان به فيه .

(١) سر الفصاحة من ٥٥ « المطبعة الرحمانية »

### تعريف السكاكى :

وذهب السكاكى (١) إلى أن البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والسكناية على وجهها . وقسم الفصاحة إلى قسمين : قسم يرجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد (٢) ، وقسم يرجع إلى اللفظ وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية لا بما أحدثه المولدون ، ولا بما أخطأت فيه العامة ، وأن تكون سليمة عن التنافر . وعلى ذلك لا تكون الفصاحة عنده لازمة للبلاغة كما يرى ابن سنان الخفاجي .

### تعريف الخطيب :

وقد جاء الخطيب الفزويني بعد هؤلاء الأئمة ، ففصل في كتابه دلتخيص المفتاح ، والإيضاح ، ما أجملوه من ذلك أحسن تفصيل ، وهذبه أجل تهذيب ، فقسم الفصاحة إلى قسمين : فصاحة في الكلمة ، وفصاحة في الكلام ، أما البلاغة فلا تكون إلا في الكلام وحده .

### الفصاحة في الكلمة :

والفصاحة في الكلمة عنده خلوصها من ثلاثة أشياء : تنافر الحروف ، والغرابية ، ومخالفة القياس اللغوي .

### تنافر الحروف :

وتنافر الحروف : وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وصعوبة النطق بها ، كما روى أن أعراباً سئل عن ناقته فقال : « تركتها ترعى النهمعنع » (٣) ، وكما قال ابن جندر :

حلفتُ بما أرقلتُ حوله هَمَزَ جَلَمَةً خَلَقَتْهَا شَيْطَانُكُمْ  
وما شَبَّرَقَتْ من تَشَوُّفِيَّةٍ بها من وَحَى الجَنِّ زِيْرِيَوْمٍ (٤)

(١) مفتاح العلوم ص ٢٢٠ « المطبعة الأدبية ،

(٢) يعنى به التعقيد اللفظي ، أما التعقيد المعنوي ، فخلوص الكلام عنه يدخل عنده في البلاغة لا في الفصاحة . وسيأتى بيانها .

(٣) هو اسم شجر وقيل لأنها كلمة معاية لا أصل لها .

(٤) أرقلت : أسرعت ، والهمزجة : النفاقة السريعة ، والشيطان : الطويل ، وشبرقت : قطعت ، والتشوفية : المفازة ، والوحى : الصوت الخفى ، والزير يوم : تحكاة أصوات الجن ، وهو محل الشاهد من البيتين .

ومن ذلك لفظ مستشور في قول امرئ القيس :  
 وفرج يزين المتن أسود فاحم أبيض كقنير النخلة المتشعشع  
 غدائره مستشورات إلى العلا تفل السدأرى في مشفى وموسل (١)  
 يشبه فرعها بقنو النخلة المتراكم ، وفي ذلك خشونة ظاهرة .

وقد يغتفر اللفظ من ذلك إذا لم يكن هناك لفظ غيره يدل على معناه ، والمعول في إدراك التناظر على الذوق الصحيح وهو لا يرجع في إدراكه إلى ضابط معروف ، أو قاعدة مطردة ، وقد ذهب ابن سنان الخفاجي إلى التحويل في ذلك على مخارج الحروف ، فإذا تركبت الكلمة من حروف متباعدة المخارج كانت سهلة النطق ، وإذا تركبت من حروف متقاربة المخارج كانت ثقيلة النطق ، وهذا أمر لا يدكر تأنيده في النطق بالكلمات ولكنه غير مطرد ، وهناك كلمات كثيرة مركبة من حروف متقاربة وهي مع هذا سهلة النطق ، مثل كلمة الشجرة والجيش والقم ونحوها .

وقد يحصل ثقل النطق من طول بعض الكلمات مثل لفظ دسويداواتها (٢) في قول أبي العلي :

إن الكريم بلا كرام منهم مثل القلوب بلا مسويدها وإياها  
 ولكن ذلك لا يطرد أيضا ، وقد ورد منه غير مستثقل مثل قوله تعالى :  
 (لستخلفهم في الأرض) (٣) ، (فسيكفيهم الله) (٤) .

على أن هنا أمراً يجب ألا يغفل عنه ، وهو أن أصول الأبنية لا تحسن إلا في الثلاثي وبعض الرباعي ، أما الخماسي الأصول نحو كصمصملى وسجهمش وما جرى مجراهما فإنه قبيح ، وقد خلا القرآن الكريم من مثل ذلك إلا ما كان مستترًا من أسماء الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل ونحوها ، وقد يشغل نطق بعض

(١) الأنيث : الكثير ، والقنو : المنقود ، والمتشعل : المتراكم ، والمستشورات : المرتفعات ، والمدارى : الأمشاط .

(٢) هذا ونحوه مما معنا أيضا ؛ لأن المراد بالكلمة ما قابل المركب التام ،

(٣) سورة النور الآية ٥٥

(٤) سورة البقرة الآية ١٣٧

الأسماء الثلاثية ، مثل كلمة « الظُّش » ، وهو الموضع الحسن .

#### الغرابية :

والغرابية : أن تكون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الخالص ، بخلاف المولدين لأنه ينفى عليهم كثير مما كان مأنوس الاستعمال عند العرب ، ولا يضر هذا في فصاحته ، والغرابية تكون بسببين : أولهما أن تكون الكلمة بحيث يحتاج في معرفة معناها إلى بحث وتنقيب فكذب اللغة ، كما روى عن عيسى بن عمر النخعي أنه سقط عن حمارة فاجتمع عليه الناس فقال لهم : « ما لكم تكأ كأتهم على » تكأ كؤ كؤكم على ذي جنة ١٩ افرنقوا غو ، (١) .

وكقول تأبط شراً يصف ابن غم له بكثرة الترسل :

يظلُّ بمروية ويُسَمَّى بغيرها جحيشاً ويعرورى ظهور المسالك (٢)

#### وكقول المتنبي :

وما أرضى لقلته بحلمٍ إذا انتهتْ نومه ابتشاً ككتا (٣)

ومنى كانت الكلمة بهذا الوصف فإنها تكون غير فصيحة ولو أصبح معناها معروفا لنا بعد البحث والتنقيب عنه ، والمدار في غرابية الكلمة على عدم ظهور المعنى الموضوع له فلا يدخل في ذلك التشابه القرآن الكريم وبمجهله ، فإن معناها الوضعي لا غرابية فيه ، وإنما التشابه والاحمال في مراد الله منهما : « كما في قوله تعالى ( يد الله فوق أيديهم ) (٤) » و ( الرحمن على العرش استوى ) (٥) ، وقد وقع مثل ذلك في الشعر كقول أبي تمام :

ولمحت فأظلم كلُّ شيء دونها وأضاء منها كلُّ شيء مظلم

فإن الوله والظلمة والإضاءة أشياء مفهومة ، ولكن البيت بجماعته يحتاج فهمه إلى استنباط ، والمراد به أنها ولحت فأظلم ما بين وبينها من الجرج لوطنها ، ووضح لي منها ما كان مستترا عني من حجبها لي .

---

(١) تكأ كأتهم : اجتمعتم . افرنقوا : انصرفوا . (٢) المروية : المغارة ، وجحيشاً : فريداً ، ويعرورى : يركب فرسه هرباً . (٣) الابتشاك : الكذب . (٤) سورة الفتح الآية ١٠ (٥) سورة طه الآية ٥

## الغريب القبيح والحسن :

وقد ذكر ابن الأثير (١) أن الغريب ينقسم إلى قسمين : غريب قبيح، وغريب حسن ، والاول هو ما كان ثقیل النطق لتنافر حروفه ، والثاني ما كان سهل النطق لعدم تنافر حروفه ، والناس في استنباح الاول سواء ، لا يختلف فيه عربي باد ، ولا قروي متحضر ، وأما الثاني فيختلف استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله ، وهو الذي لا يعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشياً ، وهو عندنا وحشياً ، وقد تضمن القرآن معه كلمات ممدودة هي التي يطلق عليها غريب القرآن ، وكذلك تضمن الحديث منه شيئاً هو الذي يطلق عليه غريب الحديث ، وقد كان النبي ﷺ لا يلجأ إليه إلا نادراً أو مع أهله ، كما ورد في حديث النبي ﷺ مع طهفة بن أبي زهير الهذلي ، وقد وفد عليه في قومه فقال : «أتيتك يا رسول الله من مخورسى» (٢) تهامة ، هلى أكوار (٣) الميس ، ترعى بنا العيس (٤) ، نستحاب الصبيير (٥) ونستخلب الحبيير (٦) ، ونستعصد البيرير (٧) ، ونستخيل الرهام (٨) ، ونستحيل (٩) الجمام ، في أرض غائلة النطام (١٠) ، غليظة الوطاء ، قد نكشف التمدن (١١) ، وينس الجرم (١٢) ، وسقط الاملوج (١٣) ، ومات العسكوج (١٤) ، وهالك الهدى (١٥) ، ومات الودى (١٦) ، بوئنا إليك يا رسول الله من الوتن والفتن ، وما يحدث الزمن ، لنا دعوة السلام ، وشريعة الإسلام ، ما طما البحر ، وقام تعار (١٧) ، ولنا نغم مهمل أغفال (١٨) ،

(١) المثل السائر ص ٦١ (٢) الغور : ما انخفض من الأرض (٣) جمع كور وهو الرجل ، والميس : شجر صلب (٤) الإبل البيض مع شقرة يسيرة واحدها أيس وعيساء (٥) سحاب أبيض متكاثف (٦) النبات والعشب ، واستخلابه : احتشاشه (٧) ممر الأراك ، واستعصاده : جنيته (٨) الأمطار الضعيفة واحدها رهمة (٩) السحاب الذي فرغ ماؤه يعني أنهم لا ينظرون من السحاب في حال إلا إلى جهام من قلة المطر (١٠) لنطاء البعد ، أى تقول سالكها ببعدا (١١) نقرة في الجبل يجتمع فيها المطر (١٢) أصل النبات (١٣) ورق من أوراق الشجر يشبه الطرافه والسر (١٤) الغصن الحديث الطلوع (١٥) ما يهذى إلى البيت ، والمراد الإبل كلها (١٦) صفار النخل (١٧) تعار : اسم جبل (١٨) مهملة ، وأغفال : جمع غفل يعني لا ألبان لها .



ما تَبَيَّنَ بِلَالٌ (\*) وَوَقِيرٌ كَثِيرُ الرَّسَلِ، قَلِيلُ الرَّسَلِ (١)، أَصَابَنَا سَنَةٌ حَرَاءُ مُؤَزَّلَةٌ (٢)، لَيْسَ لَهَا عَتَلٌ وَلَا نَهْلٌ (٣) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لِمَنْ فِي مَحْضِهَا (٤) وَمَخْضِهَا وَهَذَقَهَا وَفَسَّرَقَهَا (٥)، وَابْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّائِرِ (٦)، بَيَانُ الشَّرِّ، وَانْتِجَارُهَا الثَّمَنُ (٧)، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ، مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعِ الشَّرِّ (٨). وَوَضَائِعُ التَّسْلُكِ (٩)، لَا يُبْلَغُ طَعْمُ فِي الزَّكَاةِ (١٠)، وَلَا يُبْلَغُ حُدُودُ فِي الْحَيَاةِ، وَلَا يُبْلَغُ شَأْنُ الْقَتْلِ عَنِ الصَّلَاةِ.

ثُمَّ رَأَى (١١) أَنْ يَقِيدَ مَنَعَ اسْتِعْمَالِ الْغَرِيبِ الْحَسَنَ لِغَيْرِ الْعَرَبِ بِالنَّهْرِ دُونَ الشَّجَرِ، وَاسْتَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ لَفْظَ «مَشْمُورٍ» فِي آيَاتِ بَشَرٍ فِي وَصْفِ الْأَسَدِ:

وَأُطْلِقَتْ الْمَهْمَلَةُ مِنْ يَمِينِي فَقَدْ لَهَا مِنَ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا  
فَخَسِرَ مُصَرَّجًا بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْتَمَعًا خَيْرًا

قَالَ: وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فِي خُطْبِ الشَّيْخِ ابْنِ نَبَاتَةَ، كَقَوْلِهِ فِي خُطْبَةٍ يَذْكُرُ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ: «دَاقَطَرٌ وَبَالُهَا، وَاشْتَهَرَ نَسْكَالُهَا، فَا طَابَتْ وَلَا سَاعَتْ». ثُمَّ قَالَ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَسُوغُ اسْتِعْمَالُهُ فِي السَّكَلَامِ الْمَشْهُورِ يَسُوغُ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْمَنْطُومِ دُونَ الْمَكْسُ، وَذَلِكَ شَيْءٌ اسْتَبْطَلَهُ وَدَانِي حَلِيلُهُ الذُّوقُ».

#### لَا يَجِيحُ عَلَى الْغَرَابَةِ لَعْنَةُ الْأَلْفِ

وَالَّذِي أَرَادَ فِي هَذَا أَنْ الَّذِي يَقْبَحُ اسْتِعْمَالُهُ مِنَ الْغَرِيبِ هُوَ الْغَرِيبُ الْقَبِيحُ، وَنَحْنُ فِي ذَلِكَ وَالْعَرَبُ سَوَاءٌ، وَأَمَّا الْغَرِيبُ الْحَسَنُ فَلَا يَقْبَحُ اسْتِعْمَالُهُ فِي كَلَامِنَا وَلَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَلَا فِي النَّثْرِ وَلَا فِي النِّظَمِ، وَلَيْسَتْ الْغَرَابَةُ إِلَّا وَصْفًا طَارِئًا فِيهِ، يَزُولُ بِالْإِطْلَاعِ عَلَى

(٥) لَا يَقَطُرُ مِنْهَا لَبَنٌ.

- (١) يَعْنِي مَوَاشِي كَثِيرٍ عِنْدَ مَا يُرْسَلُ مِنْهَا إِلَى الرَّعْيِ، لَكُنْهَا قَلِيلَةٌ لِلْبَنِ.
- (٢) مَوْقَعَةٌ فِي الْأَزْلِ وَهِيَ الضِّيْقُ (٣) النَّهْلُ: أَوَّلُ الشَّرْبِ، وَالْعَالُ ثَانِي الشَّرْبِ.
- (٤) الْحَضُّ: اللَّبَنُ الْخَالِصُ (٥) الْمَنْقُ: اللَّبَنُ الْمَخْلُوطُ بِالْمَاءِ. وَالْفَرْقُ مِثَالُ اللَّبَنِ.
- (٦) الْحَصْبُ (٧) الْمَاءُ الْقَلِيلُ، أَيْ أَفْجَرُهُ لَهُمْ حَتَّى يَصِيرَ كَثِيرًا. (٨) مَا كَانُوا اسْتَوْدَعُوهُ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي شُرْكِهِمْ. (٩) مَا يَوْضَعُ عَلَيْهِمْ مِنَ الزَّكَاةِ لَا يَزَادُ عَلَيْهَا.
- (١٠) لَا يَمْنَعُ حَقًّا. (١١) الْمَثَلُ السَّائِرُ ص ٦٤.

معناه ، وقد جاء القرآن بالفاظ غريبة في معناه فاستكثرنا قريش وقد نزل بلغتها فلم يؤثر هذا في فصاحته مثل لفظ الرحمن<sup>(١)</sup> في استعماله ابدأ الله تعالى ، ولفظ دكبارا<sup>(٢)</sup> ، في سورة نوح ، ولفظ دقسورة<sup>(٣)</sup> ، في سورة المدثر .

#### القراءة لبعده التخريج :

والثاني : ألا تخرج الكلمة إلا على وجه بعيد ، وهذا إنما يكون اذا وقعت من حرفي يحتاج بلغته ، فلا يصح حملها على الخطأ ، بل تخرج على وجه من الوجوه ، كما في قول العجاج :

\* ولاحاً وممرسناً ممرسجاً<sup>(٤)</sup> \*

إبان قوله دمرسجاً ، اسم مفعول من سرج بتشديد الراء ، وهذه الصيغة قد تأتي للنسبة مثل كرمته فلاناً بمعنى نسبتته إلى الكرم ، ولكن ذلك يكون بمعنى نسبة الشيء إلى أصله كالكرم ونحوه ، ولا شك أن مثل هذا لا يمكن في سرج وما أخذ منه ، وقد تكافوا له أصلاً ينسب إليه ، وقالوا إنه يدل على النسبة إلى السراج أو السيف الشرسجي ، على معنى أنه في البريق كالسراج ، أو في الباقة والاستواء كالسيف ، ووجه البعد في هذا التخريج أن هذه الصيغة تدل على نسبة الشيء إلى أصله كما سبق ، ولا تدل على ذلك التشبيه ، وقد قيل إن هذا صيغة تشبيه لا صيغة نسبة مثل كرم ونحوه ، فيكون من قبيل التشبيه المحذوف الأداة مثل التشبيه في هذا البيت :

فأمطرت لؤلؤاً من زرجس وسقست<sup>١</sup> كورداً وعصت على العنتاب بالبرد<sup>٢</sup>  
وقد جاء لذلك نظائر في اللغة مثل ممدنر من الدينار ، ممدت من الذهب

(١) وقد قال الله تعالى في ذلك ﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ؟ وزادهم نفورا ﴾ سورة الفرقان : الآية ٦٠ ولم يكن هذا الاسم مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم .

(٢) قيل إنها لغة يمانية ( سورة نوح آية ٢٢ ) .

(٣) قيل إنها الاسد بالحبشية ( سورة المدثر آية ٥١ ) .

(٤) الفاحم : الشعر الشديد السواد ، والمرسن : الأنف .

وممُسَّك من المسك ، وممْلَفَل من الفلفل ، ومن ذلك قول يزيد بن المُنَزَّغ :

وَمُرْمُودٌ مُمْدَنَرَاتٌ وَفَزٌّ      وَمُلَاةٌ مِنْ أَعْتَقِ التَّكَنَّازِ

والمعنى في هذا على التشبيه أيضاً ، أى برود وشيها كالأناجر .

غرابية التخريج من مخالفة القياس :

على أن الذى أراه أن الحل على الخطأ فى ذلك أولى من تكلف تخريج له ، ولا فرق عندى فيه بين عربى ومولد ، وأن مثل هذا يليق به أن يعدّ فى مخالفة القياس الآتية ، وإذن لا يبقى فى الغرابية شيء يصح أن يعدّ فيها كيميل بنصاحه الكلمة ، ومن الناس من يعدّ استعمال المشترك فى أحد معنياه بدون قرينة من التقسيم الثانى من الغرابية .

مخالفة القياس :

ومخالفة القياس ألا تكون الكلمة جارية على العرف العربى الصحيح ، ويدخل فى هذا كل ما ينكره أهل اللغة ، ويردّه علماء العربية ، وقد يكون ذلك لأجل أن اللفظة غير عربية كما أنكروا على أبى الشيبان قوله :

وجناح مقصوص تحيِّف ريشه      ريب الزمان تحيِّف المقرض

لأن المقرض لم يستعمل إلا مثنى ، وقد أجاز سيديويه إفراده .

وقد يكون ذلك لاستعمال الكلمة فى غير ما وضعت له فى عرف اللغة ، كما قال أبو عبيدة :

يشق عليه الريح كل عشيّة      جيوب الغمام بين بكر وأيم

فوضع الأيم ، مكان « الثيب » ، وليس الأمر كذلك ، لأن الأيم التى لا زوج لها ، بكرأ كانت أو ثيباً .

وقد يكون ذلك لشذوذ الكلمة ، كشذوذ الحذف فى قول النجاشى :

فلست بآيمه ولا أسستطيعه      ولاك اسقى إن كان ماؤك ذا فضل

أراد : ولكن اسقى .

كشذوذ الزيادة فى قول الشاعر :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة      تنفى الدراهم تنشقاد الصيارى

يريد الدرهم والصيارف .

وكفك الإدغام في قول أبي النجم :

الحمد لله الملىّ الأجلّ . الواهب الفضل الموهوب الجول  
والقياس الصرفى « الأجلّ » ، إلى غير ذلك من اللغات الشاذة التي هجر  
استعمالها، وقد جاء في القرآن الكريم بعض منها ذكره السيوطي في كتابه « الإتقان »  
لأنه لم يكن في لغة قريش لفظ بمعناها ، أو غير ذلك مما دحا إلى ذكرها فيه . وقد  
تبيح ضرورة الشعر بعض هذا الشذوذ ، كما تبيح قصر الجمع الممدود ، ومدّ الجمع  
المقصور ، وبعض علماء اللغة لا يغتفر للشاعر شيئاً من ذلك ، ولا يفرق فيه بين  
شعر ونثر ، ولعل هذا هو الذي يجب أن يعمل به .

وقد ترك الخطيب أمراً هذه ابن سنان الخفاجي (١) وابن الأثير فيما يخل  
بفصاحة الكلمة ، وهو أن تكون الكلمة مبتدلة ، وذلك على ضربين : أولهما :  
أن يكون اللفظ دالا على معنى في أصل اللغة فتجمله العامة دالا على معنى آخر  
يكره ذكره أو لا يكره ، كقول أبي الطيب :

أذاق الغواني محسنه ما أذقنى وعفّ فجاراهنّ عشتى بالصّرم

فإن الصرم في اللغة القطع ، فغيرته العامة وجعلته دالا على المحل المخصوص  
من الحيوان دون غيره ، فأبدلوا السين صاداً ، ومثل هذا لا يعاب البدوى على  
استعماله كما يعاب المتحضر ، لأن الألفاظ لم تتغير عن أصل معناها في زمن البدوى  
ولم تتصرف فيها العامة هذا التصرف ، ولهذا لا يعاب ذلك اللفظ على أبي صخر  
الهدلى في قوله :

قد كان صرم في الممات لنا فمجلت قبل الموت بالصّرم

وثانيهما أن يكون للمعنى الواحد كلمتان عربيتان فكثر إحداها في السنة  
للعامة ويتحاشاها الخاصة ، فيصح ما استعمله العامة لا بتذال ، مثل لفظ الشطار ،  
في قول أبي نواس :

---

(١) سر الفصاحة ص ٦٩ والمثل السائر ص ٦٩ أيضاً .

وملحّة بالعنذل تحسب أننى بالجمل أترك صحبة اللطّار  
ولا يكاد يغلو من ذلك شعر شاعر ، لكن منهم المقلّ ومنهم المسكّر ، حتى إن  
العاربة قد استعملته في أشعارها وإن كان فيها أقل . ومن ذلك لفظ « آجر » في  
قول النابغة الذبياني :

أَوْ مُدْمِيَةٍ فِي سَمَرٍ مَرْفُوعَةٍ مُبْلِيٍّ بِسَعَا بِأَجْرٍ يُشَادِرُ بِسَمَرٍ مَدِيٍّ  
وكلفظ « القمل » في قول زهير بن أبي سلمى :

وأقسمتُ جهداً بالمفازل من رضى  
وما مسحتُ (١) فيه المقتاديرُ والقسملُ

لا قبح في ابتزال الكلمة :

وإنى أرى أن أمر العامة أهون من أن يحدث مثل هذا الأثر في ألسنة اللغة،  
فلا شيء عندي في استعمال هذه الألفاظ بقسميها ، ولكل من ألفاظ الخاصة والألفاظ  
العامة مقامات تقتضيها ، ولعل هذا هو السبب في إهمال الخطيب عدّ ذلك فيما يخل  
بفصاحة السكامة .

فلا يخل عندنا بفصاحة الكلمة إلا شيئان : تنافر الحروف ، ومخالفة القياس .  
وأما الغرابة والابتذال فلا يخلان بفصاحتها عندنا .

الكراهة في السمع :

وقد ذكر ابن سنان الخفاجي (٢) فيما يخل بفصاحة السكامة أن تكون مكروهة  
في السمع مثل كلمة الجرشى في قول أبي الطيب :

مباركُ الاسمِ أغرُّ القلبِ كريمُ الجرشى (٣) شريفُ السبِ  
ومثل كلمة « حقايد » في قول زهير بن أبي سلمى :

تقيّ نقيّ لم يُكسّر خبيمةً (٤) ينسبك (٤) ذى قربى ولا يهتد

(١) حلقت .

(٢) سر الفصاحة ص ٦١ و ٦٢ . (٣) الففتن

(٤) النهكة : الغلبة ، والحقلد : السوء الخلق .

وقد ردت الخطيب ذلك بأن الكراهة في السمع لا تكون إلا من تنافر حروف الكلمة أو وحشيتها ، فليست شيئاً آخر غير التنافر والغرابية .



### الفصاحة في الكلام :

والفصاحة في الكلام عند الخطيب خلوصه من ثلاثة أشياء : ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد ، فإذا خلا الكلام من هذه الثلاثة كان فصيحاً ، ولكن لا بد فيه مع ذلك من فصاحة كلماته التي يتألف منها ، بخلوها هي أيضاً بما يخل بفصاحتها ، فإذا لم تزل بما يخل بفصاحتها لم يكن هو أيضاً فصيحاً ، مثل قوله امرئ القيس :

غدا تره مستكشورات إلى العلا    فصل النعمدارسى في مشنشى وممر ممل  
فهو كلام غير فصيح ، وإن لم يكن فيه ضعف تأليف ، ولاتنافر كلمات ولا تعقيد .

### ضعف التأليف :

وضعف التأليف أن لا يكون الكلام جارياً على القانون النحوي المشهور ، بأن يكون هناك قولان فيجرى على الضعيف فيهما ، كعود الضعيف على متأخر لفظاً ورتبة في قول حسان بن ثابت :

ولو أن مجدأ أخلك الدهر واحداً

من الناس أبقى سجدته الدهر مطعماً (١)

وقد أجاز ابن مالك ذلك قياساً على إجازتهم له في باب نعم وبئس وخمير الشأن وغيرهما ، ومن ذلك وصل الضمير يلاً في قول الشاعر :

ليس إلّاك يا على مهام سيفه دون هروضه مسلول

ومنه نصب المضارع مع حذف « أن » في قول طرفة بن العبد :

ألا أيها الزاجرى أحطس الوهى    وأن أشهد الذات هل أنت مخنلدى

### ضعف التأليف لا يخل بالفصاحة :

وقد يكون تشديد الخطيب إلى هذا الحد في أمر الإعراب واشتراطه في فصاحة الكلام أن يجرى على قانون النحو المشهور نتيجة تساهل قوم قبله في أمر الإعراب ،

---

(١) هو مطعم بن عدى أحد رؤساء المشركين وكان يذب عن النبي ﷺ .

ومذهبهم أن يكون إعراب الكلام شرطاً في فصاحته ، وقد عني ابن سنان الخفاجي (١) بالرد عليهم ، ولكنه لم يشدد في مراعاة الإعراب هذا التشديد الذي سلكه الخطيب ، ولعل التوسط في ذلك خير من التشديد فيه ، فلا يمكن مراعاة مذهب الجمهور شرطاً في فصاحة الكلام ، بل يكفي مراعاة ما يجوز في ذلك وإن لم يكن هو المذهب المشهور ، وقد جاء في القرآن الكريم قراءات كثيرة على غير مذهب جمهور النحاة ، قوله تعالى ﴿ قَالُوا لِمَنْ هَٰذَا لِسِحْرَانِ يَرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا وَيُذْهِبَا بِطَارِقَتِكُمُ الْمِثْلِ ﴾ (٢) فقد جرى في بعض القراءات على لغة من يجرى المثنى بالالف في أحواله الثلاث ، وهي لغة مشهورة لكثانته ، وقيل لبنى الحارث .

لا قبح الا فيما يجيزه النحو أصلاً :

فشل هذا لاذن لا يصح أن يؤثر في فصاحة الكلام ، إنما يجب أن يقصر ذلك على ما لا يجيزه النحو أصلاً ، كحذف الإعراب في قول امرئ القيس :

قَالِيَوْمٌ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٌ (٣)

وكتحريك ياء المقفول المجرور في قول الشاعر :

مَا لِنْ رَأَيْتُ وَلَا أَرَى فِي مَدَنِي كَجَوَارِي يَلَعِينَ فِي الصَّحَرَاءِ

الحاق عيوب القافية بذلك :

وقد يلحق بذلك عيوب القافية كالإقواء في قول النابغة الذبياني :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرْدِ لِسْقَاطِهِ فَتَنَارَلَتْهُ وَاتَّقَنَّا بِالْيَدِ  
بِمُخَضَّبِ رَخِصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَّمْ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْتَقَدُ (٤)

تنافر الكلمات :

وتنافر الكلمات ينشأ من أمور منها تكرور حرف أو حرفين في الكلام كالبيت الذي أنشده الجاحظ :

- 
- (١) سر الفصاحة ص ١٠٠ و ١٠١ . ومن يرى هذا ابن خلدون في مقدمة تاريخه ص ٦٥٠ المطبعة الشرقية ، (٢) سورة طه : الآية ٦٣ .
- (٣) المستحقب : المسكتوب ، والواغل : الذي يدخل على قوم يشربون بدون دعوة منهم : يريد أنه تحال من يمينه يقتل قاتل أبيه .
- (٤) النصيف : كل ما غطي الرأس من خمار ونحوه ، والرخص : الناعم .

وَقَبْرُهُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفَرٍ (١) وَلَيْسَ قَرَبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ  
ومنها إيراد أفعال يتبع بعضها بعضها بدون عطف ، أو معه مثل قول المتنبي :

أَقْلُ أَرْلُ أَقْطِيعَ أَحْلُ عُلَّ سَلَّ أَعْدُ  
زِدْ هَشْ بَشْ تَسْفَضَلْ أَدْنِ مَسْرَ صِلْ

ومثل قول ديك الجن :

أَحْلُ وَامْرُزُ وَضُرَّ وَانْفَعُ وَلِنْ وَاخْ  
سُشْنُ وَرَشْ (٢) وَابْرُ وَانْتَدِبُ لِلْعَالِ

ومنها إيراد صفات متعددة على طريق واحدة كقول المتنبي :

دَانْ بَعِيدُ مُحِبَّةٍ مَبْغُضُ بَهْجٍ أَغْرَّ مَحْلُوقٍ مُمَرَّ لَتَيْتِنٍ شَرِيرٍ  
ومنها تكرار الأدوات وتعاقب بعضها إثر بعض كقول أبي تمام :

كَأَنَّهُ فِي اجْتِمَاعِ الرُّوحِ فِيهِ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ جَسَمِهِ رُوحٌ  
ومنها تتابع الإضافات كما في قول ابن بابه :

مَعَامَةٍ جَسْرًا حَوْثَمَةَ الْجَنْدَلِ اسْتَجْتَمَعِي فَأَنْتِ بِرَأْيٍ مِنْ مَعَادٍ وَمَسْمُوحَةٍ  
والحق أن ثقل هذه الإضافات لأن الجرعاء المكان ذو الرمل ، وحومة الشيء  
مهظمه ، والجندل الحجارة ، ولا معنى لتكليف إضافة الحامة إلى ذلك كله . وقد جاء  
تتابع الإضافات سهلاً لا تكلف فيه في قوله تعالى ﴿ مَثَلُ دَابَّ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ  
وَيْمُودٍ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلُمًا لِلْعِبَادِ ﴾ (\*) . وفي قول ابن المعتز :  
وظلمت تدبر الراح أبدي جاذر عتاق دنائير الوجوه ملاح (٣)

وقد جاء أيضاً تتابع الصفات سهلاً مقبولاً في قوله تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ  
طَلَقَكُنْ أَنْ يَجْعَلَ لِرِجَالِكِ خَيْرًا مِنْكِ مَسَلَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ

(١) قيل هذا البيت في حرب بن أمية . وقفر : بالجر على الصفة أو بالرفع على التقطع

(٢) رش : أمر من راش بمعنى أعان . (\*) سورة غافر ، الآية ٣١

(٣) الراح : الخمر ، والجاذر جمع جؤذر ولد البقرة الوحشية ، والعتاق :

السكرام جمع عتيق .



سائنحات ثيبات وأبكار (١) كما جاءت كثرة التكرار غير مخلة بالفصاحة في قول النبي ﷺ : «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» .

فالواجب أن يرجع في تنافر الكلمات إلى الذوق الصحيح ، وأن يدور عليه في ذلك كما عول عليه في تنافر الحروف ، وقد سبق أنه لا يُرجع في إدراكه إلى ضابط معروف ، أو قاعدة مطردة ، كما أنه يجب ألا يعدّ من ذلك ما لا يتناهى في الثقل ، مثل اجتماع الحاء والهاء مع التكرار في قول أبي تمام :

كريمٌ متى أمدحهُ أمدحهُ والورسُ سمعى وإذا ما لمتهُ لمتهُ وحدي  
فإن مثل هذا الثقل أمر محتمل ، ولا يمكن أن تدور لغة من اللغات على السهولة وحدها .

#### التعقيد

والتعقيد ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد منه للخلل في تأليفه أو في دلالاته ، والأول يسمى تعقيدا لفظيا ، والثاني يسمى تعقيدا معنويا ، ومن الواضح أن ذلك لا يتناول الجميل والمتشابه الواقعين في كلام الله تعالى ، لأن عدم ظهورهما ليس للخلل في تأليفهما أو في دلالاتهما على نحو ما يأتي في التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي .

#### الخلاف في الالفاظ :

وأما الالفاظ مثل قول الحريري في المبرور :

وما ناكح أخيتين (٢) سراً وجمرة وليس عليه في التشكاح سبيل

ومثل قول الآخر في الضرس :

وصاحب لا أمل الدهر صحبته يسعى لنفعي ويسعى معصى مجتهد

ما إن رأيت له شخصاً فذو وقعت عيني عليه افترقا فرقة الأبد

فقد ذهب بعض علماء البلاغة إلى أنها من التعقيد للخلل بفصاحة الكلام ، ومنهم من يعدّها من المحسنات البديعية ، ولا شك أنها بأسلوب المؤلفين أشبه منها بأسلوب الأدباء .

(٢) يعنى بالاختين العينين .

(١) سورة التحريم الآية ٥

### التعقيد اللفظي :

والتعقيد اللفظي أن ترتب الألفاظ على خلاف ترتيب المعاني ، فيختل بذلك نظم الكلام ، ويصعب فهم المراد منه ، كما في قول الشاعر :

فأصبحت بعد خط بهجتها كأن قفراً رؤسومها قلما  
يريد فأصبحت بعد بهجتها قفراً ، كأن قلماً خط رؤسومها .

ومن ذلك قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبرأته حتى أبوه يقاربه

يريد وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه ، وقد مدح بهذا إبراهيم بن هشام الخرومي خال هشام بن عبيد الملك ، وهو الذي عناه بقوله مملكا ، ويعوز أن يكون نظم الكلام : « وما مثله في الناس حتى إلا مملكا يقاربه أبو أمه أبوه ، فيكون المراد قرب النسب لا أنه يدانيه فيما مدح به ، والأولى أن يحمل هذا على الاستثناء المقتطع ، مثل قوله تعالى ( لا يدورن فيها الموت إلا الموتة الأولى ) لأن شأن هشام أعلى من أن يلجس له من ذلك ما نفي عن غيره ، لأنه كان مملكا عظيماً ، ولم يكن إبراهيم إلا عاملاً له .

ومن ذلك أيضاً قول الفرزدق في الوليد بن عبيد الملك :

إلى ملك ما أمته من محارب أبوه ولا كانت كليب تهاهرته  
يريد إلى ملك أبوه ما أمه من محارب ، وهي قبيلة من قبائل العرب .

### التعقيد المعنوي :

والتعقيد المعنوي ألا يكون الكلام ظاهراً للدلالة على المعنى المراد منه ، ويكون هذا بأن يراد باللفظ غير ما موضح له من غير اعتماد على علاقة قرينة وقرينة واضحة كما قال الخطيب :

ومن يطلب مساعي آل لاي تصعبه الأمور إلى حلها

يريد أنه يلقى صعوبة كما يلقى الصاعد من أسفل إلى علو ، فلم يعبر عنه تعجيراً  
ثمينا ، وكما قال زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يُسئِدْ عن حوضه بسلاحه يهدمُ ومن لا يظلم الناس يُظلم  
أراد بقوله «ومن لا يظلم الناس» من لا يدفع الأذى عن نفسه ، فاستعمل  
الظلم في دفع الأذى ، وإنما هو تسليط الأذى على الناس ، وقد أراد منه ذلك  
بدون علاقة وقوية يصحّ معهما إرادة ذلك منه ، ولولا أن زهيراً لا يلقى به أن  
يحمض هل الظلم لكان كلامه في هذا مثل قول عنترة العبسي :

وإذا بُليتَ بظالم كن ظالماً وإذا بُليتَ بذى الجمالة فاجتنب  
ويجوز أن يكون ذلك من المشاكلة مثل قوله تعالى : ( وجزاء سيئة سيئة  
مثلها ) (١) فلا يكون من التعقيد المعنوي .

ومن ذلك أيضاً قول أوس بن حجر :

وذا ت هدم عادٍ نواشرها تمصمت بالماء مولىاً جدِعا  
سمى الصبي مولىاً وهو ولد الحمار ، فبى استعارة بعيدة فاحشة ،  
وكذا قول الشاعر :

ظعنوا فكان بُكايَ حولاً بهدم ثم ارحوبتُ وذاك حكيمٌ ليبدٍ  
أجندٍ بهجرة لوعة إطفاءها بالدمع أن تزداد طولاً وقود  
جمل السكف من البكاء كناية عن إطفاء غليله بدليل البيت بعده ، والمعروف  
أن البكاء هو الذي يطفىء الغليل لا السكف هذه كما قال امرؤ القيس :  
ولن شفاى سبرة مهراقة فهل عند رسم دارسٍ من مَعَوَلٍ  
ويجوز أن يكون مراده حقيقة السكف عن البكاء ، لا الكناية عن إطفاء الغليل  
فلا يكون فيه هذا التعقيد .

وقد ذكروا من ذلك أيضاً قول العباس بن الأحنف :

ما طلب مُبند الدار عدكم لتقربوا وتسكب عينناى الدموع لتجهدا  
جمل جمود العين كناية عن المرور ، وإنما يكنى به عن بخلها بالدموع في حال  
إرادة البكاء ، كما قال أبو عطاء في رثاء ابن هبيرة :

(١) منورة الشورى آية ٤٠

إلا إن عينا لم تجد يوم واسطٍ عليك بجارى دمعها الجمود  
وقد قال بهاء الدين السبكي (١): إنه يجوز أن يراد في البيت الأول حقيقة الجود ،  
وعلى هذا لا يكون فيه تعقيد ، وقد جاء في القاموس أنه يقال حين جود ورجل جامد  
العين بمعنى أنها جامدة لا تدمع ، ولم يقيد ذلك بحال إرادة البكاء .

#### ابتزال الكلام :

وقد ترك الخطيب بما بعد فيما يخل بفصاحة الكلام ابتذاله وسخافة الفاظه  
وفنورها ، مثل قول بشار :

ربابة ربة البيت تمسب الخل في الزيت  
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

ومثل قول أبي العتاهية في رثاء سعيد بن وهب :

مات والله سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب  
يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي

#### الابتزال لا يخل بالفصاحة :

ورشان هذا عدى شأن ابتزال الكلمة في فصاحة المفرد ، ولعل الخطيب أهمله  
لهذا ، وقد قيل لبشار في ذلك : يا أبا معاذ ، إنك لتجىء بالامر المهمج ! قال :  
وما ذاك ؟ قيل : إنك تقول :

إذا ما غضبنا غضبة مضربة هتكنا حجاب الشمس أو مطرت دما  
إذا ما أهرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلكى علينا وسلمنا

ثم تقول :

وربابة ربة البيت ، . . . (البهتين)

فقال : كل شيء في موضعه ، وربابة هذه جارية لى ، وأنا لا آكل البيض من  
السوق ، وربابة هذه لها عشر دجاجات وديك ، فهي تجمع على هذا البيض  
وتحضره لى ، فكان هذا من قولي لها أحب إليها وأحسن عندها من :

(١) عروس الأفراح ص ١١٢ ج ١ من شروح التلخيص .

وَقَفْنَا نَتَبَكَّرُ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ،  
 فالابتدال إنما يعدُّ عيباً في الكلام إذا وُضع في غير موضعه ، كما فعل  
 أبو العنانية في رثائه ، وهذا عيب لا شأن له بالفصاحة ، وإنما يرجع إلى البلاغة  
 على ما سيأتى فيها ، ومن الموضع الذى يطلب فيها استعمال المبتدل : القول والمشاقمة  
 والحكاية وما إليها .



### البلاغة في الكلام :

والبلاغة في الكلام مطابقة لمقتضى الحال بشرط فصاحته ، فلا بد عند الخطيب  
 في الكلام البلاغ من أن يكون فصيحاً ، والحال هو الأمر الذى يقتضى أن يؤتى  
 بالكلام على صفة مخصوصة مناسبة له ، من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير أو  
 غير ذلك ، ويسمى الحال : المقام أيضاً ، وتسمى تلك الصفات : خصائص ومزايا  
 ونكات ، وقد قال الخطيب إن تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذى يسميه  
 الشيخ عبد القاهر بالنظم ، وهو عنده عبارة عن تأخى معانى النحو فيما بين الكلم  
 على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام .

### تفاوت مقامات الكلام :

ومقامات الكلام متفاوتة ، فقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق  
 يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام  
 الحذف ، ومقام الفسر يباين مقام خلافة ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ،  
 ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة ، وخطاب الذكى يباين خطاب الغبي ؛  
 وهكذا مما سيأتى تفصيله .

وكما تتفاوت مقامات الكلام في ذلك تتفاوت مقامات الكلمة الواحدة ؛ حتى  
 ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك  
 في موضع آخر ، كالقطة الآخذة في قول الصَّحْمَةِ بن عبد الله :

تَلَمَّسَتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُ نَسِيَّ وَجَعْتُ مِنْ الْإِصْفَاءِ (١) رَيْباً وَأُخْطَا

(١) الليث : صفحة المنق ، والآخذة عرق فيها ، وهما عرقان يقال لهما أخدعان ،

وفي قول أبي تمام :

يا دهرُ قَتَوْنِي مِنْ أَخْدَعِيكَ فَقَدْ أَضْجَعْتَ هَذَا الْإِنَامَ مِنْ "مُخْرَقِكَ"

فإن لها في المسكان الأول ما لا يخفى من الحسن ، كما أن لها في المسكان الثاني ما لا يخفى من الثقل على النفس ؛ ومن ذلك لفظة شيء في قول عمر بن أبي ربيعة :

وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجُرَّةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى (١)

وفي قول أبي حية :

لِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَجِلُّ التَّقَاضِيَا

فإن لها في ذلك كثيراً من الحسن والقبول ، ولكننا في قول المتنبي :

لَوْ أَنَّكَ الدُّوَارُ أَبْغَضْتُ سَعِيهِ لَعَرَفْتُهُ شَيْئاً عَنِ الدُّمُورَاتِ

ثقل وتضؤل ولا يوجد فيها شيء من الحسن والقبول .

ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد ، وكلاهما حسن في الاستعمال ، ولكنه لا يحسن استعمال أحدهما في كل موضع تستعمل فيه الأخرى ومن ذلك قوله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قُلُوبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ (٢) وقوله تعالى :

﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي عِزّاً ﴾ (٣) فاستعمل الجوف في الأولى والبطن في الثانية ، ولم يستعمل الجوف موضع البطن ، ولا البطن موضع الجوف .

وقد روى أن رجلاً أنشد ابن هرمة قوله :

رَبَّانِي رَبِّكَ إِنْ دَخَلْتَ فَقُلْ لَهَا هَذَا ابْنُ هَرْمَةَ قَائِماً بِالْبَابِ

فقال له : ما هكذا قلت ، أكنت أصدق ؟ قال : فقاعداً ، قال : أكنت أبول ؟

قال : فماذا ؟ قال : واقفاً ، ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى .

منزلة المحسنات البديعية في البلاغة :

وقد جرى الخطيب على أن المحسنات البديعية من السجع والجناس ونحوهما لا ترجع إلى البلاغة ولا إلى الفصاحة ، وإنما تورث الكلام محسناً وقبولاً ،

(١) جمع دمية وهي الصورة الحسنة .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٤ (٣) سورة آل عمران ، الآية ٣٥

ولا يتوقف عليها أمر بلاغته أو فصاحته، ومن العلماء قبله من كان لا يفرق بينها وبين غيرها من وجوه البلاغة والفصاحة، ومنهم من كان يجعلها من طرق الفصاحة ويحمل غيرها عما يتعلق بنظم الكلام أو دلالة من طرق البلاغة، والحق ما جرى عليه الخطيب فيها، لأن غيرها من وجوه البلاغة والفصاحة بما يجب التزامه في الكلام عند اقتضاء الجمال له، أما هي فإنما تحسن في الكلام إذا جاءت عفواً الخاطراً، وعند سماع القرينة بها، فأما أن يلزمها الإنسان في جميع قوله فذلك جهل من قائله، وسعى من قائله، وسيأتي بيان ذلك فيها.

#### تكلف الاستعارات ونحوها كتكلف المحسنات :

وقد يلحق عند المحسنات البديعية في ذلك مثل التشبيه والاستعارة وغيرهما من وجوه البلاغة التي لا تبني على اقتضاء الحال، ولا تأتي لأمر يستند بها في الكلام، فيجب الاقتصاد فيها أيضاً، والالتفات لتكلف فيه تكلفاً، وإلا كان شأنها في ذلك شأن المحسنات البديعية.

#### مراتب البلاغة :

هذا وللبلغة طرقتان : أعلى وهو الذي يبلغ رتبة الإعجاز، وذلك هو كتاب الله تعالى، وأسفل وهو الذي إذا غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب، وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة وقد أنكر الدين الرازي<sup>(١)</sup> أن يكون الطرف الأسفل من البلاغة، لأن منزلتها عنده أعلى منه؛ ويجب على هذا ألا يسكن في تعريفها بما سبق.

---

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص ١١ د مطبعة الآداب والمؤيد،

# اللفظ والمعنى

## رجوع البلاغة الى اللفظ والمعنى :

قد ذكرنا خلاف العلماء في رجوع الفصاحة والبلاغة إلى اللفظ أو المعنى ، والحق أنهما يرجعان إلى اللفظ والمعنى معاً ، وقد قال ابن رشيق (١) : « اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر ومحنةً عليه ، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ ، فإن اختل المعنى كله وفسد بقى اللفظ مواتاً لا فائدة فيه ، وإن كانت حسن الطلاوة في السمع ، وإن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى » .

## من يؤثر اللفظ على المعنى :

ثم للأساس فيما بعد آراء ومذاهب ، منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعل غايته ووكده ، وهم فرقة : قوم يذهبون إلى تخامة الكلام وجوالاته على مذهب العرب من غير تصنيع ، كقول بشار :

إذا ما غضبتنا غضبةً مُهَيَّزِيَّةً      هتكتنا حجاب الشمس أو قطرت دما  
إذا ما أحرنا سيِّداً من قبيلةٍ      مُذَرَّى منبر صلتى علينا وسلما

وهذا النوع أدل على القوة وأشبه بما وقع فيه من مواضع الاختار ؛ وكذلك ما ممدح به الملوكة يجب أن يكون من هذا النوع ، وفرقة أصحاب جليلة وقمقة بلا طائل معنى إلا القليل النادر ، كأبي القاسم بن هاني ، فإنه يقول أول مذهبه :

أصاحت فقالت وتبع أجرد شينظم

وشامت فقالت تسبح أبيض عظم

(١) العمدة ص ٨٠ ج ١ « مطبعة هندية » .



وما مَذَرَتْ إِلَّا لِحَرَسٍ مَحْلِيٍّ

ولا رَمَقَتْ إِلَّا بِرَمَى فِي مَحْدَمٍ (١)

وليس تحت هذا كله إلا الفساد وخلاف المراد ، ما الذي يفيدنا أن تكون هذه المنسوب بها لبنت حليها فتومنته بعد الإصاغة والرمق وقع فرس أو لمع سيف غير أنها مغزوة في دارها أو جاهلة بما حملته من زينتها ؟ ولِمَ يُنخَفَى عنها مراده أنها كانت تترقبه ؟ فما هذا كله ؟ . ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فعنى بها ، واعتبر له فيها الركافة واللين المفرط ، كما أبي العتاهية والعماس بن الاحنف ومن تابعهما ، وهم يرون الغاية قول أبي العتاهية :

يا إخوتي لن الهوى قاتل	فسيروا الأكفان من عاجل
ولا تلوموا في اتباع الهوى	فلان في مشغل شغل
عيني على عشيبة مشبهة	بدمعها المنسكب السائل
يا ن رأى قبل قتيل بكى	من شدة الوجد على القاتل
بسطت كفي نحوكم سائلا	ماذا تردون على السائل
إن لم تنسبوه فقولوا له	قولا جيلا بديلا
أو كنتم العام على مسرة	منه فمشتوه إلى قابل

من يؤئن المعنى على اللفظ :

ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطاب معناه ، ولا يبالي حيث وقع من مجنة اللفظ وقبحه وخشونته ، كابن الرومي وأبي العايب ومن شاكلهما ، وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ، لأن المعاني موجودة في طباع الناس ، يستوى الجاهل فيها والهاذك ، وإنما العمل على جودة اللفظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف ، ولو أن رجلا أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث ، وفي الإقدام بالأسد ، وفي المضاء بالسيف ، فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلاها ، من اللفظ الجيد الجامع للركة والجزالة ، والعدوبة والطلاوة ، لم يكن للمعنى قدر . وعندى أن في دعوى أن المعاني موجودة في طباع الناس بحيث يستوى فيها الجاهل والهاذك مغالاة ظاهرة .

(١) الأجرد : الفرس القصير الشعر ، والشيطم : الطويل الجسم ، والمخدم :

القماط ، والبرى : جمع برة وهي الخناخال ، والمخدم : موضعه من الرجل .

# المعاني المحدثّة

الاستشهاد بمعاني المولدين :

ذكر ابن رشيق أن أبا الفتح عثمان بن جني قال (١) : المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالتقدماء في الألفاظ ، ثم قال : والذي ذكره أبو الفتح صحيح بئس ، لأن المعاني إنما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا ، وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض ، فصنّروا الأمصار ، وتأنقوا في المطاعم والملابس ، وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلّتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وبغيره . ومن هنا يحمي عن ابن الرومي أن لا يأمأ لأمه ، فقال : لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ قال : أنشدني شيئاً من قوله الذي استعجزتني في مثله . فأنشده في صفة الهلال :

فأنظروا إليه كدورقٍ من فضّة قد أنقلتُهُ محوّلته من عنبر  
فقال : ردني . فأنشده :

كأنّ آذريونتها وللشمس فيها كاليه  
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه (٢)

فصاح : واغوثاه يا الله ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ما عون بيته لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أي شيء أصف ؟ ولكن انظروا إذا وصفته ما أعرف أين يقع الناس كلامي ، هل قال أحد قط أملك من قولي في قوس الغمام :  
وقد نشرت أيدي السحاب مطارفاً على الأرض دكناً وهي خضرت على الأرض

(١) العمدة ص ١٨٣ ج ٢

(٢) الآذريون ورد له أوراق حمراء في وسطه سواد له نبر وارتفاع وقد يكون أصفر ، وعليه اقتصر صاحب القاموس . وكالية اسم فاعل من كالا ومعنى كالاتها للشمس أنها تدور معها حيث دارت . والمداهن : جمع مدهن وهو حق الدهن . والغالية أخلاط من الطيب .

يطرّزها قوسُ الغمام بأصفرِ      على أحمرٍ في أخضرٍ وسنط أبيضِ  
كأذيالِ خوذٍ أقيمتْ في غلائلِ      مصبغةً والبعضُ أقصرُ من بعضِ

موازنة بين القدماء والمحدثين :

وللمحدثين معان جيدة انفردوا بها عن القدماء ، ومعان شاركوا القدماء فيها  
ولكنهم زادوا فيها عليهم ، ومن هذه المعاني ما قاله النابغة يذكر طول ليلة :

كلىني لِحَمِّمٌ يا أميمة ناصب      وليلٍ أقاسيه بطيء السكواكبِ  
تطاولتُ حتى قلتُ ليس بمضة      وليس الذي يرى النجوم بأيب  
وقال أبو الطيب في وزنه ورؤيه :

أعيدوا صباحي فهو عند السكواكب      وردُّوا رقادى فهو لحظ الحبابِ  
فإنّ نهاري ليلةٌ مُدِّ لَحْمَةٌ      على مقلةٍ من فقدكم في ضبابِ  
فأنت ترى ما فيه من الزيادة وحسن المقصد ، على أن يبقى الدابغة عندهم في  
غاية الجودة .

وأما ما انفرد به المحدثون فمثل قول بشار :

يا قومُ أذنّي لبعضِ الحىّ عاشقةً      والأذنّ تمسّق قبيل العين أحيانا  
قالوا بمن لا ترى تهذى ؟ فقات لهمُ      الأذنّ كالعين توفى القلب ما كانا

وكقول أبي نواس ، وقد ذكر المبرد أنه لم يسبق إليه :

أيها الرامحان باليوم لثومنا      لا أذوقُ المسام إلا شيمنا  
نالني باللام فيها إمامٌ      لا أرى لى خلافه مستقيم  
فأصرفها إلى سواى فإنى      لستُ إلا على الحديث نديما  
كثيرُ حظى منها إذا هى دارتُ      أن أراها أو أن أشم النسيما  
فكانتى وما أزين منها      قمصيدى يزيت النحكما  
كلّ عن حمله السلاجُ إلى الحرب      فأوصى المطيق ألا يقيا

# علوم البلاغة

ادراك الجاهليين بعض مسائل البلاغة :

ليس من البعيد أن يكون العرب في الجاهلية قد عرفوا بعض مسائل البلاغة والفصاحة ، وما يروى من ذلك (١) أن النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة حمران بسوق حكاظ ، فتأتبه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، فأشده الأعشى ميمون ابن قيس أبو بصير ، ثم أشده حسان بن ثابت الانصاري :

لنا الجفنة الغريرة في الضحى وأسيافنا يقطرن من نهد دما  
ولدنا بني العنقاء وابنتى محرق (٢) فأكرم بنا خلا وأكرم بنا ابننا

فقال له النابغة : وأنت شاهر ، ولستك أقلت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . وإنما قال له : أقلت جفانك وأسيافك ، لأن الجفنة ، لأدنى العدد والكثرة جفان ، وكذلك أسياف ، لأدنى العدد والكثرة سيف . وإنما قال له : وفخرت بمن ولدت ، لأنه ترك الفخر بالآباء وفخر بمن ولد نسائه . وقد احتس من مثل هذا الزلل رجل من كلب ، فقال يذكر ولادتهم لمصعب بن الزبير وغيره من ولده نساؤهم :

وعبد العزيز قد ولدنا ومُصنَّبَا وكاب أبنا للصالحين ولود

فإنه لما فخر بمن ولده نساؤهم فضلل رجالهم ، وأخبر أنهم يلدون الفاضلين ، وجمع ذلك في بيت واحد ، فأحسن وأجاد .

تنوين الجاحظ فيها :

وأول من تصدى للكتابة في هذه المسائل بعد الإسلام أبو عثمان عمرو بن بحر

(١) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ص ٦٠ ، المطبعة السلفية .

(٢) العنقاء : لقب نعلبة بن عمرو ، ولقب به أطول عنقه ، وعرق : هو الحارث بن عمرو ملك الشام .

الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، فقد أشار في كتابه «البيان والتبيين» ، إلى بعض مسائل من هذه المسائل (١) ، ويمكن ترتيب ما جاء في هذا الكتاب غير مرتب من ذلك في أربعة فصول قصار :

(١) الكلام على صحة منارج الحروف ، ثم على العيوب التي سببها اللسان أو الأسنان أو ما قد يصيب الفم من التشوه .

(٢) الكلام على سلامة اللغة ، والصلة بين الالفاظ بعضها وببعض ، والعيوب الناشئة من تنافر الحروف تنافرأ يجه السمع .

(٣) الكلام على الجملة والعلاقة بين المعنى واللفظ ، ثم على الوضع والإيجاز والإطناب ، والملازمة بين الخطبة والسامعين لها ، والملازمة بين الخطبة وموضوعها .

(٤) الكلام على هيئة الخطيب وإشاراته .

تدوين ابن المعتز :

وقد حذا حذو الجاحظ في ذلك عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ، وقدمه ابن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، وألف الأول في هذه المسائل كتاباً سماه «البديع» ، ذكر فيه سبعة عشر نوعاً من فنون البديع ، منها الاستعارة والتكناية والتورية والتجنيس والسجع إلى غير ذلك ، وقال : « ما جمع قبلي فنون البديع أحد ، ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف ، ومن رأى أن يقتصر على ما اخترنا فليعمل ، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره » . وقد نازعه أبو هلال العسكري (٢) في هذه الدعوى ، وذكر أن القدماء كانوا يعرفون هذه الفنون أيضاً .

تدوين قدامة :

وقد ذكر قدامة في كتابه «نقد قدامة» وهو في نقد الشعر ، عشرين نوعاً من البديع ، فزاد على ابن المعتز ثلاثة عشر نوعاً ، وقد أشار في خطبة كتابه «نقد الشعر» إلى أن سبب وضعه له ما شاهده من النقص في كتاب «البيان والتبيين» وأن الجاحظ إنما ذكر فيه أخباراً منتخلة ، وخطباً منتخبة ، ولم يأت فيه بوصف البيان ، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان ، وكان بهذا غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب إليه .

(١) مقدمة نقد النثر . (٢) كتاب الصناعتين ص ٢٠٤ .

### تدوين عبد القاهر :

ثم جاء عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ (١) فذلك في ذلك طريقا غير الذي سلكه من كان قبله ، إذ لم تكن مباحثهم فيه جارية بجرى البحث العلمي ، والنظر الفنى ، بل كانوا على الغالب يتناولون هذه المسائل على اعتبار أنها أبواب ذات شأن كبير من أبواب علم الأدب ، ولا يعنون فيها بشرح تعريف خفى ، ولا بتحقيق مسألة مضطربة ، فعفى هو في كتابيه «أسرار البلاغة» ودلائل الإعجاز» بذلك كله ، وأمل في من القواعد ما شاء الله أن يمل ، وأحكم بيانها بضرب الأمثلة والشواهد على نحو ما كان يفعل من كتب في ذلك قبله ، وكان بهذا أول من وضع أسس والطريقة النثرية في تدوين هذه المسائل ، فصارت بها أقرب إلى الفلسفة منها إلى الأدب .

وكانت هذه المسائل إلى هذا الزمن تسمى تارة علم البيان ، وتارة علم البديع ، وتظهر كلها نظرة واحدة بدون فرق بين ما يرجع منها إلى النظم والتأليف ، وما يرجع منها إلى وضوح الدلالة وخفائها ، وما يرجع منها إلى الحسنات البديعية التي تلى مرتبة ذلك في البلاغة والفصاحة ، فكانت كلها علما واحدا متحدا الموضوع والغاية ، ويرجع الأمر فيه إلى البحث في أسرار البلاغة والفصاحة .

### تدوين السكاكي :

ثم جاء أبو يعقوب السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (٢) فزاد هذه المسائل وبوتها ، وأفرد ما يتعلق منها بنظام الألفاظ في علم سماه (علم المعاني) ، وأفرد ما يتعلق منها بوضوح الدلالة وخفائها في علم سماه (علم البيان) ، وجعل الوجوه التي تقصد لتحسين الكلام ذبلا لهذين العلمين ، وهى التي خضعت بعد ذلك باسم (علم البديع) ، وقد استعان على ذلك بما كان له من واسع الاطلاع على علوم المنطق والفلسفة ، ولكن ذلك جعله يجرى في تلك (الطريقة النثرية) بأكثر مما جرى فيها عبد القاهر ، ويفضى عما كان يعنى به عبد القاهر من الإكثار من ضرب الأمثلة والشواهد .

(١) أمالى الشيخ على عبد الرازق في علم البيان وتاريخه ص ٢٢ .

(٢) علوم البلاغة ص ٩ ، المطبعة الحديثة ،

### محاولته تطبيق أساليب العرب على أساليب اليونان :

إذ كان همه في الأكثر إلى تطبيق أساليب العرب على علوم اليونان واصطلاحاتهم ، فبسم ذلك هذه العلوم عن غايتها ، وأبعد ثمرتها عن طالبها ، وقد حاول الخطيب في كتابه ( الإيضاح ) أن يجمع فيه بين طريقي عبد القاهر والسكاكي ، فوصل في ذلك إلى بعض غايته ولم يصل إلى ما يجب في ذلك كله .

### انكار ابن الأثير على هذه المحاولة :

وبينا كان السكاكي يحاول تطبيق أساليب العرب على علوم اليونان واصطلاحاتهم ، كان ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ يحارب في كتابه ( المثل السائر ) هذه المحاولة ، ويجري فيه على سنن عبد القاهر ومن كان قبله (١) ، ويرى أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والفطرة ، ولم تكن العرب تعرف شيئاً من المعاني الخطابية التي كان حكماء اليونان أول من تكلم فيها ، وحصر أصولها ، وقد ذكر أنه وقف على ما جاء منها في كتاب ( الشفاء ) لأبي علي بن سينا فاستجمله ، لأنه طوّل فيه وعرض كأنه يحتاج إلى بعض اليونان ، وكل الذي ذكره لغرض لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئاً ، ثم مع هذا جميعه فإن معون الفوم فيما يذكر من الكلام الخطابي أنه يورد على مقدمتين ونتيجة ، وهذا مما لا يخطر ببال عربي فيما يصوغه من شعر أو كلام مسجوع ، ولو أنه فسر أولاً في المقدمةتين والنتيجة ثم أتى بنظم أو نثر بعد ذلك لما أتى بشيء يفتق به ، ولعل الخطيب عليه ، على أن اليونان أنفسهم لما نظموا ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه في وقت نظمهم وعندهم فكر في مقدمتين ولا نتيجة ، وإنما هذه أوضاع توضع ويطول بها مصنفات كتبهم في الخطابة والشعر ، وهي كما يقال قماقع ليس لها طائل .

### تدوين المتأخرين :

ولكن القوم بعد السكاكي وابن الأثير آثروا طريقة الأول على طريقة الثاني ، وجروا في الطريقة التقريرية إلى آخر حدودها ، وأملوا في هذه العلوم إيراد الأمثلة والشواهد التي كانت تورد فيها ، ففقدت بهذا كل صفة أدبية لها ، بل صارت في البيان العربي أداة فساد لا أداة إصلاح .

(١) المثل السائر ص ١٢٠

# علم المعاني

## تعريف الخطيب :

عرف الخطيب علم المعاني بأنه علم يحرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ، والمراد بأحوال اللفظ ما يشمل أحوال الجملة بطرفيها من الفصل والوصل والإيجاز والإطساب والمساواة ، وما يشمل أحوال كل من طرفيها كالذكر والحذف والتقديم والتأخير وغيرها ، وما يشمل أحوال الإسناد كالتأكيذ والقصر وغيرها . وقد خرج بذلك علم البديع لأنه يرجع إلى تلك المحسنات السابقة ، وكذا علم البيان لأن أحوال اللفظ الذي تذكر فيه من الجواز والسكنانية وغيرها لا تذكر فيه لبيان ما يفتضيه الحال منها ، وإنما تذكر فيه لبيان ما يعتز به من التعقيد المعنوي فيها

## الفرق بين موضوعات العلوم الثلاثة :

وقد فرق بعضهم بين علم المعاني وعلم البيان بأن علم المعاني يتعلق بالأمور اللفظية من الذكر والحذف ونحوهما ، وعلم البيان يتعلق بالأمور المعنوية من التشبيه والجواز وغيرها ، أما علم البديع فيتعلم بالأمور معاً على ما سيأتي فيه ، وقد يأتي فيما يتعلق به علم البيان اعتبار المطابقة لمقتضى الحال ، ولكن اعتبار ذلك فيه لا يرجع إلى جهات مضبوطة يصح بها ذكره في علم المعاني ، ومن ذلك قول الأخطل في مدح عبد الملك بن مروان :

وقد جعل الله الخلافة منهم  
لا بلج لا عارى الخوان ولا جندب

فإن هذه كناية عن الكرم مقبولة في ذاتها ، ولكن مثل هذا لا يمدح به الملوك ، وكذلك قول كثير في مدح عبد العزيز بن مروان :

وما زالت رفاك تسئل ضغنى  
ومخرج من مكانها ضبابي

ويرقى لك الراقون حتى  
أجابته حيلة تصف التراب

وإنما تمدح الملوك بمثل قول محمد بن وهيب في مدح المعتصم :



له همم لا منتهى لكبارها ومهنته الصغرى أجل من الدهر  
له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر  
ومن ذلك في التشبيه قول هيبند الله بن قيس الرقيات في مدح عبد الملك  
ابن مروان :

يعتدل التاج فوق مفارقة على جبين كأنه الذهب  
فإنه لما سمع منه ذلك قال : أمّا لمصعب بن الزبير فتقول :  
لئما منصّب شهاب من اللّـه تجلت عن وجهه الظلماء  
وأما لي فتقول : على جبين كأنه الذهب !  
تعريف ثان لعلم المعاني :

وقد عرفت بعضهم علم المعاني بأنه علم يبحث فيه عن أحوال التراكيب العربية  
[ من حيث التراكيب والمزايا بعد فهم المعاني الأصلية من علم النحو .

#### الفرق بين علم المعاني وعلم النحو :

وقد فرق ابن الأثير (١) بين نظر النحوي في الألفاظ ونظر صاحب علم البيان  
( يريد به ما يشمل العلوم الثلاثة ) بأن موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ،  
وصاحبه يسأل عن أحوالها المفظة والمفهومة ، وهو والنحوي يشتركان في أن  
النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع ، وتلك دلالة عامة ،  
وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن  
تكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب ، وقد أخذت  
أقسام النحو من واصلها بالنقلند حتى لو حكمت القضية فيها بنصب الفاعل ورفع المفعول  
وهو ذلك لما كان المقلد يأباه ، أما تلك التراكيب والمزايا البيانية فقد استندت بالنظر فضيلة  
العقل من غير واضح اللغة ، فإن كل عارف بأسرار الكلام من أي لغة كانت يعلم أن إخراج  
المعاني في ألفاظ حسنة رائعة يلزمها السمع ، ولا يذو عنها الطبع ، يحير من إخراجها

في ألفاظ قبيحة ينبر عنها السمع ، ولو أراد واضح اللغة خلاف ذلك لما قلدها .

غفلة السكاكي عن الفرق بينهما :

وقد غفل السكاكي والخطيب عن هذا الفرق بين نظر علم المعاني في الألفاظ ونظر علم النحو فيها ، فأدخل كثيراً من المعاني الذخوية في مباحث علم المعاني ، وهذا كما ذكرنا في أحوال التعريف أن التعريف بالإضمار يكون لأن المقام للتكلم أو للخطاب أو الغيبة ، كقول بشار :

أنا المرءة لا أخفى على أحد ذررت في الشمس القاصي والداني

وقول أمانة الخشمية صاحبة ابن الدثينة :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأثمت بي من كان فيك يلوم

وقول القاسم بن حنبل المرسي :

من البيض الوجه بني سنان لو أنك تستضيء بهم أضواء

هم حلكوا من الشرف المصطفى ومن كرم المشيرة حيث شاءوا

فكل هذه وأشباهاها معان نحوية ، وليست في شيء من وجوه الفصاحة والبلاغة . ولذا كان علم النحو ينظر في بعض ما ينظر فيه علم المعاني من الذكر والحذف والتقديم والتأخير وغير ذلك ، فإنما ينظر فيها من جهة بيان وجوه معانيها وامتاعها ، وأما علم المعاني فإنما ينظر فيها من جهة بيان الوجوه التي ترجع بعضها على بعض ، ولهذا قال هيد القاهر (١) : دلالة إذا كان بينا في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه فلا مزية فيه ، وإنما تكون المزية إذا احتمل وجهها آخر غير الذي جاء عليه ، ثم رأيت النفس تنبؤ عن ذلك الوجه الآخر ، ورأيت للذي جاء عليه محسناً وقبولاً لعدمها إذا أنت تركته إلى الثاني ، ومثال ذلك قوله تعالى : ( ولتجدنهم أحسن الناس على حياة ) (٢) فإن الكلام يحتمل تعريف الحياة ، ومن هنا جاءت مزية التذكير فيه ، وسيأتي بيان ذلك في موضعه .

(١) دلائل الإعجاز ص ١٥٥ مطبعة العتوق الأدبية ،

(٢) سورة البقرة آية ٩٦

هذا والمعنى الاصلى عندهم هو عبارة عن مجرور ثبوت المسند للمسند إليه ، مثل قولك د زيد قائم ، ، والمعنى الزائد عن الاصلى هو الصفة التى يقتضيها الحال زيادة عن المعنى الاصلى ، كالتأكيد عند الإنكار فى قولك د إن زيدا قائم ، ودلالة الكلام عندهم على المعنى الزائد عن الاصلى من الدلالة الالتزامية ، أو هى من مستتبعات التراكيب مثل دلالة القول على وجود قائله ، والذي أراه أن التأكيد معنى أصلى فى قولك د إن زيدا قائم ، ، لأنه مستفاد من د إن ، بطريق الوضع ، وإنما المعنى الزائد عن الاصلى فى ذلك هو ما يلزمه من دفع الشك أو الإنكار أو نحو ذلك من الأغراض التى تمهد من الكلام ولا تدخل فى المعنى الذى تدل عليه بطريق الوضع ،

ويمكن حصر علم المعانى فى هذه الابواب الثلاثة :

- (١) أحوال الإستناد مطلقاً خبرياً أو إنشائياً .
- (٢) أحوال الطرفين والمتعلقات من المفعول وغيره من الفضلات
- (٣) أحوال الجملة فى ذاتها بتقطع النظر عن طرفيها ومتعلقاتها .

# أحوال الاسناد

## ١ - التأكيد

### مقامات التأكيد :

روى عن ابن الأبارى أنه قال : « ركب السكندى المتفلسف إلى أبي العباس وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً ، فقال له أبو العباس : « أي موضع وجدت ذلك ؟ » فقال : « أجد العرب يقولون عبد الله قائم ، ثم يقولون : (إن عبد الله قائم ، ثم يقولون إن عبد الله قائم ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد ، فقال أبو العباس : « بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم «عبد الله قائم ، إخبار عن قيامه ، وقولهم : « إن عبد الله قائم ، جواب عن سؤال سائل وقولهم «إن عبد الله قائم ، جواب عن إنكار منكر قيامه ، فتد تكرر الألفاظ لتكرر المعاني ، فإحار المتفلسف جواباً .

فلا يخفى المخاطب من أن يكون واحداً من ثلاثة :

### مقام خالي الذهن :

(١) خالي الذهن من الحكم ومن التردد فيه والإيثار له : فيبقى إليه الكلام بدون تأكيد ويسمى هذا الضرب ابتدائياً ، وهم يمدون مراعاة ذلك من البلاغة ، وهو عندي من الظهور بحيث يستوى فيه البليغ وغيره ، بخلاف مراعاة حالتى التردد والإيثار ، فإن هذا مما ينفرد به البليغ وحده ، على أنه لا مانع عندي من أن يعد هذا الضرب في الطرف الأسفل من طرفي البلاغة ، إلا إذا اشتمل على وجوه أخرى من وجوهها الآتية في الذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، إلى غير ذلك مما يأتي في أبوابه .

### تنزيل غير الخالي منزلة الخالي :

وقد لا يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم ، ولكنه ينزل منزلة الخالي منه

لعدم جوية على موجب عليه به ، فيلقى إليه بدون تأكيد كما يلقى إلى الجاهل ، ولا شك أن مراعاة ذلك له حظ في البلاغة أعلى من الحالة الأولى ، وهذا كقول الفرزدق لحشام بن عبد الملك حينما سئل عن زين العابدين وقد التف الناس في الطواف به ، فأظهر لسانه الجبل به ليصرفه عنه :

هذا ابنٌ خير عبادِ الله كلهمُ      هذا النقيُّ البقيُّ الطاهرُ العَالمُ  
هذا ابنُ قاطمةٍ إن كنت جاهله      بجدهُ أنبياءُ الله قد مُنعموا

### مقام المتردد :

(٢) المتردد في ثبوت الحكم وعدمه : وهذا يجب تأكيد الحكم له ، خصوصا إذا كان عنده ظن بخلافه ، كما إذا كان الحكم بأمر يبعد في الظن مثله لأنَّ العادة جرت بغيره ، وهذا كقول أبي نواس :

عليك بالياس من الناس      إنَّ في نفسك في اليأس

ويسمى هذا الضرب طلبيا ، ومن أمثلته قوله تعالى ﴿ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا . قال أم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ (١) . وقول الشاعر :

ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي      والضحُّ أغلى ما يباع ويوهبُ

### تنزيل غير المتردد منزلة المتردد :

وقد لا يكون المخاطب مترددا في الحكم ، ولكنه ينزل منزلة المتردد إذا قدم إليه قبل الحكم ما يلوج به ، فيؤكد له الحكم أيضا لتطعمه له تطاع المتردد الطاب كقوله تعالى : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ (٢) وقوله ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ (٣) وسلوك هذه الطريقة شعبية من البلاغة فيهادقة وغموض ، ولهذا خفيت على بعض حلوة هذا الفن ، روى عن الأصمعي أنه قال : دكان أبو عمرو

(١) سورة يوسف الآية ٩٦ .

(٢) المؤمنون د ٢٧ .

(٣) يوسف د ٣٥ .

ابن العملاء وخلفه الآخر بآتيان بشارا فيسلطان عليه بغاية الإعظام ثم يقولان :  
يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي  
وقع الزوال ثم ينصرفان ، فأتياه يوماً فقالا : ما هذه الفصيدة التي أحدثتها في ابن  
قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكما ، فالأ : بلغنا إنك أكثرت فيهما من الغريب ، قال : نعم ،  
إن ابن قتيبة يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرف ، قال :  
فأنشدها يا أبا معاذ ، فأنشدها :

بَكَرُوا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ      إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي الْفَكِيرِ

حق فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان د إن ذاك النجاج ،  
د بكرا فالنجاج ، كان أحسن . فقال بشار : إنما بليتسها أهرابية وحشية ، فقلت  
د إن ذاك النجاج ، كما يقول الأهراب البدويون ، ولو قلت د بكرا فالنجاج ، كان  
هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ، ولا يدخل في معنى الفصيدة . فقام  
خلف فقبل بين عينيه . وإنما كان د بكرا فالنجاج ، من كلام المولدين لأنه ليس فيه  
من دقة الإشارة إلى تنزيل غير المتردد منزلة المتردد ما في الأسلوب الأول ، وإنما فيه  
تذكير الأمر بالتبكير لتأكيده على وجه ظاهر ليس فيه دقة ذلك التأكيذ ، والمولدون  
يؤثرون السهولة على الدقة .

### مقام المنكر :

(٣) المنكر للحكم : وهذا يجب تأكيده للحكم له بقدر إنكاره قوة وضفا ،  
فيؤتى له في ذلك بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر على حسب ما يقتضيه إنكاره .

### أدوات التاكيد :

وأدوات التأكيذ كثيرة منها : إن ، وأن ، ولأم الابتداء ، ونونا النوكيد ،  
والنسم ، و د أما ، الشرطية ، وأحرف التنبيه ، وأحرف الزيادة ، وضمير الفصل ،  
والسدين وسوف الداخلتان على فعل دال على بعد أو وعيد ، وقد التي للتحقيق ، وإنما ،  
ويسمى هذا الضرب إنكاريا ومنه قوله تعالى ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب  
القرية إذ جاءها المرسلون ، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكفرتا بهما فعززا بثالث فقالوا  
لما إليكم مرسلون ، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء لئن أنتم إلا

تكذبون ، قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون (\*) وقد قال تعالى في المرة الأولى :  
( إنا إليكم مرسلون ) وفي الثانية ( ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ) لأن  
تكذيبهم لهم في المرة الثانية أشد من تكذيبهم لهم في المرة الأولى :

#### تنزيل غير المنكسر منزلة المنكسر :

وقد لا يكون المخاطب منكراً ، ولكنه ينزل منزلة المنكسر ، إذا ظهر عليه شيء  
من أمارات الإنكار ، فيؤكد له الحكم تأكيداً للمنكسر ، كقوله جبريل بن الفضل :

جاء شقيق عارضاً ربه إن بني هكك فيهم رماج  
هل أحدث الدهرُ لنا نكبة أم هل رقت أم شقيق سلاح (١)

فإن عجيبه هكذا مدلاً بشجاعته دليل على إعجاب شديد منه ، واعتقاد أنه  
لا يقوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزّل ليس مع أحد منهم رميح .

#### تنزيل المنكسر والمتردد منزلة غيرهما :

وكما ينزل غير المتردد منزلة المتردد وغير المنكسر منزلة المنكسر ، ينزل المتردد  
والمنكسر منزلة غير المتردد والمنكسر ، إذا كان معهما ما إن تأملاه زال منها المتردد  
والإنكار ، وهذا يدخل فيما سبق من تنزيل غير الخالي من الحكم منزلة الخالي منه ،  
وعليه قوله تعالى في حق القرآن ( ألم \* ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ) (٢)  
فإن هذا لا يؤسّله الكفار المخاطبون به ، ولكنه مترك بدون تأكيد للتنبيه على أنهم  
لا حق لهم في إنكاره .

وبما اجتمع فيه تنزيل غير المنكسر منزلة المنكسر وتنزيل المنكسر منزلة غير  
المنكسر قوله تعالى ( ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ) (٣)  
أكد إثبات الموت تأكيداً ، وإن كان بما لا ينكر ، لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ

(\*) سورة يس ١٣ ، ١٤

(١) شقيق ابن عمه ، وعرضه ربه أن يجعله على فخذه بحيث يكون عرضه  
جهة الأعداء ، ورتق : من الرقية لجعلته لا يقطع شيئاً .

(٢) سورة البقرة الآية ١ ، ٢ (٣) سورة المؤمنون الآية ١٦

في إنكار الموت ، لتأديهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده ، ولهذا قيل  
( ميتون ) دون تموتون ، لما سيأتي من أن الأول يفيد الثبوت ، والثاني يفيد  
التجدد . ثم أكد لإثبات البعث تأكيداً واحداً مع أنهم يبالغون في إنكاره بخلاف  
الموت ، لأنه إما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بالاعتبار ، بل إما أن يعترف به  
أو يتردد فيه ، فنزل المخاطبون المشكرون له منزلة المترددين ، تنبيهاً لهم على ظهور  
أدلتهم . وحشاً على النظر فيها ؛ ولهذا جاء فيه ( تبعثون ) على الأصل ، وهذا من  
تنزيل المشكر منزلة المتردد ، وهو قليل نادر ، والغالب تنزيهه منزلة الخالي الذهن  
من الحكم .

#### مقامات أخرى للتأكيد :

وللتأكيد مقامات أخرى غير تلك المقامات ، منها الاعتناء بشأن الحكم  
والاهتمام به ، مثل قولهم إن البلاء موكّل بالمنطق ، إن خذاً لما ظنّه قريب ،  
إنما هو الفجر أو البحر ، (١) إن المناكب خيرها الأبرار ، (٢) . ولهذا حسن  
استعمال ضمير الشأن مع إن مثل قوله تعالى ( إنه من يتق ويصبر ) (٣) إنه لا يفلح  
الظالمون ) (٤) لأن الغرض منه الاهتمام بشأن الحكم ، وهي أدخل فيه .

ومنها بيان صدق الرغبة في الحكم وقصد رواجه ، مثل قوله تعالى ( وإذا لقوا  
الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قلوا إنا معكم إنما نحن مستهزون ) (٥)  
فلم يؤكدوا فيها مخاطبوا به المؤمنين لأنه لا يروج منهم عندهم ، وأكدوا فيها مخاطبوا  
به إخوانهم لصدق رغبتهم فيهم ، ولأنه رائج عندهم ، متقبل منهم

(١) أي إن انتظرت حتى ينفذ لك الفجر الطريق أبصرت قدرك ، وإن خبعت  
الظلماء وركبت العشاء هجم بك على المكروه . وهو مثل يضرب في الحوادث التي  
لا امتناع منها .

(٢) جمع منكوحة وسقته من كبح فحذفت الياء

(٣) سورة يوسف : ٩٠ (٤) سورة الأنعام : ٢١ (٥) سورة البقرة : ١٤



ومنها التنبية على استبعاد الحكم عند المتكلم وأنه كان يظن خلافه ، مثل قوله تعالى حكاية عن أم مريم ( رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ) (١) وقوله ( رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّابُونَ ) (٢) .

ومنها ربط الجملة بما قبلها مثل قول بشار :  
بَكَرْنَا صَاحِبِيَّ قَبْلَ الْهَجْرِ إِنَّ ذَاكَ النِّجَاحُ فِي النَّجِيِّ  
وكقول بعض الأعراب :

فَقَدْهَا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غَنَاءَ الْإِبِلِ الْفِدَاءُ  
ولهذا يصح أن تقع الفاء في ذلك موقع « إن » ، ولكنه لا يكون للسلام  
معه من الحسن مثل الربط بإن ، ولا يوجد له من الالفة مثل الذي كان له .  
ومنها تهئية المنكرة لصحة الإخبار عنها . فإذا كانت موصوفة كانت مع « وإن »  
أحسن ، كقول الشاعر :

إِنْ دَهْرًا يَلْتَفِتْ عَلَى سَعْدِي لَوَافٍ بِهِمْ بِالْإِحْسَانِ  
ومنها إغناؤه عن الخبر في بعض المواضع ، وهذا كما في قول الأعشى :  
إِنَّ مَحْتَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًّا وَلَنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا كَمَلًّا (٣)  
أى إن لنا عالا في الدنيا ، وإن لنا مرتحلا عنها إلى الآخرة ، وهذه التسمية  
والتي قبلها نكتتان محويتان أكثر منهما بلاغيتين .

## ٢ — القصر

مزاي القصر :  
القصر باب عظيم من أبواب البلاغة ، وهو ضرب من الإيجاز والتأكييد  
في اللفظ ، فإذا نظرنا إلى قول العباس بن الأحتف :  
أَنَا لَمْ أَمْرُؤٌ مَوْدِيكُمْ إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا وَزَقَا

(٢) الشعراء : ١١٧

(١) آل عمران : ٣٦

(٣) محلا ومرتحلا مصدران ميميان بمعنى الحلول والارتحال ، والمسافر  
المسافرون ، والمراد بهم الموتي . والمثل : الإهمال وطول الغيبة

وجدنا قوله « إنما للعبد ما رزقا » جملة واحدة تفيد معنى جملتين ، إحداهما مثبتة: «العبد ما رزقا» والثانية مفيدة: «ليس للعبد ما لم يرزقه» ، وكذلك إذا نظرنا إلى القصر في قول عمرو بن كلثوم :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونسب طش حين نبعش قادرينا  
وجدنا قوله « لنا الدنيا » في معنى هاتين الجملتين « الدنيا لنا » ، « الدنيا ليست لغيرنا » ، وقد يصريح في القصر بالنفي والإثبات، مثل قول مدريد بن الصنمعة :  
وما أنا إلا من غريفة إن غوت فوئت وإن نرشد غربة أرشد  
ولكنه على كل حال يكون أوجه من هاتين الجملتين التامتين ، وهذا الإيجاز من أهم مزايا القصر ، ولعل هذا فيه من خصائص اللغة العربية ، ومن مزايا القصر أيضا أنه يُقصد منه تمكين الكلام وتقريره في الذهن ، وسيله في هذا سبيل التأكيد فيما سبق ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

تعريف القصر :

ولا بأس بعد هذا أن نذكر كلمة في تعريف القصر وأقسامه ، فالقصر في اللغة الحبس كما قال تعالى : ( حور مقصورات في الخيام ) (٥) وفي اصطلاح علماء المعاني تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، والشئ الأول هو المقصور . والشئ الثاني هو المقصور عليه ، والطريق المخصوص هو أدراؤه الموضوع له .

طرق القصر :

وللقصر طرق كثيرة أشهرها أربعة : العطف بلا أو إل أو لكن ، والاستثناء من النفي ، وإثما ، والتقديم .

والعطف أقوى هذه الطرق في الدلالة على القصر ، للتصريح فيه بالإثبات والنفي ، ويليه في ذلك الاستثناء من النفي ، ثم إثما ، ثم التقديم ، ودلائله على القصر بالدوق والنظر في سر التقديم حتى يفهم بالقرائن الحالية أنه لا تخصيص ونفي الحكم عن غير

(٥) سورة الرحمن الآية ٧٢ .

المذكور فيه . أما دلالة الثلاثة قبله على القصر فبالوضع لا بالذوق (١) .

### القصر الحقيقي والإضافي :

وينقسم القصر إلى حقيقي وإضافي ، والقصر الحقيقي هو ما كان التخصيص فيه بحسب الحقيقة والواقع ، مثل قوله تعالى (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) (٢) فالملك مختص بيده في الحقيقة والواقع ، ولا يتعداه إلى شيء أصلاً ، والقصر الإضافي هو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين ، لا بالإضافة إلى جميع ما عدا المذكور ، وهذا مثل قول الشاعر :

إنما الدنيا هبات وعوارٍ مُستَرَدَّةٌ  
شدة بعد رخاءٍ ورخاء بعد شدة

فالمراد إنما الدنيا هبات وعوارٍ ، لا حال يبق ويذوم ، وتخصيص الدنيا بالهبات إنما هو بالإضافة إلى ذلك فقط ، وإلا فإنها تتجاوز الهبات إلى ما عداها من كونها حلوة أو مرة أو غير ذلك .

### نقد النماية بأقسام القصر

ولا يكتفى القوم هنا بتقسيم القصر إلى هذين القسمين ، بل يجرون في تقسيمه باعتبارات مختلفة إلى أن يصل بهم ذلك إلى التعقيد والإملاط ، فيقسمونه باعتبار المقصور إلى قصر موصوف على صفة ، وقصر صفة على موصوف . وباعتبار حال المخاطب به إلى قصر أفراد ، وقصر قلب ، وقصر تعيين . وقصر الأفراد عندهم يسكون للرد على مخاطب يستند الشرية في حكم بين شيئين أو أكثر ، فيقصره المتكلم على أحدهما ، وقصر القلب يسكون إذا كان المخاطب يعقده عكس الحكم ، وقصر التعيين يسكون إذا كان المخاطب متردداً فيه . ولا شك أن علم البلاغة لا يستفيد شيئاً من هذه الأقسام التي أشرنا إلى بعضها وأعرضنا عن بعضها الآخر حتى لا نشوه علم

- 
- (١) ومن غريب أسرار السكاكي والخطيب أنهما بعد هذا يحاولان إثبات دلالة الاستثناء من النفي وإنما على القصر بأدلة تكلفها جرياً وراء نزعتهم المنطقية .
- (٢) سورة الملك (تبارك) آية ١ .

البلاغة به . وإنما جرى المتأخرون في ذلك وراء السكاكي ونزعته المنطقية ، وشغفه باستنباط القواعد واستقراء الجزئيات المندرجة في السكليات .

### القصر الحقيقي والادعائي :

والقصر يكون حقيقياً لا ادعاء فيه، ويكون ادعائياً مجنياً على الادعاء والمبالغة .  
والقصر الادعائي مقبول في مقام المدح والفخر وما إليهما ، مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْخِرَ وَالْمَيْسِرَ وَالْأَنْصَابَ وَالْأَزْلَامَ رَجَسَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ (\*) .

ومثل قول الشاعر :

هل الجودُ إلا أن تجودَ بأنفسِ      على كلِّ حاضٍ الشَّفِرتين تحقيلـ

وقول أبي تمام :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى      ما الحبُّ إلا للحبيب الأول

وقول الخنساء :

ترنح ما رمت حتى إذا أدكرت<sup>(١)</sup>      فإنما هي إقبال وإدبارُ

### القصر بالعطف :

والقصر بالعطف يكون ببل يعد النفي مثل قول الشاعر :

ليس اليتيمُ الذي قد مات والدُهُ      بل اليتيمُ يقيمُ العلمُ والأدبُ

ويكون بلا مثل قول الشاعر :

ولفني من ماله ما قد متُّ      يداه قبل موته لا ما اقتنيتي

ويكون بلكن مثل قول الشاعر :

إنَّ الجديدين في طول اختلافهما      لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وتحمل في هذا د بل ، التي للإضراب لا للعطف ، ود اسكن ، التي للاستدراك

(\*) سورة المائدة الآية ٩٠

(١) الضمير للفاقة ، وأدكرت : ذكررت .

لا للعطف على دليل، ولا سكن، العاطفتين، كما ذهب إليه ابن يعقوب والسبكي (١)، وإنما لم تتقدم بل، القصر به، الإثبات، لأنها فيه تجعل ما قبلها في حكم المسكوت عنه فقط.

والأصل في القصر بالعطف أن يدل فيه على المثبت والمنفى بالنص، فلا يترك ذلك إلا كراهة الإطناب في مقام الاختصار، كما إذا قيل «زيد يعلم النحو والتصريف والعروض والأدب، فقول: زيد يعلم النحو لا غير، وفي معناه ليس إلا. وأما القصر بالاستثناء وإنما وبالتقديم فالأصل فيه أن يدل بالنص على المثبت دون المنفى، وقد يجهل فيها على خلاف الأصل، فيقال في التقديم: ما أنا قلت هذا، بالنص على المنفى دون المثبت، ويقال في الاستثناء: ما قام القوم إلا زيدا، بالنص على المثبت والمنفى معا، وإنما كان هذا خلاف الأصل لأن الاستثناء المفرغ هو الأصل في القصر.

#### القصر بالاستثناء من النفي:

والقصر بالاستثناء من النفي يكون بأدوات الاستثناء جميعها مثل قوله تعالى: (قل سبحانه ربى هل كنت إلا بشرا رسولا) (\*) ومثل قول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم من فلول من قراع السكائب

وقد ذهب السبكي (٢) إلى أن الاستثناء من الإثبات يفيد القصر أيضا؛ لأن قولك قام القوم إلا زيدا، يفيد قصر عدم القيام على زيد دون القوم، وذهب الجمهور إلى أن الاستثناء في هذا ليس بقصر، وإنما هو قيد موضح للحكم، فكأنك في هذا المثال قلت: جاء القوم المغايرون لزيد، فالمقصود فيه بالحكم القوم فقط.

#### القصر باتهما

والقصر باتهما يكون فيها مع كسر هزتها وفتحها، وقد اجتمعا في قوله تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما لأحكم الله واحد فاستقيموا إليه واستخفروه

(\*) سورة الإسراء الآية ٩٣.

(١) مواهب الفتح ص ١٨٦ وعروس الأفراح ص ١٨٧ ج ٢ من شروح التناخيص.

(٢) عروس الأفراح ص ١٩١ ج ٢ من شروح التناخيص.

وويل للبشر كين (٥) فالعنى فى الاول على قصره على البشرية ، والمعنى فى الثانى على قصر الالهية على التوحيد ، وقيل إن المفتوحة لا تفيد القصر .

ومن القصر بانما المكسورة قول الشاعر :

وما لأمري طول الخلود وإنما بخللّه طولُ الشناء فيخلدُ

القصر بالتقديم :

والقصر بالتقديم يكون بتقديم المسند إليه فى مثل قول المتنبي :

وما أنا أسقى جسمي به ولا أنا أضرم فى القلب نارا

وبتقديم المسند على المسند إليه فى مثل قول الشاعر :

لك للقلام الأهل الذى يشباهه (١) يصاب من الأمر الكلى والمفصيل

وبتقديم بعض معمولات الفعل عليه مثل قول الشاعر :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أتى أرى الأرض تبقى والانحلاء تذهب

وقد ذهب ابن الأثير (٢) إلى أن تقديم بعض معمولات الفعل على بعض كتقديم الحال على صاحبه يفيد القصر أيضا ، مثل : جاء راكبا زيدا ، بخلاف : جاء زيد راكبا ، إذ يحتمل أن يكون صاحبا أو ماشيا أو غيرها . وقد خالفه الجمهور فى ذلك .

مقامات القصر :

وهذا هو صميم الفن فى أمر القصر ، بخلاف تلك الأقسام التى أعرضنا عن ذكرها فيما سبق ، وبخلاف ما يعنون به ويطلقون فيه من بيان موقع كل من المقصور والمقصور عليه فى أدوات القصر الأربعة ، وبيان جواز تقديم المقصور عليه على أداة الاستثناء وعدم جوازه ، فهذه أحكام لغوية نحوية لا يصح ذكرها فى هذا الفن ، ولا العناية بها فيه ، وقد يكفينا منها بيان أن المقصور عليه فى العطف ببل أو

(٥) سورة فصلت الآية ٦ .

(٢) المثل السائر ص ١٨٠

(١) شبهة كل شيء : ح ٥ .

لكن هو ما بعدهما ، وفي العطف بلا هو ما قبلها ، وفي الاستثناء هو ما بعد إلا  
أو غيرها من أدواته ، وفي إنما هو المؤخر ، وفي التقديم هو المقدم .

### مقام الاستثناء من النفي :

والاصل في القصر بالاستثناء من النفي أن يكون فيما يحمله المخاطب وينكره أو  
يشك فيه ، كقوله تعالى ﴿ وما من إله إلا الله ﴾ (\*) فإنه أمر ينكره المخاطبون به من  
المشركين ، وقد يكون في أمر معلوم للمخاطب وإنكاره ينزل منزلة المجبول عنده  
لاعتبار مناسب ، كقوله تعالى ﴿ وما نحمد إلا رسول قد خات من قبله الرسل ﴾ (١)  
فالمنع على أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبرئ من الهلاك ، وقد نزل في  
ذلك استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه ، والاعتبار المناسب فيه هو الإشعار  
بعظم هذا الأمر في نفوسهم ، وشدة حرصهم على بقاءه عندهم ، ومن ذلك قوله  
تعالى ﴿ وما أنا بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير ﴾ (٢) فإنه يبين أن لشدة  
حرصه على هداية الناس يكرر دعوة الممنوعين منهم ، ولا يرجع عنها ، فكان في  
معرض من ظن أنه يملك مع صفة الإنذار لإيجاد الشيء فيما يمنع قبوله إياه ، ومن  
ذلك أيضا قوله تعالى ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان  
يعبد آباؤنا فأنابوا بسلطان مبين ﴾ ، قالت لهم رسالهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله  
يميز على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله  
فليتوكل المتوكلون ﴿ (٣) ففي القصر الأول نزل للكفار الرسل منزل من يكر أنه  
بشر لا اعتقادهم أن الرسول لا يكون بشرا ، مع إصرار الرسل على دعوى الرسالة ،  
وفي القصر الثاني جرى الرسل الكفار في كلامهم لتبكيهم وإلزامهم وإلخامهم ، فإن  
من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامه على  
وجهه ، ثم يبين له أنه لا يلزمه مع ذلك ما يظن أنه يلزمه ، فكان الرسل قالوا  
لهم : إن ما قلتم من أنا بشر مثلكم هو كما قلتم لا ننكره ، ولكن ذلك لا يمنع أن

(١) آل عمران الآية ١٤٤ .

(\*) ٦٢ : آل عمران .

(٢) سورة طه الآية ٢٣ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ١٠ ، ١١ .

يؤمن الله علينا برسائله ، فالقصر في كلام الرسل صوري فقط يقصد منه المشاكلة  
اللفظية ، لتكون أقوى في المجازاة ، ولا يريد منه الرسل إلا أصل الإثبات على سبيل  
التجريد . وفي القصر الثالث جرى الاستثناء من النفي فيه على أصله ، لأنه في أمر  
يجهله المخاطب وينكره .

مقام اتما :  
والأصل في القصر إنما أن يكون فيما شأنه ألا يجهله المخاطب كقول أبي الطيب  
يخاطب كافرا :

إنما أنت والدني والآبُ الفا طعَ أحنسى من واصل الأولاد  
يعنى أن كافورا لابن الإخشيدهولاه بمنزلة الوالد ، ومن شأن هذا ألا يجهله  
كافور ، وإنكته أراد أن يذكره منه بالامر المعلوم لينبئ عليه استدعاء ما يرجيه ،  
والمعنى أن الآب القاطع للأولاد أحنى عليهم من الأولاد الواصلين للآباء ؛ لأن  
حنو الوالد على ولده ، أشد من حنو الولد على والده .

وقد يكون ما تستعمل فيه وإنما يجهولا للمخاطب ، وإنكته ينزل منزلة المعلوم  
لادعاء ظهوره ، وهذا نحو قول عبيد الله بن قيس الرقيعات في مصعب بن الزبير :  
إنما مصعبٌ شهابٌ من اللـ هـ تجلت عن وجهه الظلماء  
ادعى أن كون مصعب كذلك جلي معلوم لكل أحد ، على عادة الشعراء إذا  
مدحوا أن يتعوا في كل ما يصفون به مدوحهم الجلاء . ومثله قول شوقي :  
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيتُ فإن همُ ذهبُ أخلاقهم ذهبوا  
وقول الآخر :

وإنما المرء حديثٌ بعدهُ فسكن حديثا حسنا لمن وسى  
وهذا أيضا قوله تعالى ( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن  
مصلحون ) (١) ادعى أن كونهم مصلحين ظاهر جلي ، ولهذا أكد في الرد عليهم  
بقوله ( ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ) (٢) لم يقتصر فيه على تأكيد

(١) سورة البقرة آية ١١ (٢) سورة البقرة آية ١٢ .



واحد ، بل جعل الجملة اسمية ، وعرف الخبر باللام ، ووسط ضمير الفصل ، وصدر بحرف التثنية ثم يان .

ولذا استقرت مواقع دلائلنا ، ووجد أنها أحسن ما تكون موقعا إذا كان الغرض بها التعمير بض أمرٍ هو مقتضى معنى الكلام بعدها ، لأنه إذا كان شأن الحكم الذى تستعمل فيه أن يكون معلوما للمخاطب أو منزلا منزلة المعلوم ، فإنه لا يكون مهماً لإفادته للمخاطب ، وإنما يكون المهم معنى آخر وراءه يلوّح به إليه ، لأنه جاهل به ، مُصرّ على إنكاره ، كما ترى فى قوله تعالى ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ إنما يتذكر أولو الآليات (\*) فإنه تعريض بدم الكفار وأنهم من فرط الاعتماد وغلبة الهوى عليهم فى حكم من ليس بنى عقل ، من يطمع منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن يطمع فى ذلك من غير أولى الآليات . وكما فى قول الشاعر :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما مُنَجِّحُ الأمور بقوة الأسباب  
قال يوم حاجتُنَا إليك ، وإنما يُدْعَى الطبيبُ لساعة الأوصاب  
يقول فى البيت الأول لأنه ينبغي أن أُنَجِّحَ فى أمرى حين جعلتكَ السبب إليه ،  
وفى الثانى إنما قد طلبنا الأمر من جهة حين استعنا بك فيما عرض لنا من الحاجة .  
وهو لما على فذلك . كما أن من عول على الطبيب فيما يعرض له من السقم كان قد أصاب فى فعله .

#### مقام العطف والتقديم :

وأما القصر بالعطف والتقديم فهو كما قال صاحب الأطول (١) يأتي فيها يأتى له القصر بالاستثناء من النفي ، كما يأتي فيها يأتى له القصر بإنما ، كما فى قوله تعالى ولما كان بعد ولما كان نستعين ، وقول الشاعر :

سيزدكرنى قومي إذا جد جد جددهم وفى الليلة الظلماء يُضْتَهَقَدُ الهدرُ  
وكما فى قول بعضهم :

ليس اليتيم الذى قد مات والداه بل اليتيم يتيم العلم والآداب

(٥) سورة الزمر آية ٩ (١) حاشية البناني على شرح السعد ص ٢٧٢ ج ١

مع قول الآخر :

وما شاب رأسى من سنين تباغت<sup>١</sup> على<sup>٢</sup> ولكن شيدتني الوقائع<sup>٣</sup>  
وإذا كان هذا مقامهما في القصر ، فلا شك أنه في البلاغة دون مقام القصر  
بالاستثناء والقصر بينهما ، لما يمتازان به عليهما من هذه الفروق الدقيقة .

اجتماع أداتي القصر :

وقد يجتمع في الكلام أداتا قصر على حكم واحد عند قصد زيادة التحقيق  
والأكيد ، كما سبق في قول الشاعر :

إلى الله أشكر لا إلى الناس أنى أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب<sup>٤</sup>

اجتمع فيه من أدوات القصر القديم والعطف ، ومن ذلك قول الآخر :

أسامياً لم تزد<sup>٥</sup> معرفة وإنما لذ<sup>٦</sup> ذكرناها

اجتمع فيه إنما والتقديم ، كما اجتماعاً أيضاً في هذا البيت :

ألا فليمت<sup>٧</sup> من شاء بعدك ، إنما عليك من الإقذار كان حذاريا

ولا يجوز في ذلك لغة اجتماع الاستثناء من النفي مع لا العاطفة ، لأن شرط  
المنفى بلا إلا<sup>٨</sup> يكون متفياً قبلها بخيرها ، وقد وقع في هذا الحيز في قوله :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن<sup>٩</sup> يومه على ما تجلسي يومه لا ابن<sup>١٠</sup> أمسه

ولا يحسن اجتماع إنما مع لا ، العاطفة إذا كان الحكم في نفسه مختصاً  
بالحكم عليه ، لأنه لا يكون هناك حاجة إلى تأكيد القصر ، كقوله تعالى ﴿ إنما  
يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون ﴾ (\*) فإن كل عاقل يعلم  
أن الاستجابة لا تكون إلا من يسمع (١) ، والسكاكي يمنع في هذا اجتماع لا ،  
مع « إنما » ، ولعله هو الحق ؛ لأن اجتماع أداتي القصر يكون لقصد زيادة  
التحقيق والتأكيد ، ولا داعي إلى ذلك هنا .

(٥) الآية ٣٦ سورة الانعام .

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٩

## ٢ - الاسناد الاسمي والفعل

الفرق بينهما عند عبد القاهر :

إن الفرق بين الإسناد إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل هو كما قال عبد القاهر (١) ، فرق لطيف تسم الحاجة في علم البلاغة إليه ، وببانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضى تجدد شيئاً بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضى تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء ، فإذا قلت « زيد مطلق » فقد أثبت له الانطلاق من غير أن تجعله يتجدد منه شيئاً فشيئاً ، وكنت في هذا كما تقول زيد طويل وعمره قصير ، وإذا قلت « زيد يطاق » فقد جعلت الانطلاق يقع منه جزءاً جزءاً ، وجعلته في هذا بحيث يزاوله رزقيته .

مقامات الاستمرار التجدي في الفعل :

والحق أن الفعل لا يفيد الاستمرار التجدي في كل المقامات ، ولا في كل أنواعه الثلاثة (الماضي والمضارع والامر) ، وإنما موضوعه في ذلك على إقادة التجدد بمعنى حصول الشيء بعد عدمه ، ولا يفيد الاستمرار التجدي إلا إذا كان فعلاً مضارعاً ، ولا يكون هذا إلا في مقامات خاصة تستدعيه ، وهي مقامات الفخر والمدح والهجاء ونحوها ، مثل قول طريف بن تميم المعبري :

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُسْكَاظَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَىَّ هَرَفَمَ يَتَوَسَّمُ

أي يتفرد في وجوه القوم ويتوسمها وقتاً بعد وقت لعله يهتدى إلى معرفتي ، ونحو قول المتنبي :

مَتَدَبَّرُ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كَفَّهْ وَلَيْسَ لَهُ يَوْمًا عَنِ الْجُودِ شَاغِلْ

فمقام المدح يدل على أن تدبير الملك ديدنه في كل وقت ، ويعني أن يكون المراد أن ذلك يحصل منه مرة واحدة ، وكذلك قول الآخر :

نُورُحْ وَنَغْدُحْ لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنَقُصُ

(١) دلائل الإعجاز ص ٩٤

## مقامات الاستمرار المتصل في الاسم :

وقد تفيد الجملة الاسمية الدوام والاستمرار في مثل المقامات السابقة أيضا ،  
ولكن الاستمرار في الجملة الاسمية استمرار متصل لا تجددي ، مثل قوله تعالى  
(وإنك لعل خلقي عظيم) (١) ومثل قول النضر بن مجويز :  
لا يالف الدرهم المضروب مصرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

فهو يريد أن دراهمهم دائمة الاطلاق إلى الموزين وأرباب الحاجات ، وفدساق  
عبد الفاهر (٢) هذا البيت شاهداً على ما ذكره من إفادة الاسم إثبات المعنى للشيء  
من غير أن يقتضى تجدد شيئاً فشيئاً ، ولم يعن بإثبات معنى الدوام والاستمرار  
فيه كما عني به غيره . وإنى أرى أنه لو قبل في ذلك (ينطلق) لاؤاد من الاستمرار  
التجددي ما يناسب مقام الفخر أيضاً . لكن الاستمرار المتصل أبلغ منه كما لا يخفى .  
وإذا كان وضع الجملة الاسمية على إفادة الثبوت ، ووضع الجملة الفعلية على إفادة  
التجدد ، فإن الجملة الاسمية تدل في ذلك على معنى أوفى مما تدل عليه الجملة الفعلية ،  
ولهذا ذهب بعضهم إلى أن الجملة الاسمية تفيد تأكيد المعنى ، وقد تؤثر الجملة الاسمية  
من أجل هذا في بعض المقامات على الجملة الفعلية ، كما سبق في قوله تعالى (وإذا  
لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) (٣) وكما في قوله  
تعالى (وقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء  
بعجل حنيذ) (٤) إذ أصل الأول : نسلم سلاماً ، وتقدير الثاني : سلام عايسكم ،  
كان إبراهيم عليه السلام أراد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به ، أخذاً بأدب الله  
تعالى في قوله (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) (٥) .

وكذلك قوله تعالى (قالوا أجنثنا بالحق أم أنت من اللاحقين) (٦) أى أوجدت  
عند تعاطى الحق فيما نسمة معك أم اللعب وأحوال الصبا بعد مستمرة عليك ؟  
وقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) (٧)

- 
- (١) القلم : ٤ (٢) دلائل الإعجاز ص ٩٤ (٣) سورة البقرة : ١٤ .  
(٤) هود : ٦٩ . (٥) النساء : ٨٦ . (٦) الأنبياء : ٥٥ .  
(٧) البقرة : ٨ .

اجاب قولهم (آمنّا) بقوله (وما هم بمؤمنين) لإخراج ذواتهم من جنس المؤمنين مباينة في تكذيبهم ، ولهذا أطلق قوله (مؤمنين) وأكد نفيه بالباء ، ونحوه قوله تعالى (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) (١)

### استعمال المضارع في مقام الماضي :

وقد يستعمل الفعل المضارع في مقام الفعل الماضي لأغراض منها قصد استحضار صورته لغرابته فيها أو نحوها ، كما في قوله تعالى (و الله الذي أرسل الرياح فتشهر سحباً فسقاه إلى بلد ميتة فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) (٢) إذ قال (فتشهر) استحضراً لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة ، وكما في قول تأبط شراً :

الآمن مبدلخ فيان فتشمر  
بأنتى قد لقيت القول تهوى  
مقلعها كلاًنا نضو أرض (٣)  
فشدت شدة نحوى فأهوت  
فأضربها بلا دهمش فخرت  
صريعاً للبدن وللجنان (٤)

إذ قال « فأضربها » لذلك أيضاً ، وسيأتى لذلك أغراض أخرى في الكلام على لو من أدوات الشرط .

### استعمال الماضي في مقام المضارع :

وقد يستعمل الماضي في مقام المضارع لأغراض منها الإشارة إلى تحقق وقوع الفعل ، كما في قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) (٥) فأتى فيه بمعنى يأتى ، ومنها الأغراض الآتية في استعمال الماضي شرطاً لأن عند الكلام على النقيض بأدوات الشرط .

(١) السبب : يفتح السين المعلة ، والصحيحان : ما استوى من الأرض .

(٢) النضو : الممزول .

(٣) الآية ٣٧ سورة المائدة .

(٤) الجران : في الأصل مقدم حق البعير من مذبحه إل منحوره .

## ٤ - أغراض الاسناد الخبري

### الأغراض الأصلية :

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين : أولهما إفادة المخاطب حكمه ، ويسمى ذلك عندهم فائدة الخبر كقوله ﷺ ، الخيل معقود في نواصيها الخير . . وثانيهما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم ، ويسمى ذلك عندهم لازم فائدة الخبر ، مثل قولك لمن يخفى زواجه عليك ، أنت تزوجت ، ، والأخبار التي تلقى في أحد هذين الغرضين يقال في مقام جعل المخاطب بفائدة الخبر أو لازم فائدته ، فتلقى على أصلها بدون زيادة شيء فيها من تأكيد ونحوه ، وهي الأخبار المسطرة بين الناس في تحاورهم وتخطابهم .

### الأغراض غير الأصلية :

وقد يلقى الخبر لأغراض أخرى غير هذين الغرضين تستفاد من سياق الكلام ، وذلك يكون عند علم المخاطب بهما ، فلا يكون الغرض عن الخبر إفادتهما ، وإنما يكون الغرض واحداً من تلك الأغراض الأخرى ، فمنها إظهار الفرح والسرور كقوله الشاعر :

هنا عذاك الزاء المقدما      فاعبس المحزون حق تبسما

ومنها إظهار الأسف والحسرة على فائت كقول الشاعر :

ذهب الذين يعماش في أكنافهم      وبقيت في تخلف كجلد الأجرم

ومنها إظهار الضعف والخشوع كنول الشاعر :

إلى عبسك العاصي أناكا      مقراً بالذنوب وقد عصاكا

ومنها التوبيخ كقول أمانة الخثعمية لابن الدثيمة :

وأنت الذي أخلفني ما وعدتني      وأشمت بي من كان فيك يلوم

ومنها إظهار الأمتثال في قوله تعالى ﴿ وما تلك يمينك يا موسى ، قال هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴾ (\*) فلا يقصد موسى

(\*) الآية ١٨ سورة طه .

بما قاله إلا إظهار الامتنان لربه ، وليس في هذا إعلام بفائدة الخبر ولا بلازم فائدته ، لامتناع الجمل في حق الله تعالى .

ومنها قصد الوعظ والإرشاد في نحوه قوله تعالى ﴿ كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ (٥) .

وفائدة الخبر تفهم من ذات الخبر ، ويدل عليها لفظه دلالة أصلية ، وما عداها من أغراضه يفهم من السياق أو نحوه ، ودلالة الخبر عليه دلالة تبعية مثل دلالة الالفاظ على المعاني غير الأصلية ، فلا توصف بأنها حقيقة ولا مجاز ولا كناية ، وقيل لمن الخبر في مثل إظهار الفرج والسرور ونحوه من الأغراض بمعنى الإنشاء ، فيكون المقصد منه الدعاء أو نحوه ، وقد أول في هذا قول امرأة عمران ﴿ رب انى وضعتها أنثى ﴾ (١) بمعنى تقبل منى . وهكذا .

---

(٥) الآية ٢٧ سورة الأنفال .

(١) الآية ٣٦ آل عمران .

# أحوال الطرفين والمتعلقات

## ١ - الذكر

### الذكر ضرب من الإطناب :

ذكر الأستاذ أحمد المراغي (١) أن هذا الباب لم يتعرض له كثير من أئمة الفن ، كما في هلال العسكري وعبد القاهر ، وكأنهم لم يروا فيه من اللطائف والمزايا ما يسمي البحث عنه في علوم البلاغة ، وأول من عني بذكره السكاكي ومن هذا من المتأخرين حذوه ، وإنى أرى في هذا أن باب الذكر كان يدخل عند المتقدمين في باب الإطناب ، لأن الذكر ضرب من ضروبه .

وإنما يكون الذكر باباً من أبواب البلاغة إذا وجدت قرينة تدل على المذكور عند حذفه ، فلا يكون ذكره في هذه الحالة واجباً ، ويكون محتاجاً إلى تكملة ترجع ذكره على حذفه .

### مقامات الذكر :

ومن مقامات الذكر زيادة الكشف والإيضاح ، كما في قوله تعالى ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ (٢) ذكر اسم الإشارة ثانياً للتنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاستئثار بالهدى ثبت لهم الاستئثار بالفلاح ، وكما في قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ (٣) وقوله ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ (٤) ومثل هذا من باب الإظهار في مقام الإضمار أيضاً ، ومنها بسط الكلام في مقام يقتضي التبسيط ، إما لأن الإضمار من السامع مطلوب للتكلم ، كما في قوله تعالى ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ ، قال هي عصا أموكا عليها وأمش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴿ (٥) فكان يكفي في الجواب أن يقول (عصا) ، ولكنه يكلم رب العزة ، ومن يظفر بهذه المنزلة يكون

(١) علوم البلاغة ص ٨١ ، المطبعة الحديثة .

(٢) سورة البقرة : آية ٥ . (٣) سورة الزخرف : آية ٩ .

(٤) سورة الاسراء : آية ١٠٥ . (٥) سورة طه : آية ١٧ .



الاستماع مطلوباً له ، ولهذا زاد في الجواب عما طلب منه . وإما لأن المقام مقام  
افتخار أو نحوه ، كقول البارودي :

أنا مصدرُ السلامِ البوادي      بين المحاضر والنوادي  
أنا فارسُ أنا شاعرُ      في كلِّ ملحمةٍ ونادي

وكقول المرعشي (أو مجنون لبلي) :

بالله يا ظبياتِ القاعِ قلن لنا      ليلاي من كنْ أم ليلى من البشر

وكقول لبلي الأخيالية في مدح الحجاج :

إذا نزل الحجاجُ أرضاً مريضةً      تذهبُ أقصى دائها فشفاها  
شفاها من الداءِ العضالِ الذي بها      غلامٌ إذا هزَّ القناة سقاها

ومنها التعريض بغياوة السامع ، كقوله تعالى ﴿ قالوا أنتَ فعلتَ هذا بآلِتنا يا إبراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ (١) كان يكفيه أن يقول ﴿ بل كبيرهم ﴾ ولكنهم أغبياء لا تفهم القرينة السابقة ، فأعاد ذكر الفعل تعريضاً بغياوتهم .

ومنها التسجيل على السامع فيما ينكره حتى لا يفتأ له إنكاره ، كقول الفوزدق  
لهشام حين أنكر معرفة زين العابدين :

هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلهم      هذا التقىُّ النقيُّ الطاهرُ العلامُ  
ومنها المبالغة في الرد على المخاطب إذا كان يشكر محبة ما يقال له ، أو كان  
حاله شبيهاً بذلك ، ومن الأول قوله تعالى ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلقٍ عليم ﴾ (٢)  
ومن الثاني قوله تعالى ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير  
ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ (٣) .  
وفي هذه الفكات التي ذكرناها كفاية في ذلك ، وقد أعرضنا عن النكات  
الضحوية التي يذكرونها هنا ، لأنها لا تدخل في هذه العلوم كما سبق بيان ذلك  
في موضعه .

(١) الإنبياء : ٣ .

(٢) يس : ٧٨ .

(٣) الأمثال : ٧ .

## ٢ - الحذف

### مزايا الحذف :

الحذف ضرب من الإيجاز كما أن الذكر ضرب من الإطناب ، وهو كمال قال عبد القاهر (١) : « باب دقيق المسلك لطيف المأخذ ، عجيب الأثر شبيه بالسحر ترى به ترك الذكر والصمت عن الأثارة أزيد للإفادة ، وتجحدك أنطق ما تكون إن لم تنطق ، وأنتم ما تكون بياناً إذا لم تبين » ، وإذا كان الذكر لا يعد من أبواب البلاغة إلا عند وجود قرينة يمكن بها الاستغناء عنه ، فإن الحذف أيضاً لا بد فيه من قرينة تدل على المحذوف وإلا كان تعمية وإلغازاً ، وهو ضربان : ضرب يظهر عند الإعراب كقولهم ( أهلاً وسهلاً ) فإن النصب يدل على ناصب محذوف ، وضرب لا يظهر بالإعراب ، وإنما يعلم مكانه بتصفح المتن وتوقفه عليه ؛ كقولك « فلان يعطى ويمنع » أى كل أحد ، وهذا إذا قصد من الحذف التعميم كما سيأتى ، وللحذف فى الضرب الثانى من الحسن والأريحية ما لا يوجد فى الضرب الأول .

### مقامات الحذف :

وللحذف مقامات عامة فى الطرفين والمتعلقات ، ومقامات خاصة بالمتعلقات من المفعول به وغيره ، أما الأولى فمنها قصد الاختصار والاحتراز عن العبث لوجود القرينة ، وهى نكتة عامة فى جميع مقامات الحذف كما هو ظاهر ، ولكنها تستأثر بالحذف هنا وحدها ، كقوله تعالى ﴿ وما أدراك ما هية ، نار حامية ﴾ أى هى نار حامية ، وقوله ﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أسقى أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ﴾ أى والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، ويجوز أن يكون ﴿ أحق أن يرضوه ﴾ خبراً عنهما ، وتوحيد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله . وكقولك أصفيت إليه أى أذننى ، وأغضيت عليه أى بصرى — وعليه قوله تعالى ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك . الآية ﴾ أى أرنى ذاك ، وأما قوله تعالى ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح

(١) دلائل الإعجاز ص ٨٠

ابن الله ذلك قولهم بأفواههم (\*) . الآية . فقد قال الزمخشري فيه : فإن قلت كل قول يقال بالغم فما معنى قوله (ذلك قولهم بأفواههم) ؟ قلت فيه وجهان : أحدهما أن يراد أنه قول لا يعنده برهان ، فإما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته ، والثاني أن يراد بالقول المذهب ، كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم ، لأنه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر فيها .

ومنها ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب شعر أو توجع وتضجر ، كقول الشاعر :  
قال لي كيف أنت ؟ قلتُ عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحنٌ طويلٌ  
أى أما عليل ، وحالى سهر دائم وحن طويل . وكقول ضايف الجرجي :  
ومن يكُ أمسى بالمدينة رحلهُ فإني وقيسار بها . لغريبه (١)  
أى وقيار كذلك ، ولا يصح أن يكون قيار معطوفاً على محل اسم إن (ولغريب) خبر عنها ، لا متناجٍ المعطف على محل اسم إن قبل مضى خبرها ، ولا يجوز أيضاً أن يكون (لغريب) خبراً عن قيار ، وخبر إن هو المحذوف ، لأن خبر المبتدأ الغير المنسوخ لا يقترب باللام إلا فى الشذوذ .

ومنها تعين المحذوف وعدم احتمال غده . حتمية أو ادعاء ، وهذا يكثر فى مقام الفخر والمدح وغيرهما كقوله تعالى ( لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبقى المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ) (٢) أى لينذر الكافرين ، فحذفهم لأن الإنذار لا يكون إلا لهم ، وذكر المؤمنين تشريفاً لهم ، وإن كان التبشير أيضاً مختصاً بهم ، وكقول الشاعر :

كسيتُ إذا صعدتُ المنابرَ أو نضاً قلماً شأى الخطباء والكُتَّاب (٣)  
وكقول ليل الأخيلية :

أحجَّاجٌ لا يفللُ سلاحك إنما الـ منايا بكفُّ الله حيثُ تراها  
أى لا يفلل الله سلاحك ، وهذا من حذف الفاعل ولزامة المفعول عنه ، وهو

(\*) سورة النوبة آية ٣٠

(١) الرجل : المنزل والمأوى ، وقيار : اسم فرسه أو غلامه .

(٢) نضاً : جرّ ، وشأى : سبق . (٣) سورة الكهف آية ٢

داخل في باب الحذف أيضاً ، وهم يذكرون في علم النحو مكانه من العلم بالفاعل أو جملته أو الخوف منه أو عليه ، ولكن موضعها الأصلي هذا العلم .

ومنها صون المحذوف عن اللسان تعظيماً له ، أو صون اللسان عنه تحقيراً له كقول الأقيشر الأسدي في ابن عم له ومسر سأله فنهقه ثم لطمه على وجهه :

مريع إلى ابن العم بلطم وجهه وليس إلى داعي التندی بسريع

حريص على الدنيا مضيق ليدنه وليس لها في بيته بمضيق

وكقول النابغة الذبياني في الغساسة :

ملوك ولأخوان إذا كمدحتهم أحسكتهم في أموالهم وأقرب

وكقول عائشة رضي الله عنها : دكنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ، فإرايت منه ولا رأي مني ، أي العورة .

ومنها اتباع الاستعمال الوارد بالحذف ، كقولهم في المثل دمية من غير رام ، أي هذه دمية ، فينطق به كما ورد لأن الأمثال لا تغير .

وكذلك اتباع الاستعمال الوارد على ترك نظائره ، كما في الرفع على المدح أو الذم أو نحوهما ، فإن المسند إليه لا يكاد يذكر في ذلك ، فيقولون بعد أن يذكروا الممدوح ، غلام من شأنه كذا وكذا ، أو دقي من شأنه كيت وكيت ، كما قال ابن عنقاء الفزاري يمدح مصيلة وقد شاطره ماله ما رآه محوزاً

رأني على ما بي مصيلة فاشتكي إلى ماله حالي أسراً كما يجهر

غلام رماه الله بالخير يافعا به يميمية لا يتشقق على البهر

ومن ذلك في حذف المسند قول أعتى قيس :

إن سملاً وإن ممرتجلاً وإن في السففر إذ متعتوا متهلاً

لاطراد حذف المسند مع تكرار إن وتعداد اسماء والحذف لا اتباع الاستعمال واجب فهو ، ولكنه يصار إليه في أصله لمكانة بلاغية تقتضيه .

ومنها المحافظة على السجع كقولهم ومن طابت سريرته ، حيدت سيرته ، فلو قالوا حمد الناس سيرته لفات هذا السجع ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ والضحى والليل إذا

سبحي ، ما ودعك ربك وما قلى ) (\*) أى قلاك ، ويجوز أن يكون في هذا أيضا صوته عن التصريح بإيقاع لفظ وقلى ، عاينه مبالغة في تنزيهه عنه ، ولأنى أرى في عدّ نسكته المحافظة على السجع من تسكات الحذف خلطا بين مسائل علم البديع ومسائل هذا العلم .

### الحذف للسجع من علم البديع :

وإذا كانت المحافظة على السجع غير واجبة من جهة بلاغة الكلام ، فإنه لا يصح ذكرها في العلم الذى لا يبحث فيه إلا عن الذكوات الواجبة فيها ، ولو أنهم قالوا : من طابت سريرته ، حمد الناس سيرته ، لكان كلاما بليغا وإن قاته من ذلك السجع ما قاته ، لأن الحذف في هذا لنسكته بدعية ، وليس لمقتضى المقام الواجب مرطاه في البلاغة .

### مقامات حذف المفعول :

وأما المقامات الخاصة بحذف المفعول ونحوه : فنما تنزله منزلة اللازم بحيث يكون الغرض ذكر الفعل دون متعلقه ، كقوله تعالى ( قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) (١) فالمعروف يستوى من له علم ومن لا علم له ، وقوله : ( وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا ) (٢) وفي هذا المقام لا يكون للفعل مفعول مخصوص مقصود ، بخلاف غيره من المقامات الآتية .

ومنها قصد توفر العناية على إثبات الفعل للفاعل دون المفعول لغرض من الأغراض ، كقول البحترى يمدح المعتز بالله ويعرض بالمستعين بالله :

شجّو حناده وغيظ هداه أن يرى مبصره ويسمع وأهـ  
فالمراد أن يرى مبصر محاسنه ، ويسمع وأه أخباره ، ولكنه حذف ذلك لتوفر العناية على إثباته للفاعل ، ويؤم أن المراد أن يكون ذورؤية وذو سماع ، لأن محاسنه وأخباره مشهورة ، فلا يقع البصر إلا عليها ، ولا يدخل في السمع غيرها ، وكقول عمرو بن معديكرب :

فلو أن قوى أنطقنى رماحهم نطقن ولكن الرماح أجرت (٣)

(١) سورة الضحى آية ١ (٢) سورة الزمر آية ٩ (٣) سورة النجم آية ٤٣  
(٣) أجر في الأصل بمعنى شق لسان التفصيل أملا يرضع أمه ، والمراد هنا أنها قطعت لسانه عن مدحهم .

فالمراد أجزأتى ، واسكنه حذف المفعول لذلك أيضا ، فيوم أن إجزاها كان  
حاما آله ولغيره .

ومنها البيان بعد الاتهام ليسكون أوقع في النفس ، كما في قول البحرى :  
لوشئت لم تفسد سياحة حاتم كرماء ولم تهدم مأثر خالد  
فإن تقديره لو شئت ألا تفسد سياحة حاتم لم تفسدها ، واسكنه حذف المفعول  
في الاول ، لأنه متى قال لوشئت ، علم السامع أن هاهنا شيئا تعلقت المشيئة بوجوده  
أو عدمه ، فإذا صرح به بعد ذلك كان أوقع في نفس سامعه ، وهذا الحذف مطرد  
في فعل المشيئة ما لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة ، فإذا كان في تعلقه به غرابة وجب  
ذكره ، كقول إسحاق النخعي يري حفيده :

ولو شئت أن أبكى دما لبكىته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع  
وأما قول علي بن أحمد الجوهري :

فلم يبق من الشوق غير تفكرى فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا  
فليس منه ؛ لأن المراد بالاول البكاء الحقيقي ، والبكاء الحقيقي لا غرابة فيه ،  
وإنما ذكر لأن المراد بالثاني بكاء التفكير ، فلا يصلح تفسيراً له عند حذفه ، وقيل  
إنه يجوز أن يكون المعنى فلو شئت أن أبكى تفكرا بكيت تفكرا ، على التنازع ،  
ولكن المعنى الاول أبلغ .

ومنها دفع أن يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد ، كقول  
البحرى :

وكم دذنت هدى من تحامل حادث وسورة أيام حزن إلى العظم  
أي حزن اللحم ، وإنما حذفه لئلا يتوهم السامع قبل ذكر العظام أن الحول لم  
يصل إليه ، ولأنها إذا وصلت إلى العظم فلا بد أن تكون حوت اللحم ، فذكر العظم  
يفنى عن ذكره .

ومنها إرادة ذكره ثانيا على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه لإظهارا  
للكمال العناية بوقوعه عليه ، كقول البحرى :

قد طلبنا فلم نجد لك في الشؤ ددٍ والحمد والمكارم مثلاً  
أى قد طلبنا لك مثلاً ، لحذفه لأنه أراد أن يوقع نفى الوجود على صريح  
لفظه لا على ضميره اهتماماً به . لأجل هذا المعنى عكس ذو الرمة في قوله :

ولم أمدح لأرضيه بشعري لئلا أن يكون أصاب مالا  
لأن فرضه إيقاع نفى المدح على اللبث صريحاً دون الإرضاء ، ويجوز أن يكون  
سبب الحذف في بيت البحتري قصد البيان بعد الإبهام ، أو قصد المبالغة في التأدب  
مع المدح بترك مواجهته بالتصريح بما يدل على تجويز أن يكون له مثل ، لأن  
العامل لا يطلب إلا ما يجوز وجوده .

ومما قصد التعميم في المفعول مع الاختصار ، مثل قوله تعالى ﴿ والله يدهو  
إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾<sup>(١)</sup> أى يدهو كل أحد ، ولا شك  
أن التعميم موجود مع ذكره ولكنه لا اختصار معه ، والحذف له في ذلك تأثر في  
الجملة ، وهذا من جهة أن تقدير مفعول خاص فيه دون آخر ترجيح بلا مرجح  
فيكون الحل على العموم أول ،

### ٣ - التعريف والتذكير

#### مقامات التعريف والتذكير :

للتعريف مقامه الذى يرجعه على التذكير ، كما أن للتذكير مقامه الذى يرجعه على  
التعريف ، وإنه ليعتبرين الفرق بينهما جلياً في قوله تعالى ﴿ وجاء رجل من أقصى  
المدينة يسعى قال يا موسى إن الملائكة يأتون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من  
الناصحين ﴾<sup>(٢)</sup> فإنه لما كان لا يتعلق بتعيين هذا الرجل غرض جى به متكرراً ، ثم إنه  
لا بد أن يكون أتى إلى موسى في خفية خوفاً على نفسه ، فكان التذكير أنسب بحاله ،  
أما المدينة فمررت لأن المراد بها مدينة فرعون ، ولا بد من تعريفها لتعيين بها هذه  
الحادثة التى وقعت لموسى فيها ، وأما الملائكة فمررت لأن المراد بهم ملائكة القتل الذى  
قتله ولا بد من تعريفهم ليعرف موسى قوة الخطر المحدق به ، فيسمع الفصح الذى يوجه  
له ، فقام التعريف يكون حيث يطلب تعيين المقصود في الكلام ، وهذا هو مقام

(٢) سورة القصص : ٢٠

(١) سورة يونس : ٢٥

مطلق التعريف، وستأتى له مقامات خاصة بأنواعه من الضمائر، والأعلام، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، والأسماء المعرفة بالأللام، والأسماء المعرفة بالإضافة. ومما يتنكح يكون حيث لا يطلب تعيين المقصود في الكلام، وهذا هو المقام الأصلي فيه، وستأتى له مقامات أخرى غيره.

### مقام الضمائر :

الأصل في الضمائر أن تكون للدلالة على تكلم أو خطاب أو غيبة، وهذه هي معانيها النحوية المعلومة، وقد يشعر ضمير المتكلم (أنا) باعتداد المتكلم بنفسه كما أشار إلى هذا بعض الشعراء :

إنّ الفقى من يقول هأنذا ليس الفقى من يقول كان أبى

ومن ذلك قول بشار :

أنا المرء عت لا أخفى على أحد ذررت بنى الشمس للقاصي والدة (١)

وقد يبالغ المتكلم في تعظيم نفسه فيضع لها ضمير جماعة المتكلمين (نحن)، ويمكن أن يكون من هذا قول عمرو بن امرئ القيس الخزرجي :

نحن بما عسدنا وأنعم بما هودك راضٍ والرأى مختلف

وكذلك ضمير الخطاب قد يشعر بمثل ما يشعر به ضمير المتكلم واء معناه الأصلي، فإن الأصل في الخطاب أن يكون لمشاهد معين، ولكنه قد يخاطب به غير المشاهد بتنزيله منزلة المشاهد، وإشعار أنه دائم الحضور بالقلب، مثل قوله تعالى (لم يالك نعبد وإياك نستعين) (٢) وقول ابن زيدون :

بنتم ونسأفما ابتلت جوائنحنا شوقا إليكم ولا سمفت ما قينا

وقد يخاطب به غير المعين ليعم كل من يمكن مخاطبه على سبيل البدل، لا على طريق التناول دفعة واحدة، وقد قيل إن هذا تجوز في استعماله، والحق أنه ليس من التجوز، لأن الجواز لا يأتي في الضمائر وأشباهاها، ومن ذلك قوله تعالى (ولو ترى إذ التجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لنعمل

(١) المرء مأخوذ من الرعثة وهي القوط، لقب بذلك لرعثة له كانت في صغره، وذرت : طلعت. (٢) الفاتحة : ٥ ، ٦ .



صالحا إذا موقنون) (١) فقد أخرج الكلام في صورة الخطاب مع إرادة العموم تنبيها إلى تفضيل حالهم ، وأنها بلغت الغاية في الظهور بحيث لا تخفى على أحد ، ومن ذلك قول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا  
والأصل أيضا في ضمير الغائب أن يعود إلى مذكور في الكلام أو ما هو في حكم المذكور ، كما في قوله تعالى (اعدلوا هو أقرب للتقوى) (٢) أي العدل المفهوم من قوله (اعدلوا) وقد يعود ضمير الغيبة إلى غير مذكور لفظا أو حسا ، كما في باب نعم وبئس ، وباب ضمير الشأن والقصة ، مثل قوله تعالى (فإنها لا تعصى إلا بأمر) ولكن تعصى القلوب التي في الصدور) (٣) وقول الشاعر :

نعم امرءا هرم لم تسمر نائبة إلا وكان لمرتع بها وزرا  
وظائدة هذا النوع من البيان تمكين المعنى في نفس السامع بما فيه من نكتة الاجمال ثم التفصيل ، وقد يعود ضمير الغيبة إلى غير مذكور أيضا إذا أريد الاشعار بأنه دائم الحضور في ذهن في مقام النزول أو نحوه ، كقول الشاعر :  
أبت أوصال مخافة الرقباء وأنتك تحت مدارج الظلماء  
وقد تكون نكتة ترك ذكرها لإخفاء أمرها ، حتى لا يعرفها أولئك الرقباء فينمرون عليها ، وسيأتي في باب الإيجاز عدة هذا الإضمار نوما منه .

#### مقام العلم

والأصل في الأعلام أن تكون للدلالة على معين بذاتها كما هو معناها النحوي ولكنها قد تشرع مع هذا بمدح أو ذم أو نحوه ، كما في الألقاب والكسبي المحمودة أو المذمومة مثل قوله تعالى : (تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب) (٤) وكان اسمه عبدة العزى ، فمدل عنه إلى كذبتة إهانة له .

#### مقام الموصول

والأصل في الأسماء الموصولة أن تكون لتمييز المعنى المراد منها بصلاتها ، ولكنها قد تشرع مع هذا بنوع من التخصيم تقصد من أجله ، مثل قوله تعالى : (فتشاها ما غشى) (٥) وقول أبي نواس :

(١) السجدة : ١٢	(٢) المائدة : ٨	(٣) الحج : ٤٦
(٤) المسد : ١ ، ٢	(٥) النجم : ٥٤	

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللحظ حيث أساموا  
وبلغت ما بلغ أمروته بشبابه فإذا مصارة كل ذلك أنام (١)  
وقد يكون في صلاتها إيماء إلى ما يأتي بعدها فيكون في هذا نوع من الإيهام  
ثم البيان ، كما في قول عبدة بن الطيب :

إن الذين تركوهم إخوانكم يشفي غليل صدورهم أن تصرعو  
وقد ذكر الخطيب (٢) في هذا البيت نكتة أخرى ذكرها في نكات التعريف  
بالصلة ، وهي نكتة تنبيه المخاطب إلى الخطأ في ظنه ، ولما أرى أن هذه نكتة  
متحملة ولا تكاد تخرج عن نكتة الإيماء السابقة . ومن الإيماء بالصلة أيضا  
قول الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعامه أعز وأطول  
وقول أبي العلاء :

إن الذي الوحشة في داره تؤنسه الرحمة في لحده  
وهو شبيه بالإيماء في بيت عبدة في أن كلا منهما إيماء إلى تقيض ما يؤمى  
فيه ، وذلك نوع عجيب من قوة البيان ، ولأنه ليفعل في النفس ما يفعل فيها السحر ،  
وقد يقصد بالإيماء أن يتوجه ذهن السامع إلى ما سيخبر به ، حتى يأخذ منه مكانه عند  
إلقائه ، وهذا فن عجيب من قوة البيان أيضاً يسمى التشويق ، كما في قول  
أبي العلاء :

والذي حارت البرية فيه حيران مستحدث من جماد (٣)  
وقد يستعمل اسم الموصول أيضاً في إخفاء أمر من الأمور لغرض من  
الأغراض ، كما في قول الشاعر :

(١) نهزت الدلو : ضربت به في الماء ، وأسمت : رغيت ، والمصارة : ما تلحظ  
نمى عصر .

(٢) شرح الإيضاح ص ٨٢

(٣) هذا على حذف مضاف والتقدير : معاد حوران ،

وأخذت ما جادَ الأميرُ به وقضيتها حاجاتي كما أهدى  
وقد يستعمل في مقام التهكم كما يستعمل في مقام التفضيم مثل قوله تعالى ﴿ وقالوا  
يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ (١) .

#### مقام اسم الإشارة :

والاصل في أسماء الإشارة أن تكون لتعيين المشار اليه بإشارة حسية ولكنها  
قد تشعر مع ذلك بتعظيمه وكال ظهوره كما في قول ابن الرومي في مدح أبي العتبر :  
هذا أبو العتبر فرداً في محاسنه من نسل شيدبان بين الضئال والسلم  
وكما في قول الفردق يمجو جريراً ويفخر بأباه عليه :

أولئك آبائي الخفي بمثلهم اذا جمعنا يا جريرُ الجامعُ

وقد ذكروا أنه في هذا يعرض بغباوة جرير أيضاً ، ويشير إلى أنه من الغباوة  
بحيث لا تحيز الأشياء لديه إلا بالإشارة الحسية .

وقد تستعمل الإشارة القريبة في التحقير كما استعملت في بيت ابن الرومي  
للتعظيم ، كما في قوله تعالى ﴿ واذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا  
الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كفرون ﴾ (٢) يريدون تحقيره بدنو منزلته وأنه  
لم يكن من ذوى الرياسة فيهم ، وقد تستعمل الإشارة البعيدة للتحقير كما استعملت  
للتعظيم في بيت الفردق ، نحو قوله تعالى ﴿ فذلك الذى يدعُ اليتيم ﴾ (٣) يريد  
تحقيره بعدم تقريبه منه في الإشارة إليه .

وقد تتضمن الإشارة نوعاً بديعاً من البيان ، فنذكر قبلها أوصافاً كثيرة ثم  
تطوى فيها طياً ، ثم يرتب عليها ما يراد ترمييه على هذه الأوصاف ، وهذا نوع  
من البيان يسلك فيه الأجمال بعد التفصيل ، على عكس البيان بالتفصيل بعد الأجمال  
وذلك مثل قول حاتم الطائي :

وَهوَ صَعْلُوكُ يَسْأَرُ هَمَّةٌ وَيَمْضَى عَلَى الْأَحْدَاثِ وَالْذَهْرُ مَقْتَدِمًا (٤)

(٢) الأنبياء : ٣٦

(١) الحجر : ٩

(٤) الصعلوك : الفقير ، ويسار : يواثب .

(٣) الماعون : ٢

ففي طلبات لا يرى الخمدن ترحة ولا شبيعة<sup>(١)</sup> إن نالها عده مغنا<sup>(٢)</sup>  
 إذا ما رأى يوماً مكارم أهرضت تيمم كبراهن<sup>(٣)</sup> ثمعت صمما  
 ترى ربحه وقبله ومجنته وإذا شطب عضب الضريبة منخما<sup>(٤)</sup>  
 وأحناء سرج قانر<sup>(٥)</sup> ولجامه عتاد<sup>(٦)</sup> أخى هيجما وطرفاً مسوما<sup>(٧)</sup>  
 فذلك لمن يهلك فحسبنا<sup>(٨)</sup> وإن عاش لم يقدم ضميماً<sup>(٩)</sup>  
 وقد يستعمل اسم الإشارة لغير الحاضر المحسوس ، بتنزيل الغائب منزلة الحاضر  
 وتنزيل المفعول منزلة المحسوس ، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ مثل الجنة التي وعد  
 المتتمون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى  
 الكافرين النار ﴾<sup>(١٠)</sup> وقوله: ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم  
 من الخاسرين ﴾<sup>(١١)</sup> وقول أحمد بن يحيى بن إسحاق الرافدي :  
 كم عاقل عاقل أعيى مذاهبة<sup>(١٢)</sup> وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا  
 هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

اسم الإشارة لا يأتي موضع الضمير :

أى هذا المذكور من حرمان العاقل ورزق الجاهل . وقد جعلوا هذا من باب  
 وضع المظهر موضع المضمّر ، وهو عندي من تنزيل غير المحسوس منزلة المحسوس ،  
 واسم الإشارة في هذا مثل ضمير الخطاب إذا استعمل في غير المشاهد لتنزيله منزلة  
 المشاهد ، وهو أيضاً صالح للإشارة به إلى ما يذكر في الكلام قبله ، ولا يفتقر  
 في هذا عن الضمير في عوده إليه أيضاً .

مقسام التعريف باللام :

والأصل في اللام أن تكون لتعريف الحقيقة والجنس ، ولكنها قد يفتقر  
 بها من القرائن ما يجعلها لتعريف العهد ، أو الاستغراق ، فأما التي لتعريف العهد  
 فنعود إلى مذكور قبلها في الكلام ولو بطريق السكائية ، أو إلى معهود خارجي  
 بين المتكلم والمخاطب ، والأولى مثل قوله تعالى ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً

(١) الخنص ، الجوع (٢) بجته : ترسه ، الشطب : الخطوط في متن السيف ،  
 عضب الضريبة : قاطع الحد ، والخلد : القاطع بسرعة .

(٣) الأحناء : جمع حفر وهو اسم لفربوس السرج وهذا فربوسان مقدم  
 ومؤخر ، والقانر الجيد الوقوع على الظلم ، والعتاد : العدة ، والطرف الفرس الكريم .  
 (٤) الرعد : ٣٥

(٥) فصلت : ٢٣

عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا، فوصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً ويلاً (١) وهي من باب وضع المظهر موضع المضمهر، فيقصد منها ما يقصد منه من التأكيد وزيادة التأكيد، والثانية يقصد منها الإيجاز والاختصار أو التنويه بشأن الشيء وأنه بحيث لا يجهله أحد، مثل قوله تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) (٢) فالمراد الشجرة التي سميت بعد شجرة بيعة الوضوان، وقد اكتفى بعلها لهم عن تعيينها بما تعين به من مكان وغيره، وما يفيد التنويه منها بشأن ما دخلت عليه قول الخطبة:

مطاعين للهيجاً مكشافاً للذمى بنى لهم آباؤهم وبني الجد  
وأما إلى الاستغراق فإنها تدل عليه مع الاختصار أيضاً، مثل قوله تعالى:  
(والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (٣) فالمراد كل إنسان، وهذا مركب من كلمتين، وتلك كلمة واحدة. وما يصدق فيه وجه الفرق بين هذه اللامات قوله تعالى: (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً) (٤) فتعريف الناس فيه بالاستغراق، والمعنى أنه أرسله لجميع الناس من العرب والعجم لا للعرب وحدهم، لما يفيد من القصر بتدعيم الجار والمجرور على المفعول، وليس تعريف اللام للعهد أو الجهد، لئلا يفيد الكلام في الأول قصر رسالته على بعض الإنس، لوقوعه في مقابلة كلهم، وفي الثاني قصرها على الإنس دون الجن ونحوهم.

تعريف الخبر باللام:

وقد تدخل اللام على خبر المبتدأ فتأتي في هذا لفرضين: أولهما قصر الخبر على المبتدأ تحقيقاً أو ادعاء، وهذا مثل قول الأعمى في القصر التحتملي هو الواهب المائة المصطفاة - إما مخاضاً وإما هشراً (٥) والقصر الادعائي مثل قول المتنبي:

(١) المزمل: ١٦ (٢) الممتح: ١٨ (٣) العصر: ٢ (٤) النساء: ٧٩  
(٥) الخاض: الحوامل لا واحد له من لفظه، والعنادر: جمع عسراء كنفساً وزناً ومعنى.

أنت الحبيب، ولكني أهوذ به      فمن أن أكون محبباً غير محبوب  
وثانئهما : الدلالة على ظهوره وأنه لا يخفى على أحد ، ولا يشكوه مفكر ، مثل  
قول الشاعر :

أسود إذا ما أبدت الحرب نايها      وفي سائر الدهر الغيوث الموارط  
وقول الخنساء :

إذا قُبِحَ البكاءُ على قتيلٍ      رأيتُ بكاءك الحسن الجيلا  
ولا يصح حل التعريف هنا على القصر ، لأن هذا الكلام للرد على من يتوهم  
أن البكاء على هذا القتل قبيح كالبكاء على غيره ، فيكفي فيه إخراجهم من القبح إلى  
الحسن ، ولو كان الكلام للرد على من يسلم حسن البكاء على هذا القتل ويدعى أن  
بكاء غيره حسن أيضاً ، لصح حل التعريف في البيت على القصر ، ولكن يمنع من  
هذا صدر البيت كما هو ظاهر ، وقد ذكر الفخر الرازي (١) أنه لو جعل مفيداً للقصر  
على وجه الادعاء والمبالغة لم يكن فيه خلل .

#### تعريف المبتدأ والخبر :

والغرض من تعريف الخبر مطلقاً إفادة السامع حكماً بأمر معلوم له ، ولمكنه  
يجعل ثبوته للمبتدأ ، وإلا فلا بد أن يكون الخبر متكرراً ، وهو الأصل فيه لأنك إنما  
تخبر بما يجعله المخاطب متعرفاً لرباه ، فإذا قلت زيد أخوك فلا بد أن يكون هذا  
في مقام من يعلم أن له أخاً ، واسكنه يجعل أنه زيد ، وإذا قلت زيد أخ لك فلا بد أن  
يكون في مقام من يجعل أن له أخاً ، والفرق بين قولك زيد أخوك وقولك أخوك زيد  
أن الأول يعرف المخاطب فيه زيدا بعينه واسمه ولا يعرف أنه أخوه ، أما الثاني  
فيعرف المخاطب فيه أن له أخاً ولا يعرف أنه زيد ، وفي كل منهما يمين في هذا  
العلم أن يكون الأول هو المبتدأ : والثاني هو الخبر ، وهذه فروق دقيقة لا يمتثلها  
النحويون ، وقد اختلفوا في إعراب ذلك ، والمصهور عندهم أن الأول هو المبتدأ ،  
وقيل إن المبتدأ هو أعرفهما ، وقيل إنه الاسم والوصف خبر ، وقيل إن كلا منهما  
صالح للابتدائية والخبرية .

(١) دراية الإيجاز ص ٤٤

### مقام التعريف بالاضافة :

والاصل في التعريف بالاضافة أن يكون لتعيين المقصود بإضافته إلى معين يعرفه ولكنها مع هذا قد تؤثر على غيرها من المعارف في مقام تكون فيه أخصر منها مثل قول جعفر بن عتبة الحارثي :

هواي مع الركب اليانين مصعد<sup>(١)</sup> سجنيب<sup>٢</sup> ووجثناني<sup>٣</sup> بمكة موثق<sup>(٤)</sup>

فإن قوله ( هواي ) أخصر من أن يقال ( الذي أهواه ) ونحوه ، وهذا مع ما في الإضافة من تقريب محبوبه منه ؛ وإفادة اختصاصه به ، ومن ذلك قول مروان بن أبي حفصة في مدح معن بن زائدة وقومه :

بنو مطري يوم اللقاء كأنهم أسود لها في غيل خفان أشبيل<sup>(٥)</sup>

وقول الحارث بن وائلة :

قومي هم قتلوا أئمنم<sup>١</sup> أخرى فإذا رميت<sup>٢</sup> يصيبني سهمي

فبنو مطر في الأولى ، وقومي في الثانية أخصر طريق التعريف بالمقصود فيهما ، ولو أريد فيهما التعريف بذكر الأسماء لتعذر ذلك أو تعسر .

وقد تتضمن الإضافة تهظيماً أو تحقيراً لشأن المضاف أو المضاف إليه أو غيرهما كما في قول جميل :

أبوك حجاب سارق<sup>(٦)</sup> الضيف برده<sup>١</sup> وجددني<sup>٢</sup> يا حجاج فارس شترا  
وقد تتضمن إشارة إلى استعطاف أو نحوه ، مثل قوله تعالى ( لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده )<sup>(٣)</sup> .

وقد تتضمن الإضافة لطفاً مجازياً إذا كانت لأدنى ملازمة بين المضاف والمضاف إليه كما في قول الشاعر :

(١) هواي : مصدر بمعنى اسم المفعول ، ومصعد : اسم فاعل بمعنى مبعده ، وسجنيب : بمعنى مستتبع من جنيب البعير قاده إلى جنبه .

(٢) الغيل : الإجمة ، وخفان : مأسدة الكوفة .

(٣) أصله سارق من الضيف برده فحذف الجار تخفيفاً وأضيف سارق إلى الجورور

(٤) البقرة . من ٢٣٣

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة<sup>(١)</sup> سهل<sup>(٢)</sup> أذاعت فزلهاني الأقارب  
يصف حقاً بأنها لا تذكر كسرة الشتاء إلا إذا دهمها، فتستهين عليها بأقاربها،  
وقد أضاف إليها هذا السكوكب لأنه هو الذي يذكرها بتلك الكسوة، والإضافة  
في هذا لادنى ملبسة كما هو ظاهر.

ولا فرق في هذه المزايا للإضافة بين أن تكون إلى معرفة وأن تكون إلى نكرة،  
ومع الإضافة إلى نكرة لأجل إفادة التعظيم قول امرأة من بني عامر :

وحرب يضح القوم من نفثانها ضجيج الجبال الجبلية الدبرات  
سبتركها قوم ويصلي بحرهما بنونسوة للشكل<sup>(٣)</sup> مطبرات<sup>(٤)</sup>

ومن إضافتها إليها لأجل إفادة التقليل والتحقيق قول القائل السكابي :

إذا جاع لم يفرح بأكله ساعة ولم يبتئس من فقدها وهو ساغب<sup>(٥)</sup>  
مقامات التنكير :

والأصل في التنكير أن يكون للدلالة على فرد منتشر بما يدل عليه ، فإذا  
كانت النكرة مفردة دلت على واحدة ، وإذا كانت مشتقة دلت على اثنين ، وإذا كانت  
جماعة دلت على ثلاثة ، وإذا كانت نوحاً دلت على النوعية ، أي فرد من سائر الأنواع ،  
وهذا هو معنى النكرة في النحو ، وقد تدل في هذا العلم على معان وراء هذا المعنى  
ومن هذه المعاني الإشارة إلى أمر غريب غير معروف للناس ، كما في قوله تعالى (نعم  
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)<sup>(٦)</sup> أي نوع من  
الغشاوة غير ما يتعارفه الناس ، وهي غشاوة النعماني عن آيات الله ، وكذلك قوله  
(ولنجذبنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف  
سنة وما هو بمزحرجه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون)<sup>(٧)</sup> أي نوع من  
الحياة منصوص ، هو الحياة الزائدة ، كأنه قيل ولنجذبنهم أحرص الناس على أن  
يزدادوا إلى حياتهم في الماضي والحاضر حياة في المستقبل ، ولو عرفت الحياة لكان

(١) بدل من كوكب الخرقاء .

(٢) نفثانها تراها تنفيه وتطيره في الجو ، والجلة : جمع جليل وهو العظيم  
والدبرات : المسابة بالدبر ، والشكل : فقد الولد .

(٤) البقرة : ٩٦

(٣) البقرة : ٧



المراد منها أصل الحياة ، وهي حاصلة لهم ، فلا يكون هناك معنى لوصفهم بالحرم عليها ، لأن الإنسان لا يوصف بالحرم على شيء إلا إذا لم يكن موجوداً له .  
ومنها الإشارة إلى التنظيم والتحقير ، كما في قوله تعالى ﴿ ولکم فی القصاص حياة یأولی الالباب لعلکم تتقون ﴾ (١) أى حياة عظيمة ، وهذا لمنه بما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد حتى اقتدروا عليه ، ويجوز أن يكون المراد نوع من الحياة غريب ، وهو الحاصل للمقتول والقاتل بالارتداع عن القتل ، لأن الإنسان إذا تم بالقتل تذكر القصاص فارتدع ، فسلم صاحبه من القتل ، وسلم هو من القود فكان القصاص سبباً لحياة نفسين ، وقد اجتمع التعظيم والتحقير في قول مروان ابن أبي حفصة :

له حاجب عن كل أمر يشينهُ وأيسر له دن طالب الشرف حاجب  
أى له حاجب عظيم من نفسه يمنه عما يشينه ، وأيسر له حاجب ما عن طالب نواله ، وأما قوله تعالى ﴿ یا أبت إني أخاف أن یمسک عذاب من الرحمن فتكون للشیطان ولیاً ﴾ (٢) فيجوز أن يكون المراد عذاب عظيم ، ويجوز أن يكون المراد أدنى عذاب ، وقد اختار هذا الزمخشري ، فإنه ذكر أن إبراهيم عليه السلام لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه ، فلم يصرح بأن العذاب لاحق له لاحق به ، ولكنه قال ﴿ إني أخاف أن یمسک عذاب من الرحمن ﴾ (٣) فذكر الخوف والاس ، وتكرار العذاب .

ومنها التذكير والتقابل ، وهما معنيان غير التعظيم والتحقير ؛ لأن التعظيم والتحقير يرجعان إلى علو الشأن والمنحطاطه ، والتذكير والتقليل يرجعان إلى الكثرة والقلة في الأعداد والمقادير ، ومن هذا قوله ﴿ وإن یکذبوک فقد کذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الامور ﴾ (٤) أى رسل ذوو عدد كثير ، وإذا كان رسل جمع كثره ، فإن الكثرة التي يدل عليها التذكير أبلغ من الكثرة التي يدل عليها الجمع لأن كثرة الجمع يكفي فيها أقل كثرة بخلاف التذكير فإنه يدل على كثرة لا يدرك مقدارها ، ويجوز أن يكون التنكير هنا للتذكير والتعظيم معا ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وعد الله المؤمنین والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فی جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ (٥)

(١) البقرة : ١٧٩ (٢) مريم : ٤٥ (٣) فاطر : ٤ (٤) التوبة : ٧٢

أى رضوان قليل منه أكبر من ذلك كله ، لأن لذة الرضا فوق كل لذة .  
ومنها أن يمنع من التعريف مانع فيؤثر عليه التنكير ، كما في قول الشاعر :  
إذا سئمت ممهنته عينه أطول الحبل بدله شيالا  
فلم يقل يمينه لسكراهته أن ينسب سأمه هذا إلى عين ممدوحه ، فنسكتها ولم  
يضيفها إليه .

وبهذا انختم الكلام في التعريف والتنكير ، بعد أن أعرضنا فيه عما لا يفيد  
شيئاً في هذا الفن ، خصوصاً ما أطالوا فيه عند الكلام على التعريف باللام .

## ٤ - التقديم والتأخير

### مزايا التقديم :

قال عبد القاهر في هذا الباب من دلائل الإعجاز هو باب كثير الفوائد جم  
الحاسن ، واسع المنصرف ، بعيد الغاية ، ولا تزال ترى شعراً يروى منك مسجعه ،  
ويألف لديك موقفه ، ثم تنظر فتجد سبب أن رأتك وأطف عندك أن تقدم فيه  
شئ ، وحول اللفظ من مكان إلى مكان ، وإنما يكون التقديم هذا الحسن الذي ذكره  
عبد القاهر إذ لم يؤد إلى تعقيد في الكلام ، كما سبق مثل هذا في قول الفرزدق :  
وما مثله في الفاس إلا مصلحاً أبو أمه حتى أبوه يقاربته

### تقسيم التقديم :

والقديم يأتي على قسمين : أحدهما تقديم يأتي على أصله في النحو ، ولا كلام  
لها في هذا التقديم ، وهذا كتقديم المبتدأ المرفوع على خبره ، وتقديم العامل على  
معموله ، وكالتوابع فإن أصلها أن تذكر بعد المتبوعات .

وثانيهما تقديم يأتي لمقدمات تقضيها ، وإن أتى في هذا موافقاً لأصله النحوي ،  
كما في قوله تعالى ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم  
في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ (١)  
وقوله : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن

(١) المؤمنون : ٣٣ .



فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع  
يخاف الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير (١) قدم الماشى على بطنه لأنه أدل على  
قدرته ، إذ يمشى بغير آلة تساعد على المشي ، ثم ذكر الماشى على رجلين لأنه  
يايه في ذلك ، ثم ذكر الماشى على أربع بعدهما في رتبته التي تليهما .

#### التقديم للتوقي

ومنها البدء في باب المديح بالصفة الدنيا ، ثم بما هو أعلی منها وهكذا ،  
كما في قول البحتري .

يترقون كالسراب وقد مضى غماراً من السراب الجارى  
كالقسي المطقات بل الاسم م مبرية بل الأوتار  
شبه نحوها بالقسي ثم بالاسهم المبرية ثم بالأوتار وهي أشد الثلاثة محولا ،  
وهم يعكسون هذا الترتيب في باب النظم .

#### تقديم الاليق بالسياق :

ومنها تقديم الاليق بالسياق ، كما في قوله تعالى (وأما الذين شقوا في النار لهم  
فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن  
ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات  
والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير محذوذ) (٢) قدم أهل النار على أهل الجنة لأن  
الكلام قبل هذا كان في سياق التخويف والتحذير ، وقد جاء الكلام فيه عقب  
قصص الأوابين وما فعل الله بهم من التعذيب والتدمير ، فكان الاليق أن يوصل  
هذا بما يناسبه في المعنى ، وهو ذكر أهل النار ، فقد ذكروا في الذكر على أهل الجنة  
ومن هذا قوله تعالى (وما تكون في شأن وما تنلو منه من قرآن ولا يعملون من  
عمل إلا كنا عليكم شهداء إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة  
في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) (٣) قدم  
الأرض على السماء ، ومن حقها التأخير عنها ، لأنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل  
الأرض وأحوالهم ، وصل هذا بقوله وما يعزب ، ، ولأم بينهما ليل المعنى  
المعنى ، ويؤيد هذا أن السموات ، قدمت في الآية الأخرى من سورة سبأ :

(٣) يونس : ٦١

(٢) هود : ١٠٨

(١) النور : ٤٥

( وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ) (١) .

#### مقامات التقديم المصنوى :

والتقديم المصنوى كتقديم المفعول على الفاعل ، وتقديم الخبر على المبتدأ ، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل ، والتقديم فى هذا يكون له معنى يتغير بالتأخير كما سبق ، ولكن هذا التغير لا يظهر تماماً إلا فيما يكون التقديم فيه لإفادة التخصيص بخلاف ما يكون التقديم فيه لغير التخصيص من الأغراض الآتية ، فإنه يكاد يكون شأنه فى هذا مثل شأن التقديم الذكرى .

#### التقديم للتشويق :

ومن هذه الأغراض تشويق السامع إلى المؤخر لئتمكن فى نفسه ، كقول أبى العلاء :

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جاد  
وهذا من تقديم المسند إليه ، وهو المبتدأ ، على المسند وهو الخبر ، ومثال ذلك من تقديم المسند على المسند إليه قول محمد بن وهيب فى مدح المنصور :  
ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر  
وقول أبى العلاء :

وكالنار الحياة فى رماد أو آخرها وأولها دُخان  
ولكن حق هذا الاعتبار تطويل الكلام فى المقدم لئلا يكون التطويل أدعى إلى التشويق ، وإلا لم يحسن ذلك الحسن .  
التقديم للتعجيل بالمقصود :

ومنها إرادة التعجيل بالمقصود من مسرة أو إساءة أو غيرها ، كقول الشاعر :  
سعدت بفرقة وجهك الأيام وتوفيت بالمئاتك الأيام

(١) سبأ : ٣ .

## التقديم للاهتمام :

ومنها الاهتمام بالمقدم والاعتناء به ، وهذا الغرض هو الأعم الأغلب في التقديم ومنه قول الشاعر :

سلامٌ الله يا مطرُ عليهما وليس عليك يا مطرُ السلامُ

ومن أجله وجب أن يقدر المحذوف في ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (١) مؤخراً اهتماماً بشأن اسم الله تعالى ، فأما قوله تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ﴾ (٢) فإنما قدّم الفعل فيه لأنها أول سورة أنزلت ، فكان ابتداء الأمر بالقراءة فيها أم . وقد ذهب السكاكي إلى أن الجار والمجرور فيها متعلق باقراً الثانية ، وهو تكاف ظاهر : وأما قوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾ (٣) وقوله ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياكم ﴾ (٤) فإنما قدّم المخاطبون في الآية الأولى دون الثانية لأن الخطاب في الأولى للفقر ، يدلّله قوله من إملاق ، فكان رزقهم أم عندهم من رزق أولادهم ، فقدّم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم . أما الثانية فالخطاب فيها الأغنياء بدليل قوله « خشية إملاق » ، فكان رزق أولادهم هو المطلوب الأم عندهم ، فقدّم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم ، ويمكنك أن تجعل التقديم في الآيتين من التقديم الذكرى ، والخطاب في هذا سهل .

ومن التقديم للاهتمام أيضاً قوله تعالى ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾ (٥) قدّم الجار والمجرور على الفاعل زيادة في تبييت هؤلاء القوم الذين شاهدوا من المرسلين لقربهم منهم ما لم يشاهد ذلك الرجل ، ومع هذا نصح لهم بما لم ينصحوا به أنفسهم ، وقد جاء في مثل هذا على الأصل قوله تعالى : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ﴾ (٦) لأنه لم يقترون به ما يدعوا إلى تقديم الجار والمجرور مثل ما اقترون بالاول .

(٢) سورة الملق الآية ١ ، ٢ ، ٣

(٤) سورة الإسراء الآية ٣١

(٦) سورة النقص الآية ٢٠

(١) الفاتحة : ١

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥١

(٥) سورة يس الآية ٢٠

ومن التقديم للاهتمام في الاستفهام قوله تعالى : ﴿ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ﴾ (١) لأن رغبة إبراهيم عن آلهته كانت أهم شيء عنده ، فكان المقام لإنكار هذا الفعل منه ، وإفادة أنها لا ينبغي أن يرغب عنها ، وهكذا يقدم في الاستفهام سواء أكان للإنكار أم لغيره ما يكون هبط الاستفهام والإنكار ، كقول أبي العلاء :

أعندى وقد مارست كل خفيصة  
يصدق وإنش أو يخيب سائل

التقديم لدفع توهم الخطأ :

ومن أغراض التقديم دفع توهم خطأ : كتقديم الخبر على المبتدأ للتنجيح ابتداءً على أنه خبر لا نعت ، كقول أبي بكر بن السطاح في مدح أبي دلف :

له ميم لا تنتهي لسكبارها وممته الصغرى أجل من الدهر  
له واحدة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر

ومن هذا أيضاً أن يوم التأخير غير المعنى المراد ، كما في قوله تعالى ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ليمانه ﴾ (٢) قدم قوله ﴿ من آل فرعون ﴾ على قوله ﴿ يكتم ليمانه ﴾ لأنه لو أخرجه لتوهم أنه متعلق بقوله يكتم ، فلا يفيد ذلك أن الرجل من آل فرعون ، والمراد إفادة أنه منهم ، وكذلك قوله تعالى ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفأهم في الحياة الدنيا ﴾ (٣) الآية . فإما قدم فيها قوله من قومه ، وأخر في الآية السابقة التي ذكرناها معها في أول هذا الباب ؛ لأنه لو أخر في هذه الآية لاتي بعد قول د وأترفأهم في الحياة الدنيا ، وهذا يوم تعلقه بالدنيا ، وهو على بعده كاف في إثبات تقديمه على تأخير ، ولما لم يكن في الآية الأخرى مثل هذا جاء التأخير فيها على أصله ، والأولى أن يقال في ذلك إن الوصف بالموصوف في الآية الأولى طال بما عطف عليه ، فقدم عليه الوصف بالجار والمجرور لأنه أقصر منه ، ولك بعده هذا أن تجعل الموصول صفة للمجرور لا للفاعل على ما سبق بيانه في ذلك

(١) مريم : ٤٦ (٢) ظفر : ٢٨

(٣) سورة المؤمنون آية ٣٣

### التقديم للضرورة :

ومنها أنه تدعو إليه ضرورة الشعر ، كقول الأقيصر الأسدي :

سريع إلى ابن العم يطمح وجهه      وليس إلى داعي الشدى بسريع  
وقول الآخر :

وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت      بحمد المي وهي منه سلب

### التقديم للضرورة ليس من البلاغة :

وفي هذا المقام من بين مقامات التقديم يتكافأ التقديم والتأخير ، فليس له شيء من الملاحاة التي لغيره ، ومثل ضرورة الشعر في هذا ضرورة السجع وتناسب الفواصل ، وقد سبق أن هذا ليس مما تدعو إليه البلاغة كغيره مما تدعو إليه البلاغة في هذا العلم ، ولهذا تكافأ فيه من جهة البلاغة التقديم والتأخير ، ومن التقديم لتناسب الفواصل قوله تعالى ( قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة موسى ) (١) ولكن القرآن الكريم لا يلجأ إلى التقديم لأجل مزية السجع وحدها ، إلا كان شأنه في هذا شأن السجع في غيره ، ومن موايا التقديم في الآيتين غير مزية السجع الاهتمام بشأن سحرهم ، والمبالغة في الخيفة التي حدثت في نفسه ، والاهتمام بإثباتها له .

### التقديم للتخصيص :

ومن أغراض التقديم أيضاً لإفادة التخصيص ، وهو في هذا الغرض يعد من أدوات القصر كما سبق ، والتخصيص في غالب الأمر لازم للتقديم ، ومن التقديم ما يمين لإفادة التخصيص ، ومنه ما يجوز أن يكون للتخصيص وأن يكون لتقوية الحكم فقط ،

### التقديم المتعين للتخصيص :

والتقديم المتعين لإفادة التخصيص يكون في صورتين : إحداهما أن يكون المستند إليه واقعا بعد نفى المستند خبره فلي ، ويستوى في هذا المستند إليه المستند والمظهر ، كما في قول المتنبي :

(١) سورة طه : آية ٦٧



وما أنا أسقيمتُ جسمي به ولا أنا أضربتُ في القلب نارا  
فلمعنى في هذا على أنه هناك إسقام وإضرار ، ولكن الجالب لها غيره لاهو ،  
ولهذا لا يصح أن تقول : ما أنا قلت هذا ولا غيره ، للتناقض بين أول السلام  
وآخره .

#### اتفاق الشيعيين في هذه الصورة :

وقد وافق السكاكي (١) عبد القاهر في منع هذا وأشباهه ، وموافقته له في ذلك  
دليل على أنه يتعين عنده للتخصيص بدون قيد ولا شرط مما سيأتى له في  
غير النفي ، وقد زعم الخطيب أن السكاكي يشترط ذلك في صورة النفي أيضا .

والثانية أن يكون المسند إليه نكرة والمسند خبر فعلي أيضا ، نحو قوله في  
المثل المشهور : شرُّ أهرَّ ذا ناب ، وهو يضرب في ظهور أمارات الهر ومخايله ؛  
والمراد أن الذي أهرَّ من جنس الشر لا من جنس الخير ، لأن السكاب قد يهر في  
الخير أيضا ، كالدفاع عن أصحابه ونحوه .

ولا خلاف في هذه الصورة أيضا بين عبد القاهر والسكاكي ، وإن زعم السعد للنفذاني  
أن كلام عبد القاهر في دلائل الإيجاز ظاهر في أن بناء الفعل على النكرة قيد يأتي  
للتقوية ، فإن كلام عبد القاهر (٢) فيه صريح في أنها لا تأتي في ذلك إلا للتخصيص ،  
وقد ذكر فيه أنك إذا قلت : رجل جامد ، لم يصح حتى تريد أن تعلم المخاطب أن  
الذي جاءك رجل لا امرأة أو لا رجلا ، فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول  
: جامد رجل ، فتقدم الفعل .

#### التقديم المحتمل للتخصيص والتقوية :

والتقديم المحتمل للتخصيص وتقوية الحكم يحى في صورة واحدة ، وهي بناء  
الفعل على المسند إليه المثبت غير المنكر ، فإله تارة يأتي للتخصيص كما في قوله تعالى  
(ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق

(١) المفتاح ص ١٥٢

(٢) دلائل الإيجاز ص ٧٤

لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعلمهم مرتين ثم يردون إلى عذاب أليم (١) فإني في هذا على التخصيص أى لا يعلمهم إلا نحن ، وتارة يأتى لتقوية الحكم ، كقول عروة ابن أكيمة :

مسألة: متى أزمعت: مبينة فإين تقولها (٢) أبيتا

فلا يريد من هذا أن الإجماع كان لها وحدها دون غيرها ، وإنما يريد أن يحقق الأمر ويؤكدده .

وقد اشترط السكاكي (٣) في إفادة هذه الصورة التخصيص شرطين : أحدهما أن يجوز تقدير كونه في الأصل مؤخرأعلى أن يكون فاعلا في المعنى فقط ، وثانيهما أن يقدر أنه مقدم من تأخير بالفعل ، فلا يفيد التخصيص عنده على هذا إلا البناء على الضمير نحو قولك « أنا عرفت » ، لأنه هو الذى إذا أخر يكون فاعلا في المعنى فقط بخلاف البناء على الظاهر ، نحو قولك « زيد عرف » ، لأنه إذا أخر يكون فاعلا في اللفظ والمعنى ، ولكنه عاد بعد هذا فقال « وأما نحو زيد عرف ورجل عرف فليس من قبيل هو عرف في احتمال الاعتبارين على السواء ، بل حق المعرفة جملة على وجه تقوى الحكم ، وحق المنكر جملة على وجه التخصيص ، وهذا ظاهر في أن البناء على المظهر يحتمل الاعتبارين عنده مثل البناء على المضمر ، ويمكن أن يحصل اشتراطه ما سبق في إفادة التخصيص على ما هو الغالب فيه ، لأن الغالب في البناء على الظاهر أن يكون للتقوية لا للتخصيص ، وهذا هو الذى يتفق مع ما ذهب إليه من إفادة التقديم التخصيص في قوله تعالى ﴿ قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بمعزٍ ﴾ (٤) أى المعز علمنا يا شعيب رهطك لا أنت ، ولهذا قال في جوابهم ﴿ قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراكم ظهيراً إن ربي بما تعملون محيط ﴾ (٥) ولا شك أنه لا يمكن أن يقال في هذا التقديم إنه يجوز تأخيره على أنه فاعل في المعنى فقط .

(٢) نظنها

(٤) سورة هود آية ٩١

(١) سورة التوبة آية ١٠١

(٣) المفتاح ص ١١٩

(٥) سورة هود آية ٩٢

## مميزات الاحتمالين :

هذا والذي يميز ما يكون من هذا التقديم للتخصيص وما يكون منه لتقوية الحكم إنما هو المقام وسياق الكلام ، وينبغي فيما يكون لتقوية الحكم أن يحى فيما سبق فيه إنكار من منكره مثل قوله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (١) لأن الكاذب لا سيما في الدين لا يعترف بأنه كاذب ، فيمتنع أن يعترف بالعلم بأنه كاذب . وفي تكذيب مدّج كقوله تعالى ( وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون ) (٢) وفيما يقتضى الدليل ألا يكون كقوله تعالى ( والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ) (٣) فإن مقتضى الدليل ألا يكون ما يتخذ إلهاً مخلوقاً ، وفي المدح والافتخار كقول المعدل بن عبد الله الليثي :

مهمٌ يفسرُ شئونَ القبلَةِ كُلَّ طَمَرَةٍ وأجرَدَ سَبَّاحٍ يَبْدُ المِغَالِيَا (٤)  
وكقول طرفة بن العبد :

نحبُّ في المشتاةِ مدعو الجفلى لا ترى الأدبَ فيها يمتنقِرُ (٥)

إبطال الحاق نحو « زيد عارف » بنحو « هو عارف » .

وقد ذهب السكاكي إلى أن نحو « زيد عارف » قريب من « هو عارف » في إفادة تقوية الحكم ، والحق خلاف ما ذهب إليه في هذا لأنه لو كان نحو « زيد عارف » يفيد تقوية الحكم لما صح خطاب خالي الذهن به ، وهو خلاف ما سبق

(١) سورة آل عمران آية ٧٥ (٢) سورة المائدة آية ٩١

(٣) سورة النحل آية ٢٠

(٤) الطمرة : الفرس السكرية ، والأجرَد : القصير الشعر ، والسباح : اللين الجري ، والمغاليا : بضم الميم السهم ويجوز فتحها فيكون جمع مغلى أو مغلاة وهي السهم أيضا .

(٥) المشتاة : اسم مكان الشتاء ، والجفلى : الدعوة العامة ، والأدب : الداهي ، ويمتنقِرُ : يدعو بعضا ويترك بعضا .

عن أبي الغباس في جواب الكندي من الفرق بين عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم  
ولم عبد الله لقائم .

التقديم في مثل ، و د غير ، :

وما يكون فيه التقديم لتقوية الحكم تقديم لفظ د مثل وغيره ، وما بمعناهما في نحو  
د مثلك لا يبخل وغيرك لا يعطى ، وما إلى هذا مما يراد فيه بلفظ مثل أو غير عين  
ما أضيفا إليه على سبيل الكناية ، فإن معنى الأول : أنت تجمد ، ومعنى الثاني : أنت  
تعطى ، لأنه إذا كان كل من هلى صفته لا يبخل كان من مقتضى القياس والعرف أنه  
أيضا لا يبخل ، وإذا كان غيره هو الذى لا يعطى كان من مقتضى ذلك أيضا أنه  
هو الذى يعطى ، وقد جرى استعمال اللفظ في هذا على تقديم لفظ مثل وغير ، وإن  
كانت هذه الكناية ممكنة مع تأخيرهما ، لأن التقديم بما يفيد من تقوية الحكم يساعد  
على الغرض المتصور منها وهو المبالغة فيه . ومن هذا قول المتنبى :

مثلك يئى الحزن عن صوته ويسترد الدمع من غربه (١)  
ولم أقل د مثلك ، أعنى به  
وقوله أيضا :

غيرى بأكثر هذا الذرع يبتدع إن قالوا سجدوا أو حذوا شجرها  
وقول أبى تمام :  
غيرى يأكل المروف مسحنا وتشحبه عنده يعض الأيادى  
وقول البارودى :

سوى يستحسان الأخرى يطرب  
فإذا أريد بمثل وغير سوى ما أضيفا إليه لم يلزم تقديمهما لأن الكلام فيهما  
يتكون على سبيل الحقيقة لا الكناية ، كما فى قول الصائى :

(١) صوته : جهته ، وغربه : مجراه فى المعنى .

تشابهه - دممى إذ جرى وملا متى فن مثل ما فى الكأس عفى تمسكب  
وقول الآخر :

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم فكاننى سبابة المستقدم  
تقديم أداة العموم على النفى :

وما يكون التقديم فيه لتقوية الحكم أيضا تقديم أداة العموم ، مثل قولك  
د كل إنسان لم يقم ، فهو أقوى دلالة على العموم من قولك د لم يقم لإنسان ، وللفوم  
هنا كلام طويل فى دلالة كل على عموم النفى إذا تقدمت عليه كما فى المثال الاول ،  
وفى دلالتها على نفي العموم إذا تأخرت عنه ، كما فى قولك د لم يقم كل إنسان ،  
وهو كلام على طوله لا صلة له بهذا العلم ، لأن هذه الدلالة ترجع إلى اللغة والوضع ،  
فلا يصح أن يبحث فيها هنا .

التقديم فى الاستفهام :

وشأن التقديم فى الاستفهام من جهة لفادة التخصيص أو تقوية الحكم كشأن  
التقديم فى غيره مما سبق ، ومن التقديم فيه للتخصيص قوله تعالى : ﴿ أفأنت تنكره  
الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (١) فالمنى على أنه لما يقدر على هذا الله لا أنفى ،  
ومن التقديم فيه لتقوية الحكم قوله تعالى ﴿ قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق  
لجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ (٢) فالمنى على  
إنكار أن يكون إذن من الله فى هذا ، لا على أن الإذن ينكر من الله دون غيره .

## ٥ - التقييد والإطلاق

تعريفهما :

التقييد : يكون بالمناعيل ونحوها من الفضلات ، وباللمعت وغيره من التوابع ،  
وبالشرط لأنه قيد فى الجواب ، فإذا قلت د إن جئتى أكرمك ، كان معنى هذا

(٢) يونس : ٥٩

(١) يونس : ٩٩

أكرمك وقت مجيئك . أما الإطلاق فتترك التقييد بذلك كله ، ولكل منهما مقامات تقتضيه .

### أرجاعهما الى اعتبار الذكر والحذف :

ولكن يجب أن نذبه هنا إلى أمر غفل علماء هذا الفن عنه، جاء كلامهم فيه أقرب إلى علم النحو منه إلى علم المعاني ، وهذا الأمر هو أن التقييد والإطلاق يرجعان في الحقيقة إلى اعتبار الذكر والحذف ، فإذا فهمناهما على هذا الوجه أمكننا أن نعرف من اعتباراتهما ما يرجع إلى هذا العلم ، وما يرجع منها إلى علم النحو ، وإذن لا يكون التقييد بذلك وترك التقييد به وجهين من وجوه البلاغة إلا عند قيام القربة فيهما ، وشأنهما في هذا شأن الذكر والحذف سواء بسواء . ويمكننا بعد هذا أن نستغنى هنا عن الكلام في التقييد بالمفاعيل ونحوها وترك التقييد بها ، لأن هذا قد شمله الكلام على الذكر والحذف فيما سبق فلم يبق إلا أن نتكلم هنا على التقييد بالتوابع ، والتقييد بحروف الجر ، والتقييد بالشرط .

### مقام النعت :

يؤتى بالنعت في النحو للتوضيح في المعارف والتخصيص في النكرات ، ومضى أريد به ذلك كان ذكره واجباً في الكلام ، فلا يصح أن نبحث عنه هنا من هذه اللاحية ، وإنما نبحث عنه هنا إذا كان الكلام يتم بدونه ، فيكون ذكره لأغراض أخرى غير هذا الغرض النحوي ، ومن هذه الأغراض قصد التأكيد ، كما في قول الشاعر :

وأي الذي ترك الملوك وجههم بصُهابٍ هائدةٍ كأس الدّابر<sup>(١)</sup>  
ومنها قصد المدح أو الذم كما في قوله تعالى : ( فتبارك الله أحسن الخالقين )<sup>(٢)</sup>  
وقوله ( فإذا قرأت القرآن فاستمعوا بالله من الشيطان الرجيم )<sup>(٣)</sup> . وقول آخر :  
أخف طرفة بن العبد :

(١) صهاب : قرية بالبحرين وقيل بفارس (٢) المؤمنون : ١٤ ،

(٣) النحل : ٩٨ .

لا يسمعون قومي الذين هم سم السمدة وآفة الجزر  
 النازلون بكل معتبرك والطيبون معاقدة الأثر  
 ومنها رفع توهم احتمال في الكلام ، مثل قوله تعالى ﴿ وقال الله لا تتخذوا  
 الهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ﴾ (١) فإن الاسم الحامل لمعنى الإفراد  
 والتثنية يدل على شيئين ( الجنس والعدد المخصوص ) فإذا أريدت الدلالة على أن  
 المقصود من ذلك العدد لا الجنس شفع بما يؤكد ، ليبدل على أن المقصد إليه  
 والعناية به ، ولهذا لو قلت إنما هو إله ولم تؤكد بواحد لم يحسن ، ونحيل إلى السامع  
 أنت تثبت الإلهية لا الوجدانية ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وما من دابة  
 في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من  
 شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ (٢) وصف دابة بقوله « في الأرض » ووصف طائراً  
 بقوله « يطير بجناحيه » لبيان أن المقصد بهما إلى الجنس لا إلى الدلالة على الوحدة  
 المنتشرة ، وهذا يفيد زيادة التعميم والإحاطة ، كأنه قيل : وما من دابة تط  
 في جميع الأرضين السبع وما من طائر في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه .

#### مقام التوكيد :

ويمكننا أن نعتبر أغراض التوكيد كما من هذا العلم ، وأن يحكم بأنه  
 لا حظ للنحو فيه إلا في حكم الإعراب وما إليه من أحكامه ، فن أغراض التوكيد  
 دفع توهم التجوز أو السهو أو عدم الشمول ، ولا شك أن هذا لا يكون إلا حيث  
 يدعو إلى هذا داع في الكلام ، وإلا كانت التوكيد عبثاً لا فائدة فيه ، ومن  
 ذلك قوله تعالى ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون  
 مع الساجدين ﴾ (٣) ففي هذا التوكيد وتكراره ما فيه من الدلالة على عظم جرم  
 إبليس إذ فعل من ذلك ما لم يفعله أحد غيره يوقين ، وكذلك قوله تعالى ﴿ وأعد  
 أرياء آياتنا كلها فكذب وأبى ﴾ (٤) وقول عبد الله بن مسلم الهنلي :  
 لكتبته شافه أن قيل ذا رجبت يا ليت عدة تحول كله رجبتا

(٢) الأنعام : ٣٨

(١) النحل : ٥١

(٤) طه : ٥٦

(٣) الحجر : ٣٠

كم هرة قد كنت ألفها تسد من دونها الأبواب والمخارج  
قد ساغ فيه لها مشى النهار كما ساغ الشراب لعطشان إذا شربا  
وقول جميل :

لا لأبوح بحب بنينة لها أخذت على موافقاً وعبوداً  
وقول بعضهم :

فياك إياك المراء فإنه إلى الشر دماء وللشر جالب

### مقام عطف البيان :

ومنزلة عطف البيان في النحو منزلة الرفع ، فيؤتى به فيه الإيضاح والتخصيص  
والفرق بينهما فيه أن هذا جامد وذلك معتق ، أما هنا فيؤتى بعطف البيان  
لأغراض منها المدح أو الذم ، كالمدح في قوله تعالى ( جعل الله السكينة البيت  
الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لعلوا أن الله يعلم ما في  
السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم ) (١) فلا يراد من قوله البيت  
الحرام ، التوضيح ، وإنما يراد به المدح .

وقد يقصد من عطف البيان أن يأتي الكلام فيه على سبيل الإجمال ثم التفصيل ،  
ويكون هذا في مثل تقديم الصفة وجعل الموصوف عطف بيان لها ، كما في قول  
الناطقة الذبياني :

والأومى العائذات العاير يسبحها مركبان مكة بين الغيل والسند  
ما إن أتيت بأمر أنت تكرمه إذن نلا رفعت سوطاً إلى يدي

### مقام البدل :

والبدل شأنه هنا أن التوكيد ، فليس للبحر منه إلا حظ الإهراب ، لأنه يأتي  
على نية تكرار العامل فيكون إسناده أقوى من غيره ، وفيه مع هذه درية الإجمال  
ثم التفصيل السابقة في عطف البيان ؛ ولولا هذا وذاك لتمكن أن يقال في قوله

(١) سورة المائدة آية ٩٧



« جاء القوم أكثرهم ، : جاء أكثر القوم ، وهكذا . وإذا كان هذا شأن البديل فإنه لا يصار إليه في الكلام إلا عند وجود ما يدعو إليه كالتوكيد ، مثل قوله تعالى ( والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً )<sup>(١)</sup> فإنه يراد من هذا الاهتمام بشأن الحج بسبب تكرير الإسناد فيه مرتين ، وكذلك الإشارة إلى أن له تعليقاً بجميع الناس بحيث لا يسقط عنهم إلا إذا قام به بعضهم ، وفي ذلك قوله تعالى ( ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً )<sup>(٢)</sup> وقول النابغة الجعدي :

بلغنا السماء سجدةًنا وسناؤنا وإننا لنبغى فوق ذلك كظهرنا

### الخلاف في بدل الغلط :

وقد قيل إن بدل الغلط لا يدخل معناها لأنه لا يقع في فصيح الكلام ، والحق أنه قد يقع أيضاً في فصيح الكلام ، وهذا إذا كان بدل مداء وهو أن تذكر المبدل منه عن قصد ثم تذكر البديل بعده فتوهم أنك غلط لقصد المبالغة والتفنن ، وشرطه أن يرتقي فيه من الأدنى إلى الأعلى ، وحكم هذا البديل حكم العطف ببل كافي قول بعضهم :

المنحُ برقٍ تمرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

ومن هذا البديل قول ذي الرمة :

لشيءاء في شفتيها محوثة لليس وفي اللثات وفي أنيابها برد

فالليس بدل غلط من المحوثة ، لأن المحوثة السواد ، والليس سواد يشوبه حمرة .

### مقام عطف النسق :

وأما عطف النسق لحظ علم النحو فيه التثنيك في الإعراب في سائر حروفه ، والتثنيك في الحكم في بعضها ، وحظ علم المعاني منه إفادة هذا من قصد التفصيل

(١) سورة آل عمران آية ٩٧ (٢) سورة الفرقان آية ٦٩

في المسند اليه أو المسند والاختصار في اللفظ ، ولا يكون هذا إلا لدواع في الكلام لا شأن للنحو بها .

### مقام الواو :

أما إفادة التفصيل في المسند اليه فيكون بالواو كقولك : جاء زيد وعمرو وخالد ، والاختصار في هذا أن العطف يفنى عن تكرير الفعل : جاء زيد جاء عمرو وجاء خالد .

وللتفصيل في المسند اليه مقامه ؛ وللإختصار في ذلك مقامه أيضا ، وهذا كما في قوله تعالى ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ (١) فقد اقتضى المقام ذكر فرعون وهامان دلي التفصيل ، فحفظا بالواو لأن تبعه ذلك تقع عليهما ، وهما السبب في خطأ جنودهما ، ثم عطف الجنود عليهما على سبيل الإجمال ، لأنه لا يتعاقب فيهم غرض بالتفصيل ، وفي الآية تفصيل بالواو أيضاً في خبر يكون ، لأنها قد تأتي أيضاً لتفصيل المسند وإن كان يمكن الاستغناء عنها في غير المسند اليه ، وسيأتي هذا في باب الفصل والوصل .

### مقام الفاء وثم وحتى :

أما تفصيل المسند مع الاختصار فيكون في العطف بالفاء وثم وحتى ، كما في قولك : جاء زيد وعمرو وخالد ، فإن هذا يفن عن قولك : جاء زيد وجاء عمرو بعده وجاء خالد بعدهما ، ولا شك أن في هذا تفصيلاً أيضاً في المسند اليه ، ولكنه غير مقصود هنا كما يقصد في الواو .

وها هنا أمر لابد من التلبيه إليه في هذه الحروف ، وهو أن الواو بدالاتها دلي مطلق الجمل يمكن أن تحل في كل موضع مكان غيرها من هذه الحروف ، فلا بد في مراعاة ذلك من تدقيق في صوغ الكلام تتفاوت به درجاته في البلاغة ، وهذا كما في قوله تعالى ﴿ والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميني ثم يميني ﴾ (٢) فلو قال قائل في موضع هذه الآية : الذي يطعمني ويسقين ويمرضني

(١) سورة البقرة آية ٨ (٢) سورة الشعراء آية ٨٠

ويشفيين ويميتن ويحيين . لسكان للكلام معنى تام ، ولسكنه لا يكون كعنى الآية ، لأن كل شيء فيها قد عطف بما يناسبه ، ووقع موقع السداد منه ، فالأول عطف بالواو التي هي لمطلق الجمع ، وقدم فيه الإطعام على الإسقاء ، مراعاة حسن النظم ، والثاني عطف بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما ، والثالث عطف بـ (ثم) لأن الإحياء للبعث يكون بعد الموت بزمان طويل . ومن هذا أيضاً قوله تعالى (قتل الإنسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره) (١) وقوله (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) (٢) .

#### مقام بل ولا ولكن :

ومقام بل ولا ولكن لرد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب مع الاختصار أيضاً ، وهي من أدوات القصر على ما سبق ، بل فائدة القصر فيها أظهر من فائدة العطف ، فلا معنى لإطالة الكلام عليها هنا .

#### مقام أو وإما :

وأو وإما موضوعان لإفادة الشك أو التخيير أو الإباحة ، ولكنهما قد يستعملان في مقام لا شك فيه . وهذا إذا كان المتكلم يريد تشكيك السامع ليجعل هذا وسيلة إلى بلوغ اليقين ، وإيصال الحق إلى المخالفين على وجه لا يشير غضبهم ، لينظروا فيه فيؤدبهم النظر إلى العلم به ، وهذا كما في قوله تعالى (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنما أو ليأتكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) (٣) وقد يحمل هذا على إرادة الإيهام لا التشكيك ، وهما يتحدان في إعادة هذا الفرض ، وقد يكون للإيهام أفراس أخرى غيره ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : (وآخرون

(٢) المؤمنون ١٢ ، ١٣ ، ١٤

(١) عبس : ١٩

(٣) سبأ : ٢٤

مرجون لامر الله إما يغنّبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم ﴿١﴾ . وقول  
توبة ابن المسيب :

وقد زعمت ليل بأئسى فاجر لنفسى متفاهاً أو عليها لجورها  
وقيل إن د أو ، في هذا بمعنى الواو ؛ أى وعليها لجورها .

#### التقييد بحروف الجر

والتقييد بحروف الجر لا يخلو أيضاً من أسرار ولطائف في إشار بعضها على  
بعض ، وهذا عندما يبدو للنظر أنه يجوز حذف حرف منها في مكان الآخر ، وأكثر  
الناس يصفون هذه الحروف في غير مواضعها ، فيجعلون ما ينبغي أن يجر به على  
مجرور أبى وهكذا ، ومنهم من وصل به الأمر إلى أن يزعم أن هذه الحروف  
يتوب بعضها عن بعض ، ومن هذا أنهم يقولون إن د في ، للواء ودلى ، الاستعلاء  
نحو د زيد في الدار وصرو على الفرس ، ، ولكنهم إذا أرادوا استعمالها في غير  
هذين الموضعين إنما يشكل استعماله عدلوا فيهما عن الأولى بهما . وبما يشكل في هذا  
قوله تعالى ﴿ وإنا أو إياكم لى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ (٢) ألا ترى إلى بداعة  
هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفي الجر ها هنا ، فإنه إنما خولفت بينهما في الدخول  
على الحق والباطل لأن صاحب الحق كأنه مستعمل على فرس جواد يركض به حيث  
شاء ، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض فيه لا يدرى أين يتوجه ،  
وهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله في الكلام ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ إنما  
الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين  
وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ (٣) فقد عدل في الأربعة  
الآخيرة عن اللام إلى د في ، للإيدان بأنهما أوسخ في استحقاق التصديق عليهم بمن  
سبق ذكرهم باللام ؛ لأن د في ، للواء فتدل على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم  
الصدقات كما يوضع الشيء في وعائه ، وتكوير د في ، بعد ذلك للإيدان بترجيح  
د سبيل الله على د الرقاب والغارمين ، ، لأنه أؤكد في استحقاق النفقة فيه ، وهذه  
الأسرار واللطائف لا تسكد توجد إلا في القرآن الكريم ، فاهرفها وقص عليها .

(١) التوبة : ١٠٦ (٢) سبأ : ٢٤ (٣) التوبة : ٦٠

## التقييد بالشروط

والتقييد بالشروط كالتقييد بحروف الجر له اعتبارات نحوية ظاهرة تعرف بمعرفة ما بين أدواته من الفروق في معانيها النحوية ، ولكن بعض هذه الأدوات لا يخلو اعتباره من أسرار ولطائف يزيغ فيها كثير من الخاصة عن الصواب ، لأن هذه الأدوات كثيراً ما يستعمل بعضها مكان بعض ، فيظن أنه لا فرق بينها في ذلك ، وأنها لا تجري فيه وراء اعتبارات دقيقة ، وهذه الأدوات هي :  
إن وإذا ولو .

### مقامات « إن » و « إذا » :

فأما « إن » ، فهي تذك على الشك في شرطها ، ولهذا يغلب استعمالها في الأحكام النادرة الوقوع ، ويغلب في شرطها أن يكون مضارعاً . وأما « إذا » ، فتدل على الجزم بشرطها ، ولهذا يغلب استعمالها في الأحكام الكثيرة الوقوع ، ويغلب في شرطها أن يكون ماضياً ، وإن كانت تنقلبه إلى الدلالة على الزمن المستقبل ، ومن هذا قوله تعالى ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه إلا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ (١) أتى في جانب الحسنة بلقظ إذا لأنها كثيرة الوقوع لهم ، ولهذا عرفت تعريف الجندس الدال على الإطلاق والشيوع ، وأتى في جانب السيئة بأن لأنها كانت نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ، ولهذا أتى بها على سبيل التذكير الدال على الوحدة ، وكذا قوله تعالى ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ (٢) وإنما نسكت الرحمة هنا للإشارة إلى أن قليلاً منها يفرحهم ذلك الفرج المذموم ، كما أن قليلاً من السيئة يحملهم على ذلك القنوط المذموم أيضاً .

وهذه الاعتبارات الدقيقة قلما تراعى في غير القرآن الكريم ، وكثيراً ما يخطئ فيها الشعراء والبلغاء ، كما أخطأ في ذلك عبد الرحمن بن حسان وقد سأل بعض الولاة حاجة فلم يقضها له ، ثم شفع له فيها فقضاهما فقال :

ذممت ولم تحضد وأدركت حاجتي تولى سواكم أجراها واصطناعها

(١) الأعراف : ١٣١

(٢) الروم : ٣٦

أَبَى لَكَ كَسْبَ الْجَدِّ رَأَى مُقَصِّرٌ وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ بِأَعْمَارِهَا  
إِذَا هِيَ حَشْتَتْهُ عَلَى الْخَيْرِ سَمَرَةٌ عَصَاهَا، وَإِنْ كَمَحَتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا  
فَلَوْ عَكَسَ لِأَصَابِ غَرَضِ الطَّجَاءِ الَّذِي يَقْصِدُهُ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ يَقْصِدُ الْجَزْمَ بِأَنْ  
نَفْسُهُ تَحْشُهُ عَلَى الْخَيْرِ وَلَسْكَتَهُ يَعْصِيهَا، وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الذَّمِّ، كَمَا يَقْصِدُ أَنَّهُ يَبَادِرُ إِلَى  
الشَّرِّ بِمَجْرَدِ تَوَهُُّمِ نَفْسِهِ لَهُ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي ذَمِّهِ أَيْضًا.

استعمالاً ان في مقام اذا :

وقد تستعمل إن مع شرط مقطوع به لأغراض منها قصد التوبيخ ، لأن  
الشرط لا شئالة دلي ما يقلعه عن أصله لا يصبح إلا افرضه كما يفرض المحال ، ومن  
هذا قوله تعالى ( أنضرب عنكم الذكر صفحاً إن كنتم قوماً مسرفين ) (١) على  
قراءة الكسر ، فإن إمرأهم عتق الوقوع ، ويراد التوبيخ والتجديد على  
ارتكابه وتهوير أن الإسراف من العاقل في مثل هذا لا يضح وقوعه ، ويشك  
في صدوره منه .

ومنها تغليب الشاك على غيره ، كما في قوله تعالى ( وإن كنتم في ريب مما  
نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم  
صادقين ) (٢) فإب من يشك في ريبه من المنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف  
ما يطمنون دلي من يقطع بريبه من غيرهم ، وقد جرى أسلوب القرآن على هذا  
وإن كان الشك لا يتصور في حق الله تعالى لأنه وارد على أساليب كلامهم ،  
فيأتي في هذا على ما ينبغي أن يعتبر فيه دلي فرض أنه لا يخلق يجوز عليه الشك والجزم ،  
ويجوز أن يكون الإيمان بأن في الآية للتوبيخ لا للتغليب .

ومنها مجازاة الخصم لإلزامه بما ينكره ، مثل قوله تعالى ( قل إن كان للرحمن  
ولد فأنا أول العابدين ) (٣) فالشرط هنا مقطوع بنفسه ، ولكن قصد فرضه  
بجازاة للخصم ليكون هذا سبباً في إلزامه .

استعمال اذا في مقام ان :

وقد تستعمل إذا مع شرط غير مقطوع به لأغراض منها : تنزيل غير المجازم

(٢) سورة البقرة آية ٢٣

(١) سورة الزخرف آية ٥

(٣) الزخرف : ٨١

منزلة الجازم ، ومنها تغليب الجازم على غير الجازم ، ومنها قصد التوبيخ على الشك في الشرط لأنه لا ينبغي أن يكون ، واستعمال « إذا » في هذه المقامات قليل وقادر الوقوع في كلام البلغاء .

#### استعمال الماضي شرطاً أن :

ولا يستعمل الماضي شرطاً له ، لأن ، إلا لأغراض منها الرغبة في وقوعه مثل قوله تعالى ﴿ ولا تنكروا أفنيا تكلم على البناء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكره من فإن الله من بعد ما كرهه من غفور رحيم ﴾ (١) ومعنى إظهار الرغبة منه تعالى لإظهار كمال رضاه ، أو إظهار كون الشيء مرغوباً في ذاته .

ومنها قصد التعريض مثل قوله تعالى ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم لآلئ الظالمين ﴾ (٢) ولا شك أن التعريض بهم في الآية يثبت مع الإتيان بالمضارع أيضاً ، ولكنه الماضي أدل عليه لأن الإشراف لم يقع منه فيكونون هم المقصودين به قطماً ، بخلاف المضارع لأن التهديد بذلك على الإشراف في المستقبل قد يحمل عليه ، وإن كان محله عليه بعيداً كل البعد .

وقد تستعمل « إن » في الماضي لفظاً ومعنى استعمالاً لغوياً لا يحتاج إلى مراعاة عرض من هذه الأغراض ، وبطريق هذا مع « كان » ، ويقل في غيرها ، مثل قوله تعالى ﴿ إن كنت قلته فقد علمته ﴾ (٣) ومثل قول أبي العلاء :

فيا وطني إن فاني ربك سابق من الدهر فليته سم اساك كنك البالي  
وقد تستعمل « إذا » في الماضي لفظاً ومعنى أيضاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ حتى إذا صدأ بين الصدفين قال انفضوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً ﴾ (٤)

#### مقامات لو :

ولو تستعمل في اللغة للدلالة على امتناع الجزاء لامتناع الشرط ، ويصح في شرطها وجوبها أن يكون كل منهما فعلاً ماضياً ، وهذا المعنى هو الشائع في استعمال البلغاء ، مثل قول أبي العلاء :

(٢) البقرة : ١٤٥

(٤) السكف : ٩٦

(١) النور : ٣٣

(٣) المائدة : ١١٦

ولو دامت الدولات كانوا كغيرهم رعايا ولكن ما لمن دوايم  
وقد تستعمل للدلالة على العلم بامتناع الشرط لأجل العلم بامتناع الجواب ،  
وهذا المعنى فيها هو الذى اعتمد عليه علماء المنطق ، وقد شاع فى مقامات الاستدلال  
العمل ، كما فى قوله تعالى ﴿ لو كان فيهم آفة إلا الله لفسدنا فسبحان الله رب  
العرش عما يصفون ﴾ (١) .

#### استعمال المضارع شرطاً له لو :

وقد تدخل دلو ، على المضارع لأغراض منها تنزيله منزلة الماضى لصدوره عن  
لاخلاف فى اخباره ، كما فى قوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم  
يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا  
مؤمنين ﴾ (٢) فإن المترقب فى أخبار الله تعالى بمنزلة المقطوع به .

ومنها قصد الاستمرار فى الماضى حينئذ ، كما فى قوله تعالى ﴿ واعلموا أن فيكم  
رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه فى  
قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ (٣) فإنما قال  
يطيعكم ولم يقل أطاعكم للدلالة على أنه كان فى إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه  
وأنه كلما عن لهم رأى يعمل به ، بدليل قوله دفى كثير من الأمر .

#### مقامات الإطلاق :

والإطلاق كما سبق ترك التقييد ، فهو ضرب من ضروب الحذف والإيجاز ،  
ولكنه خاص بالصفة تحذف لوجود ما يدل فى الكلام عليها ، وما إلى هذا من  
ضروب القيود السابقة ، كما فى قوله تعالى ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون  
فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ (٤) فالمراد كل  
سفينة صحيحة ، وإنما أطلقها ولم يقيد بها بهذا لأن ما قبله يدل عليه . ومثل هذا قول  
أبى ذؤيب الهذلى :

- |                   |                |
|-------------------|----------------|
| (١) الأنبياء : ٢٢ | (٢) سبأ : ٣١   |
| (٣) الحجرات : ٧   | (٤) السكف : ٧٩ |



سَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ وَأَعِزُّوا لَهُمْ وَأَعِزُّوا لَهُمْ وَأَعِزُّوا لَهُمْ

أى مصرع مقدّر . ومثله أيضاً من ترك التقييد بالعطف قوله تعالى ﴿ الله جعل لكم السما خلقاً ظلالاً لكم وجعل لكم من الجبال أكنافاً وجعل لكم سرائيل تقيمكم الحر وسرايل تقيمكم بأسمكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ (١) فالمراد تقيمكم الحر والبرد ، وقد اكنفى بالاول عن الثانى لعلله منه .

## الباب الثالث أحوال الجمل

### ١ - الوصل والفصل

سئل بعض البلغاء عن البلاغة فقال : هي معرفة الفصل من الوصل ، ، فقصرها على معرفة ذلك للتنبيه على مزيد غموضه ، وأنه فن منها عظيم الخطر دقيق المأخذ لا يسكل أحد فيه إلا كمل في سائر فنون البلاغة .

#### تعريف الوصل والفصل :

والوصل هو العطف بالواو لجملة على أخرى لا محل لها من الإعراب ، والفصل هو ترك العطف بالواو لجملة على أخرى لا محل لها من الإعراب ، فلا يأتيان في المفردات ولا في الجمل التي لها محل من الإعراب ولا في العطف بغير الواو من حروف العطف ، وهو مذهب عبد القاهر وكثير من المتقدمين ، وذهب السكاكي وكثير من المتأخرين إلى أنهما يجريان في ذلك كله ، والحق مذهب عبد القاهر ومن تبعه .

#### إبطال اتیانهما في المفردات ونحوها :

فأما أنهما لا يأتیان في المفردات ولا في الجمل التي لها محل من الإعراب ، فلأن الأمر في عطفها يجري وراء قصد التشريك في الحكم ، فهو عطف نحوي طرف يجب عند هذا القصد ، ولا يتوقف على الجامع الآتي المعتبر هنا ، وقد أجاز الفارسي وابن عصفور حذف حرف العطف في ذلك ، كما في قول الشاعر :

كيف أصبحت كيف أمست يمينا يزرج الود في فؤاد الكريم

ولكن حذف حرف العطف في هذا ليس من الفصل المقصود هنا ، لأنه مقدور

في الكلام ، والمقدر فيه كالثابت ، وهذا في غير الصفات المتنابهة ، أما فيها  
فألا كثر ألا يعطف بعضها على بعض كما في قوله تعالى ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن  
يبدله أزواجاً خيراً منه كن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات  
وأبكارا ﴾ (١) ويجوز عطف بعضها على بعض خصوصاً إذا كانت متباعدة ، ولهذا  
حسن العطف في قوله ﴿ ثيبات وأبكارا ﴾ . ومن العطف في ذلك قول الشاعر :

إلى الملك المنقزم وابن الهمام      وليث الكنتية في المزدحم

وقد تحسن مراعاة المناسبة في عطف المفردات إذا لم يجر الإعراب فيها على الحقيقة  
بل جرى على الخيال الشعري ، ولكن هذا يرجع كما سيأتي إلى اعتبارات بدعية ،  
ولهذا عيب على أبي نواس قوله :

وقد حلفت يميناً      مبرورة لا تكذب

يرربة زمزم والنحو      من والمصفا والمجصب

فإن ذكر الحوض مع زمزم والمصفا والمجصب غير مناسب ، وإنما يذكر الحوض  
مع الصراط والميزان وما جرى مجراها . ومن ذلك أيضاً أنه اجتمع نصيب  
والكسبية وذو الرمة فأنشد السكيت :

أم هل ظمئن بالعلياء رافمة      وإن تكامل فيها الدل والششب

فقد نصيب واحدة ، فقال له الكسبية : ماذا تحصى ؟ فقال : خطأك  
فإنك تباعدت في القول ، أين الدل من الششب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة :

لمياء في شفتها نحوه لعس      وفي اللثات وفي أنيابها بررد

فالدل يذكر مع الغننج وما أشبهه ، والششب يذكر مع اللعس وما أشبهه ، ولا  
يخفى أيضاً أن هذا كله لا يجرى على اعتبار الوصل والفصل بالإتيان بالواو وتركها ،  
بل يجرى على اعتبار الإتيان بالفاظ يناسب بعضها بعضاً بقطع النظر عن كونها  
موصولة أو مفصولة .

(١) سورة التحريم : ٥

### إبطال أتيانها في غير الواو

وأما أنهما لا يأتيان في غير الواو من حروف العطف فلأن تلك الحروف تأتي لمعانها المعروفة في علم النحو ، ولا تفيد ما تفيد الواو هنا من معنى الوصل ، فتي تحققت معانها النحوية عطف بها ولو لم يوجد معها الجامع المعتبر هنا ، ولذلك يصح لك أن تقول " خرجت من المنزل فأمرت السماء " ولا يصح لك أن تقول " خرجت من المنزل وأمرت السماء " ، لأنه لا جامع بين إمرار السماء والخروج من المنزل .

والحقيقة أن الواو تفيد هنا معنى غير ما تفيد في النحو ، فهي تفيد في النحو التشريك في الحكم كافي قوله ( قام زيد وعمرو ) ، ولا بد من ذكرها أو تقديرها فيه وإلا حمل الكلام على الإضراب لا على العطف ، وأما هنا فلا حكم بين الجملتين اللتين فصل بينهما الواو حتى يمكن أن يقال إنها تفيد التشريك بينهما فيه ، فهي في هذا أداة وصل لا غير ، وهذا المعنى فيها لا يفيد غيرها من حروف العطف .

### الاختلاف في الخبر والإنشاء اعتيان نحوي

وكذلك الفصل للاختلاف في الخبر والإنشاء حكم نحوي لا يصح أن يعد في اعتبارات الفصل والوصل ، فهو لا يرجع إلى مقام يقتضيه حتى يصح أن يذكر في هذا العلم ، وإنما يرجع إلى منح جمهور النحويين له ، وقد أجاز سيبويه عطف الجملتين المختلفتين بالاستفهام والخبر ، مثل أن تقول ( هذا زيد ومن عمرو ؟ ) .

### كمال الاتصال اعتبار نحوي أيضا

ومثل هذا الفصل لما يسمونه كمال الاتصال ، وهو أن تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى أو بدلاً منها أو عطف بيان لها ، فترك العطف في هذا لا يرجع إلى مقام يقتضيه ، وإنما يرجع إلى امتناع العطف في النحو بين التأكيد والمؤكد والبدل والمبدل منه ، والبيان والمبين ، لأن العطف يقتضي التباين بين المعطوفين والتأكيد عين المؤكد ، وكذلك عطف البيان والبدل ، ولا فرق في هذا بين المعطف في الجمل والمفردات ، وكما أنه لا يصح أن يقال إن هناك فصلاً في تأكيد المفردات ونحوه ، لا يصح أن يقال إن هنا فصلاً في تأكيد الجمل ونحوه ، وأما ما يسمونه عطف تفسير بما ليس فيه مقارنة بين المعطوفين فليس من أسلوب البلاغ ،

ولما يأتي في أسلوب المؤلفين وأشباههم ، وقيل إن الوافيه حرف تفسير لا عطف ،  
ومن هذا قول عدى بن زيد :

وَقَدْ دَتِ الْإِدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَالنَّفْسَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا

وقول الآخر :

أَلَا حَبِيْلًا هِنْدُ وَأَرْضُهَا هِنْدُ وَهِنْدُ آتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيَ وَالْبُسْعِدُ  
وهذا بخلاف قوله تعالى ( أَوَّلَى لَكَ فَأُولَى ، ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأُولَى ) (١) فقد ذهب  
الزمخشري إلى أنه تأسيس لا تأكيد ؛ لأنه جعل الجملة الثانية أبلغ في الإنذار من  
الأولى ، فالمتأخر بين الجملتين ظاهر كما ترى .

#### بمقامات الوصل :

وللوصل مقامان : أولهما دفع الإيهام ، كما روى أن هارون الرشيد سأل  
وزيره عن شيء ، فقال : لا وأيدك الله ، وقد قال صاحب بن عبّاد : هذه الواو  
أحسن من الواوات في حدود الملايح ، ووجه حسنها أنه بدونها يكون ظاهر الكلام  
أنه دعاء على المخاطب لا دعاء له ، ومن الممكن دفع هذا القوم بالسكوت بعد لا ،  
ولكنه لا يغنى في هذا غناءها ، ولا يكون لها حسنها ، والجملة الأولى في هذا المثال  
خبرية والثانية إنشائية ، وقد تكون الجملتان في ذلك خبريتين ، كما تقول لمن سألك :  
هل تصاحب زيداً ؟ ( لا وتركته صحبته ) ، وقيل إنه لا يصح الوصل بالواو في هذا  
ويجب أن يقال ( لا قد تركته صحبته ) . وثانيهما أن يكون بين الجملتين جامع  
خاص غير اتفاقهما في الغرض العام الذي يساق له الكلام ، بشرط ألا يمنع من  
الوصل مانع ماسيأتي في مقامات الفصل ، وهذا الجامع يكون إما بوجود اتحاد بين  
الجملتين في المسند إليه أو المسند أو قيد من قيودهما ، وإما بوجود تماثل بينهما في  
ذلك بالاتفاق في وصف أخوة أو صداقة أو نحوهما ، وإما بوجود تضاد بينهما  
في ذلك كالآبوة مع البنوة ، والعلو مع السفلى وهكذا . وإما بوجود شبه تماثل  
بينهما في ذلك كلوني بياض وصفرة ونحوهما ، وإما بوجود تضاد بينهما في ذلك

(١) سورة التيمامة : ٣٤ و ٣٥

أو شبه تضاد كالسواد والبياض والأرض والسماء ، ولما يوجد تقارن بينهما  
في الخيال لسبب من الأسباب ، ومن الوصل لاتحاد الجملتين في الإسناد قول  
حافظ إبراهيم :

مقم يا ابن مصر فأت محر واستعيد  
مجدد الجلود ولا تعد لمراح

وقول شوقي :

يا فتية النيل السعيد مخذوا السعدى  
واستأنفوا تنفس الجهاد مديدا

وقول الآخر :

أخطئ مع الدهر إذا ما خطئنا وأجر مع الدهر كما يحضري  
ومن الوصل للتماثل بالاتفاق في الأخوة قوله تعالى ﴿ ارجعوا الى أبيكم فقولوا  
يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ﴾ (١)  
وقوله الشاعر :

بئسونا أبنائنا وبئسنا بنوهم أبناء الرجال الإباحة  
ومن الوصل للنضائيف قول الشاعر :

بادر إلى الفرصة وانقض لما تريد فيها فتمنى لا تلبث  
فإن المبادرة إلى الفرصة والنهوض إلى المراد متلازمان في التنقل ، وكذلك  
قوله تعالى ﴿ إذ أنتم بالعدرة الدنيا وهم بالعدرة القصوى ﴾ (٢)

ومن الوصل لشبه التماثل قول الصاحب بن عباد :

رق الزجاج وراق الخمر فتشابه فتشاكل الأمر  
فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر

ومن الوصل للنضاد قول الشاعر :

المريء يأمل أن يعمى شئ ، وطول عيش قد يستعمره  
تفى بشاشته ويبقى بعد حرك العيش ممره

ومن الوصل للجامع الخيالي قول الأراجاني :

فبت من وصلك في لذّة حتى جعل الصبح محبوباً  
واللجم قد أطبق أجفانه والنوم قد أطلق أسراه  
والليل سيف الدهر في فترقه يقتله والديك ينهه

هذا وما يزيد به الوصل حسناً في هذا كله اتفاق الجالنين في الانسية والفعلية ،  
ولا يكون هذا إلا إذا كان المقصود من كل منهما الثبوت أو التجدد ، وإلا وجب  
اختلافهما في ذلك ، ومن اتفاقهما فيه قول الشاعر :

أسود إذا ما أبدت الحرب نأبها وفي سائر الدهر الفيث الماطر  
وقول الآخر :

أعطيت حتى تركت الريح حاسرة وجئت حتى كأن النيث لم يجسد  
ومثل هذا تناسبهما في الإطلاق والتقييد ، والتناسب في الإطلاق كنه ،  
ومن التناسب في التقييد قول الشاعر :

دنوت تواضعا وحلوت مجداً فشأنك المجدار وارتفاع  
وقول الآخر :

تنام عني وعين الليل ساهرة وتستحيل ومينغ الليل لم يحل

مناسبات خفية :

وقد تنقح المناسبة بين الجالنين الموصولين كما في قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن  
الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها  
ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (١)

(١) البقرة : ١٨٩

فأى ارتباط بين أحكام الآلهة وبين حكم إتيان البيوت من ظهورها ؟ والجواب على هذا من وجوه :

أحدها : أنه لما ذكر أنها موافقة للحج وكان من عادتهم إذا أحرموا لم يدخلوا بيتا ولا خيمة ، بل إن كانوا من أهل المدر تقبوا من ظاهر بيوتهم ، وإن كانوا من أهل الوبر خرجوا من خلف الخيمة ، فلما ذكر أنها موافقة للحج ناسب أن ينههم إلى هذه البدعة في الإحرام به . وثانيها أنه عطف على محذوف كأنه قيل : فدعوا السؤال في أفعال الله التي لا تخلو من المحسنة والموعظة ، وإنظروا في أمر تفعلونه ولا حكمة فيه . وثالثها أن يكون وارداً على جهة التمثيل لما هم عليه من قلب الاستئذان والتعنت فيها ، كأنه قيل : مثلكم في هذا السؤال كمثل من ترك باب الدار ودخل من ظهرها .

ومن هذا ما يسمونه عطف القصة على القصة ، أو عطف مضمون كلام على مضمون كلام قبله ، فتعتبر فيه المناسبة بين القصتين وإن اختلفا في الخبرية والإنشائية ونحوهما ، كما في قوله تعالى ( فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ، وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وإننا به متشبهاً ولم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ) (١) فقد قال الزمخشري في قوله « وبشر » : فإن قلنا علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه ؟ قلت : المراد ليس الذي اعتمد بالمعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه ، إنما المعتمد بالمعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول « زيدٌ مماقتسبٌ بالقيء والإرهاق وبشَّيرٌ عمرًا بالعمى والإطلاق » . ثم يجوز أن يكون معطوفاً على قوله « فاتقوا » ، كما تقول : « يا بني تميم اجذروا عقوبة ما جئتمكم وبشر يا فلان بنى أسد بإحسانى إليهم » ، وجوز الخطيب أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره : فأبذروهم بذلك وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...

(١) البقرة : ٢٤



ومن عطفت مضمون كلام على آخر قوله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ  
 اضيقنا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ، ولكننا أنشأنا قزونا ففتاؤل عايمهم  
 العمر وما كنت ثاوريا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين ﴾ (١)  
 فالعطوف هنا مجموع قوله : « وما كنت ثاوريا ، إلى قوله « ولكننا كنا مرسلين » وهو  
 مقطوف على قوله : « وما كنت بجانب الغربي » ، إلى قوله « العمر » ، ولا يصح عطفت  
 قوله « وما كنت ثاوريا » على قوله « فتاؤل عايمهم العمر » ، لأن هذا يقتضي دخوله  
 في معنى لكن ، فيضهر المعنى : « ولكنك ما كنت ثاوريا ، وهو باطل ، وكذلك لا يصح  
 عطفه على قوله « وما كنت من الشاهدين » ، لأنه يجب حينئذ أن ينوى به التقديم  
 على الاستدراك الأول ، ويكون نظم الآية كما تقول « ما جاءني زيد وما خرج  
 بكر لكن هرا حاضر ولكن أخاك خارج » وهو باطل أيضا ، لأن ذلك لا يصح  
 أن تزال عن موضعها ، وسيلها في هذا سبيل « إلا » .

### مقامات الفصل

والفصل ثلاثة مقامات :

أولها ألا يكون بين الجملتين جامع مما سبق ، مثل قول أبي العتاهية :

الفقرُ فيما جاوز الكفايا  
 من اتقى الله رجا وخفا

فالجملتان هنا متفقتان في الغرض العام الذي جمع بينهما في الكلام ، وهو بما يجب  
 مراعاته في الكلام حتى في مقام النزل ، ولكنهما لم يوجد فيما ارتباط بين المسند  
 إليه أو المسند أو قيد من قيودهما على ما سبق ، ففصل بينهما لهذا مع اتفاقهما  
 في أن كلا منهما حكمة من الحكم المسرودة في هذه المردوجة ، ومنها في ذلك أيضا :

يغنيك عن كل قبيح تركه  
 يرتبهن الرأي الأصيل شكة

وقد يوجد الجامع بين الجملتين ولكن يفصل بينهما لاختلاف سياق الكلام ،  
 كقوله تعالى ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب  
 ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من  
 قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ،

(١) القصص : ٤٤

إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون (١) فلم يقطف قصة الكافرين على قصة المؤمنين مع وجود الجامع وهو التضاد، لأن هذا الكلام مسوق لبيان حال الكتاب قصداً، وذكر حال المؤمنين ليس مقصوداً على سبيل الإصالة ثانياً أن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال اقتضته الأولى، فتفصل الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال، ولكنه لا يصار إلى تنويع السؤال المفهوم من الكلام السابق إلا لاعتبارات لطيفة، منها إغناء السامع عن أن يسأل، ومنها التقصد إلى الإيجاز ونحو هذا، وتسمى الجملة الثانية في هذا الضرب من الفصل استثناءً، وقد يسمى الفصل نفسه بهذا أيضاً، والسؤال الذي تتضمنه الجملة الأولى إما أن يكون عن سبب عام كما في قول الشاعر:

قال لي كيف أنت؟ قالتُ حليلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويل  
كأنه قيل: ما بالك حليلاً أو ما سبب هاتك؟ ومثله قول أبي العلاء:  
وقد غرضتُ من الدنيا فل كزمني مُعْطِلُ جِيَانِي إِنْ غَرَّ بِمَنْدُ مَا غَرَضَا  
مُجَرَّبُ بَيْتٍ دَهْرِي وَأَهَابِيه فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدٍّ أَمْرِي غَرَضَا (٢)  
كأنه قيل: ما بالك غرضت؟ أو ما سبب ضجرك؟

وإما عن سبب خاص مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرَىٰ نَفْسِي إِلَّا خَيْرًا لَّامَرَةً﴾ بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم (٣) كأنه قيل: هل الناص أماره بالسوء؟ فقيل نعم إنما أماره بالسوء، وهذا الضرب يقتضي تأكيد الحكم كما سبق في الكلام على التأكيد.

وإما عن غيرهما كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رِسَالًا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَرِّ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِجُلٍّ سَنِيعٍ (٤)﴾ كأنه قيل فماذا قال إبراهيم في رد سلامهم؟ ومن هذا قول الشاعر:

زعم العواذلُ أنني في غمرةٍ صدقوا ولكن غموتي لا تنجلي

(١) سورة البقرة من الآية ١ إلى ٦.

(٢) غرضت: ضجرت، وكذلك غرض في آخر البيت الأول، وبعد: متعاقب به مقدم عليه.

(٣) يوسف: ٥٣

(٤) هود: ٦٩

كأنه قيل : فهل صدقوا في هذا أم كذبوا ؟

وقد يحذف صدر الاستئناف كما في قوله تعالى ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يستج له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ (١) على قراءة « يستج » بالبناء المفعول ، كأنه قيل : من يستجحه ؟ فتبيل : يستجحه رجال .

وقد يحذف الاستئناف كله ويقوم ما يدل عليه مقامه ، كما في قول مسعود بن هند :

زعمت أن إخوتكم قریش لم ألف وليس لكم ألف  
كأنه قيل : فهل صدقوا في هذا أم كذبوا ؟ فقيل : كذبوا لأن لقریش ألفا وليس هؤلاء الراضين ألف مثلهم .

ثالثها : دفع الإيهام كما في قول الشاعر :

وتظن سلى أتى أبنى بها بدلاً ، أراها في الضلال تهيم  
فلم يعطف قوله « أراها » على قوله « تظن » لئلا يتوهم أنه معطوف على قوله أبنى فيكون من مظهراتها مع أنه ليس منه ، ومن هذا قوله تعالى ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستترئون ، الله يستدرى بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ (٢) فلم يعطف قوله « الله يستدرى بهم » على جملة الشرط وجوابه لئلا يتوهم عطفه على جملة « قالوا » أو جملة « إنا معكم » وكلاماً لا يصح .

## ٢ — فروق الحال

فروق الحال من علم المصانى :

الحال إذا كانت جملة فإنها تارة تكون مقترنة بواو الحال ، وتارة لا تكون مقترنة بها ، وأتزانها بهذه الواو وعدم اتزانها بها يجرى ان وراء اعتبارات دقيقة

(٢) البقرة : ١٤

(١) النور : ٣٨

لا أقل في أهميتها عن الاعتبار التي ذكرناها في اقتران الجملة بواو الوصل وعدم اقترانها بها ، ولكن القوم غفلوا منا عن هذه الاعتبارات ، وسلكوا في الكلام على فروق الحال مسا- كما نحوياً يراد به بيان مواضع جواز الربط بهذه الواو ومواقع امتناعها ، فظن بعض الناس أن الكلام في فوق الحال لا يصح أن يذكر في هذا العلم ، لأن مثل هذا ليس من مسأله وإنما هو من مسائل النحو .

### مقامات الربط بالواو والضمير :

والأصل في الحال أن تكون بغير واو لأنها في الحقيقة وصف لمصاحبها ، فلا تدخل عليها الواو كما لا تدخل على الرفع ، ولكن هذا الأصل خواف فيها إذا كانت جملة ، فإنها تارة تربط بالضمير وحده ، وتارة تربط بالواو وحدها ، وتارة تربط بهما معاً ، وكل جملة وقعت حالاً ولم تبح بالواو فهذا كما قال عبد القاهر لا يكون إلا إذا قصد إلى الفعل الواقع في صدرها فضم إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، نحو قولك جاء زيد يسرع ، فهو بمنزلة قولك « جاء زيد مسرعاً » .

وكل جملة وقعت حالاً ثم اقتضت الواو إنما لا تكون إلا متى قصد بها استثنائي خبر آخر لا يقصد ضمها إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، وهذا إما يكون عند قصد الاهتمام بهذه الحال أو إزالة شك أو إنكار فيها ، أم نحو هذا ما يقتضي الاهتمام بها وعدم ضمها في إثبات واحد مع ما قبلها ، وهذا كما تقول : جاء زيد وهو يسرع ، فإنه يفيد من الاهتمام بإثبات هذه الحال له ما لا يفيد في قولك جاءني زيد يسرع أو مسرعاً ، فكل من هذا مقامه ما ذكرنا .

### الجملة انصاحدة للربط بالضمير :

وليست كل جملة بحيث تصلح للربط بالواو ، بل بعضها يصلح للربط بها ، وبعضها يقتضي ربطه بالضمير ، فلا يؤثر في مقام الربط بالواو ، والذي يصلح من الجمل للربط بالواو هو أولاً : الجملة الاسمية ، وهي لا تترى مسبوطة إلا بالواو والظهور قصد الاستثنائي فيها ، خصوصاً إذا كان المبتدأ فيها ضمير صاحب الجمال ، نحو قولك جاءني زيد وهو يسرع ، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ فلا تمسكوا لله أئداً وأنتم تعلمون ﴾ (١) وقول امرئ القيس :

أيقناني والمفسر في منساجي . ومنسوجة من رقوق كانياب أغوال  
فإذا جاءت الجملة الاسمية بغير واو فإنما يكون هذا لناو بلها بالمفرد ، نحو قولهم  
وكلمته نوره إلى قوله أي مشافها ، وتقول بشار :

إذا أنكرتني لمدي أو تكبرتها . خرجت مع الباري على سواد  
فإنه على تقديم كائننا على سواد ، فيكون ده واد ، مرتفعاً بالظرف لامبتدأه ، ولا  
يكون إذن من الجملة الاسمية ، وكذلك ما أشبهه نسي قول أبي الهيثم الشافعي في  
مدح سيف بن ذي يزن :

قاسميه هيثماً عليك التاج مرتفعاً في رأس محمدان دار أمك محلا (١)  
وقد يحسن نسي الجملة الاسمية بغير واو لدخول حرف على المبتدأ ، كما في  
قول الفرزدق :

فعلت عسى أن تعصرني كأنما . بنى حوالى الأسود الحوارد  
وكذلك إذا وقعت حطب سعال مفردة كما في قول ابن الرومي :

والله يعقبك لنا - سالماً - برذاك مجيداً وتعظيم

وثانياً : الجملة الفعلية إذا كان فعلها ماضياً ، ولا تدخل عليها الواو إلا إذا كانت  
مبنيّة ظاهرة أو مبدوءة كما في قوله تعالى ( قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى  
الكبر ) أو رأى حافر قال كذلك الله ينزل ما يشاء (٢) وقول امرئ القيس :  
بشيت وقد كنت أغوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المنفـةـهـشـس (٣)  
وقد تسمى هذه الجملة بغير الواو كما في قول أبي صخر الهذلي :

وإني لنبوي إذا كراك هرة . كما انتفض العصفور بالله القطر  
وقول محمد بن سنان المدي :

مضى إلى الدج قد لا غنايكم . واللبل قد ممرقت عنه السراويل  
ثالثاً : الجملة الفعلية إذا كان فعلها مضارعاً منتهياً كما في قول مسكين الدارمي :

(١) محلاً : كشي حلوا . لكرم حاجبها (٢) آل عمران : ٤٠

(٣) هو أنسى يبقى في ثوب واحد لنوم ونعوه .

أَكْسَبَتْهُ الْوَرَقُ الْبَيْضُ أَبَا وَقَدَّ كَانَ وَلَا يَدْعَى لَابِ  
 وَقَوْلُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ :  
 لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ  
 وَقَدْ تَجَمَّعَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ أَيْضًا بِنَهْدِ الْوَاوِ كَمَا فِي قَوْلِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ :  
 كَانَ مُفْتَاتَاتِ الْفَيْهِنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نُولِنَ بِهِ سَبُّ النَّفْسِ لَمْ يُحِطْ بِهِ (١)  
 الْجَلُّ الصَّالِحَةُ لِلرِّبْطِ بِالضَّمِيرِ :

وَالْجَلُّ الَّتِي تَصْلُحُ لِلرِّبْطِ بِالضَّمِيرِ هِيَ الْجَلُّ الْفَعْلِيَّةُ إِذَا كَانَ فَعْلُهَا مُضَارِعًا مِثْلَنَا ،  
 وَهَذِهِ الْجَلُّ لَا يَصِحُّ رِبْطُهَا بِالْوَاوِ ، بَلْ يَجِبُ رِبْطُهَا بِالضَّمِيرِ ، وَشَأْنُهَا فِي هَذَا شَأْنُ  
 الْحَالِ الْمَفْرُودَةِ ، وَلِهَذَا لَا تَقَعُ إِلَّا فِي مَقَامِهَا كَمَا سَبَقَ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى  
 ( وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى ، الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ) (٢) وَقَوْلُ أَبِي دَاوُدَ الْإِسْطَارِيِّ :  
 وَلَقَدْ أَغْتَدَى مِنْدِافُ رُكْنِي أَحْوَذِي ذُو مَيْمَعَةٍ لِضَرْبِجٍ (٣)  
 فَإِذَا جَاءَتْ بِالْوَاوِ كَقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَهْمَانَ السَّكَلَوِيِّ :  
 فَلَمَّا سَخَّشَتْ أَظْفَارَهُمْ سَجَّوَتْ وَأَرْهَمَتْهُمْ مَالِكًا  
 فَيَجِبُ تَأْوِيلُهَا عَلَى حَذْفِ مَبْتَدَأٍ ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : وَأَنَا أَرْهَمُهُمْ ، فَتَكُونُ جُمْلَةُ  
 اسْمِيَّةً لَا فَعْلِيَّةً ، وَقِيلَ إِنَّ الْوَاوَ فِي الْبَيْتِ لِلْعَطْفِ وَلَيْسَتْ لِلْحَالِ ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ  
 عَلَى هَذَا : فَجَّوَتْ وَرَهْمَتْ ، وَإِنَّمَا قِيلَ أَرْهَمُهُمْ ، بِإِظْهَارِ الْمَضَارِعِ لِحَاكِيَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ .

### ٣ — الْمَسَاوَاةُ وَالْإِيْجَازُ وَالْإِظْهَارُ

الْخِلَافُ فِي تَفْضِيلِ الْإِيْجَازِ عَلَى الْإِظْهَارِ :  
 وَهَذَا الْبَابُ أَيْضًا مِنْ أَهَمِّ أَبْوَابِ هَذَا الْعِلْمِ ، حَتَّى نَقُلَ هُنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ قَالَ :  
 (١) الْمَهْنُ : الْعُصُوفُ الْمَهْبُوتُ ، وَفَتَاتُهُ : مَا تَقَطَّعَ مِنْهُ ، وَالْفَنَاءُ : عَنَبُ الثَّمَلِ .  
 (٢) سُورَةُ الْبَلَدِ : ١٧ .  
 (٣) الْأَحْوَذِيُّ : السَّرِيعُ الْحَازِقُ ، وَالْمَيْمَعَةُ : أَوَّلُ الْجُرَى وَأَنْشَطُهُ ، وَالْإِضْرَبِجُ :  
 السَّرِيعُ الْعَدُو .

البلاغة هي الإيجاز والإطناب . وقد اختلف في الإيجاز والإطناب أيهما أفضل من الآخر ؟ فقال أصحاب الإيجاز : الإعجاز قصور البلاغة على الحقيقة ، وما تجاوز مقدار الحاجة ، فهو فضل داخل في باب الهدر والخطل ، وهما من أعظم أدواء الكلام ، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة . وفي تفضيل الإيجاز يقول جعفر بن يحيى لسكتابه : « إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا »

وقال أصحاب الإطناب : المطلق إنما هو البيان ، والبيان لا يكون إلا بالإشباع ، والشفاء لا يكون إلا بالإقناع ، وأفضل للكلام أيته ، وأبينه أشده إحاطة بالمعنى ، ولا يحاط بالمعنى إحاطة تامة إلا بالإطناب .

والقول القصد في ذلك أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام ، ولكل منهما موضع فيه ، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالخاجة إلى الإطناب في موضعه ، وسيأتي بيان موضع كل منهما .

#### تعريف المساواة :

المساواة هي أن يكون اللفظ بقدر أصل المراد لا ناقصا عنه ولا زائدا عليه ، أو هي تأدية المقصود بما لا يزيد عن الكلام المراد ولا ينقص عنه ، وهو كلام أوساط الناس في مجرى عرفهم في تأدية المعاني عند معاملاتهم ومخاطباتهم في سائر شؤونهم ، وهؤلاء الأوساط هم الذين لم يصلوا إلى رتبة البلاغة ولم يدحطوا إلى حالة النهاية ، وهم يعبرون عن مقصودهم بكلام صحيح الإعراب من غير مراعاة ما يقتضيه الحال في بلاغة الكلام .

#### تعريف الإيجاز :

والإيجاز هو التعبير عن المقصود باللفظ أقل منه بحيث لا يقصر عن تأديته ، ولا يخل ببيانه ، وإلا كان إخلالا لا إيجازا كقول عروة بن الزناد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عدد الذنوب كان أهذرا

فإنه أراد إذ يقتلون نفوسهم في السلم ، ولكن لفظه يقصر عن تأديته لأنه لا دليل فيه عليه ، إلا أن يقال إن الدليل فيه قوله « عند الوغى » ، وكقول الحرث بن حاتم :  
بن حاتم :

وَالْعَيْشُ بِحَسَبِ مَا لَا يَحْسِرُ لَكَ الْفُتُوكُ مَا لَا يَفِيضُ حَسَدًا

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظُلُلٍ لِي الْفُتُوكُ مَن عَاشَ كَسَدًا

فإنه أراد : والعيش الناعم في ظلال الحزن خير من عاش كدا في ظلال العقل ، وقد يقال أيضا إن سياق الكلام يدل على هذا الحذف فلا يكون فيه تعقيد أي دنا .  
وَأَقُولُ التَّحْقِيقُ فِي الزُّبُرِ قُلْنَ بِنِ بَدُو :

وَأَبُوكَ بَدُو ثَانِ يَنْتَهِي بِسُ (١) الْحَصَى

وَأَبِي الْجَوَادُ رُبْعَةُ بْنُ قَبَالِ

فقال له الزُّبُرَانِ : لا بأس شيخان اشتركا في صفة ، وكقول الآخر :

لَا يَرْمِضُونَ إِذَا سَجَرَتْ مَشَا فَرُؤُهُمْ وَلَا يَرَى مُسْلِمٌ فِي الطَّمَنِ مَيْمَالًا

وَيَفْشَلُونَ إِذَا نَادَى رَبِّهِمْ أَلَا أَرَكُبْنَ فَقَدْ آتَتْ أَبْطَالًا (٢)

أراد : ولا يفشلون ، فتركه ، فصار المعنى كأنه ذم .

تعريف الانساب :

والإطراب المعبر عن القصور بالنسبة زائد عليه لذاتة تقصد دونه ، فإذا زاد عليه غير فائدة كان تلويزا أو عشيرا ، والتطويل هو لا يمين فيه الزائد في الكلام كقول علي بن زيد :

وَفَدَدَتِ الْأَدِيمُ لِأَرَاهَشِيهِ وَأَلْفِي قَوْلًا كَذِبًا وَمَعِينًا

وقد روى كذبا مبيها فلا يكون فيه تطويل ، وكقول السَّحَابَةِ شَيْءٌ :

الْأَحْبَبُ إِذَا هُنْدَ وَأَرْضُهَا هُنْدُ وَهَنْدُ أَتَى مِنْ مَدِينِهَا الْفَيْئُ وَالْجَدُّ

وقد سبق أن مثل هذا يحمل على عطف التفسير ، ولكن عطف التفسير ليس من أساليب البلاغ ، نعم سيأتي أن مثل هذا يغتفر لضرورة القافية .

والحشو هو الذي يمين فيه الزائد في الكلام ، وقد يكون يمين يشبه الماني فيكون أمره أفتح ، كقول أبي الطيب :

(١) النهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان .

(٢) الرمد : شدة الحر ، والربم : اللغائم في حرارة القوم .



ولا فضئل للشجاعة والنكته وصبر الفتى لولا لقاء شمسوب  
 فإن لغزل والندي حبيب يفسد المعنى، لأن المراد أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة  
 والندي والصبر لولا الموت، وهذا صحيح في الشجاعة والصبر دون الندي، لأن  
 الشجاع والسابر إذا نكحها لم يفسد المعنى، أما الباذل فإن تقدير الموت هو الذي يهون عليه  
 الشجاعة والصبر فيهما فضل، أما الباذل فإن تقدير الموت هو الذي يهون عليه  
 البذل لا تقدير الخلود، فيكون فضل الندي مع تقدير الخلود أظهر، وإنما كان  
 تقدير الموت هو الذي يهون البذل، لأن الباذل يعلم أنه لا يبقى لماله، فيهون عليه  
 بذله قبل أن يتركه ليعتصم به غيره دونه، وعلى هذا قول طرفة :

فإن كنت لا تستطيع كدفع منييتي فذرنى أبادرها بما ملكت يدي  
 ومن الحشر الذي لا يفسد المعنى قول أبي التيمال التميمي :

ذكرت أخى فما ودنى مصدع الرأس والوصب

فذكر الرأس مشوش لأن الصداع لا يستعمل إلا فيه، وكذا قول زهير :

وأعلم عليم اليوم والأمس قبله ولست أكنى عن علم ما في غد عسى  
 فإن قوله قباه حشو أيضا .

وكذلك يجري الافر في ألفاظ اشتاد الفاس وصل الكلام بها، وهذا نحو قولهم  
 د لعمري، ولعمري، وأصبح، وأمسى، وظل، وأضحى، وبات، وبأصاحبي،  
 وبأبلي، وبأجبري، وهذا المجري . وأكثر ما ترد هذه الألفاظ في الأشعار ليم  
 بها الوزن كقول أبي تمام :

أقتر را لعمري لحكم السيوف وكانت أحق بفضل القضاء

فهو حشو لا فائدة فيه إلا إحصاء الوزن، لأن القسم إنما يرد لتأكيد المعنى  
 لشك فيه أو نحوه . وما معنا ليس مما يشك فيه، إذ لا شك في أن السيوف حادة،  
 وأن تل وإسند يقرن لهما، ويذهبن لطاعتها، وكذلك قول الجهمي :

ما أفسن الزيتام إلا أنها يا صاعتي إذ مضت إلى ترجع

ولكن أس هذه الألفاظ يغتفر في الشعر، لا تالو عنها على الشعراء لغيرنا

عليهم ، والوزن يحوج في بعض الأحوال إليها ، وقد ترد في الشعر لفائدة وهو  
الاحسن ، كافي قول البُحتري :

قومُ أهانوا الوَفَرَ حتى أصبحوا أولَى الانامِ بِكُلِّ عِرَضٍ وإِفْرِ  
لأن د أصبحوا ، فيه بمعنى صاروا ، لا بمعنى دخلوا في الصباغ .

#### مقام المساواة :

ومقام المساواة في البلاغة هو مقام الإتيان بالأصل حيث لا مقتضى للعدول  
عنه ؛ ولا يخفى أن مثل هذا قد سبق أنه لا قيمة له في البلاغة ، وقد ذهب السكاكي  
إلى أنها لا تحمد من البلغاء ولا تدم ، لأنها عنده هي الكلام العرفي الذي يجرى بين  
أوساط الناس ، وكلامهم عنده لا يحمد منهم ولا يذم ، فما يصدر عن البليغ مساويا  
له لا يكون بليغا مثله ، لعدم اشتغاله على تكتة يعتد بها ، ولا يقدج في هذا  
وقوعها في القرآن الكريم ، لأنها إذا وقعت فيه فإيها تقع في بعض آية فقط ، ومع  
هذا فإن وجوه البلاغة لا تنحصر في الإيجاز والإطناب ، فلا يلزم من فقد مزيتهما  
في كلام ألا تكون فيه موايا أخرى غيرها .

#### مواضع المساواة :

وأغلب ما تكون المساواة في كلام أوساط الناس ومن إليهم من البلغاء الذين  
يقرب أسلوبهم من أسلوبهم ، وهي نادرة الوقوع في كلام غيرهم من خول البلغاء ،  
لأسباب الشعر ، لبناء أسره على الإيجاز ، ومن المساواة في الشعر قول بشار :

ربابة ربة البيت تصبُ الخلَّ في الزيتِ  
لها عشر دجاجاتٍ وديكٌ حسنٌ الصَّدوتِ

وكذلك ما انتدعه غنيد التكريم في اعتدال الوزن :

إنما الذلُّ لقاءُ ممسى فليلي من يلومُ  
أحسن الناس جميعاً حين تمشي وتقومُ  
أصلُ الحبلى لترضى وهى للحبلى محرومُ

وبما جاء فيها في الأشعر البليغ قول زهير :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم ولا يقدح في عدّه من المساواة حذف جواب الشرط فيه ، لأن اعتبار الحذف في هذا وفي الاستثناء المفرغ ونحوهما لحماية الإعراب ، ولا يفتقر إليه في تأدية أصل المراد ، حتى أنه لو صرح به يكون حشواً في الكلام .

ومن المساواة في النثر البليغ قوله تعالى ﴿إنا أعطيناك السكوث﴾ (١) وقول النبي ﷺ لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنيتها والزكاة مغرمها .

### مواضع الإيجاز والإطناب ومقاماتهما :

وللإيجاز مواضع يطلب فيها على العموم ، ومقامات خاصة تقتضيه في تلك المواضع ، وكذلك الإطناب له مواضع ومقامات ، والكلام ينقسم بينهما إلى قسمين : قسم يطلب فيه الإيجاز كالأشعار والمسكبات ، وقسم يطلب فيه الإطناب كالخطب والمنشورات وكتب الفقوح التي تقرأ في ملأ من عوام الناس ؛ فإن الكلام إذا طال في مثل هذا أثر فهم وأفهمهم ، وعلى هذا جرى القرآن الكريم فيما يخاطب به العرب وغيرهم ، فإذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخروج الإشارة والوحي ، وإذا خاطب بنى إسرائيل وغيرهم أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطاً ، فيما خاطب به أهل مكة ﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ (\*) وقوله تعالى ﴿إذا ذهب كل إليه بما خلق ولما لم بعضهم على بعض﴾ (٢) وفي أشباه طذا كثرة ، وقلبا تهجد قصة لبنى إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروعة ومكررة في مواضع معادة ، لأنهم لم يكونوا في العربية بحيث يلحقون الخاص من أبنائها ، وإن كان بعضهم قد تعرب بغيرها .

ويؤخذ من هذا أن الإيجاز للخواص ، والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة (٣) وقد ذهب ابن الأثير إلى أن فهم العامة ليس شرطاً معتبراً في اختيار الكلام ، والذي يجب توحيه فيه عدده وأن يسلك المذهب القويم في تركيب الألفاظ على المعاني

(\*) الحج : ٧٣

(١) السكوث : ١

(٣) المثل السائر ١٩٢

(٢) المؤمنون : ٩١

بحيث لا يزداد كل منهما عن الآخر مع الإيضاح والإبانة . وليس على مستعمل هذا أن يفهم سلامة كلامه ، فإنه نور الشمس إذا لم يره الأعمى لا يكون هذا نقمأ فيه ، إنما النقمة في بصر الأعمى إذ لم يستطع النظر إليه .

والتي نعتت التواقي من مبادئها وما على إذا لم تفهم البقرة  
وإثباتي أراه في هذا أنه تحت ظاهر ، وأن أوساط الناس لا يصح إسقاطهم عن  
الاعتبار إلى هذا الحد في أمه رشيدة .

والإيجاز بعد هذا مقامات تقتضيه في مواضعه فتزيد أمره توكيداً عند  
وجودها فيها ، وهي مقامات الحذف السابقة في بابها . وللإيجاز مقامات أيضاً  
تقتضيه في مواضعه فتزيد أمره توكيداً ، وهي مقامات الذكر السابقة أيضاً .

#### أنواع الإيجاز :

والإيجاز نوعان : إيجاز القصص وإيجاز الحذف ، وإيجاز القصص يكون بكثرة  
المعاني من نفس اللفظ من غير حذف فيها ، وهذا يأتي من أن اللفظ لا يقتصر  
على دلالة واحدة ، بل يتفرع دلالاته إلى دلالة مضافية ودلالة تضمنية ودلالة التزام  
ودلالة تبيين فتتضمنت ثلثا كيب من المعاني الثانوية التي يبحث عنها في هذا العلم ،  
وهو يدل بالآلة من وما بعده على أكثر مما يدل عليه بالمطابقة .

#### إيجاز القصص :

وهو إيجاز القصص قوله تعالى : { خذ العز وامن بالعرف } وأعرض عن  
الجاهلين (١) فإنه ليس في القرآن ذكرهم أي أجمع لمكانهم المنسوب من هذه الآية .  
وقوله تعالى : { ولستم في القصاص حياة } أي الباب بعلمكم تقبون (٢) فإن قوله  
{ في القصاص حياة } إذا قيس إلى ما نالت عندهم أو جرت بلام في معناه ، وهو  
قولهم القتل أنفي للقتل ، موجع فيه فتل فكثير عليه ، لأن عدة من يوفه أقل ،  
وليس فيه تكرار لفظ ، وقد مرّح فيه المطلوب وهو الحياة مع تنكيره الدال على  
تعميمه فيكون أخرج عن القتل بغير حق ، وكذلك تجمع فيه بين الحياة والقصاص



وقول حاتم :

أماوى ما يُبغى الشراء عن الفنى  
إذا حشرجت يوماً وضائق بها الصدور

يعنى النفس ، ولم يحجر لها ذكر .

وقد يكون حذف مفرد كما سبق في حذف أحد طرفي الجملة أو متعلقاتها ، مثل قوله تعالى ( وأسأل النورية التي كذا فيها والعهد التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون )<sup>(١)</sup> أى أهل القرية ، وقوله البحتري في وصف إيوان كسرى :

فإذا ما رأيت صورة أنطا كية ارتعت بين روم ومفرس  
والميايا كمائل وأنوشمر وأن يوجب الصفوف تحت الدرفس<sup>(٢)</sup>  
في اخضرار من اللباس على أصد فر يخال في صيدفة ورس  
أى فرس أصفر ، وكقوله أيضاً :  
كل حذر من كل ذنب ولكن أعوذ العذر من بياض العذار  
أى كل حذر من كل ذنب مقبول أو مسموع ، أو ما جرى هذا الجرى ،  
وكقول أبي تمام :

لو يعلم الكنفر كم من أمهر كنت له العواقب بين السمر والقضب  
فإن جواب دلو ، محذوف تقديره : لأخذ أهبة الحذار أو نحو هذا .  
وقد يكون حذف جملة كقوله تعالى : ( ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره  
الجرمون )<sup>(٣)</sup> أى فعل ما فعل ليحق الحق ، وقول أبي الطيب :  
أق الزمان بنوه في شبيبته فتعمرهم وأتيناها على الهرم  
أى فسادنا .

وقد يكون بأكثر من جملة ، وهو أبلغ الحذف وأحسنه ، كقوله تعالى ( فقلنا  
اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً )<sup>(٤)</sup> أى فأتياهم فأبلغناهم  
الرسالة فكذبوها ، فدمرناهم تدميراً ، وقول الشافعي :

(٢) الدرفس : العلم الكبير .

(١) يوسف : ٨٢

(٤) الإسراء : ١٦

(٣) الانفال : ٨

لا تدفنوني إن دفني محرّم عليكم ولكن غامري أمّ حامر  
أى والسكن دعوني للضبع التى يقال لها إذا أريد صيدها بعد سد جحرها عليها :  
غامري أم حامر ، أبشرى بجحراد عظامى ، وكر رجال قتلى (١) ، فتذل للصيد ،  
وتخضع لعائلتها .

### قرينة الحذف :

ولا بد فى الحذف من قرينة تدل عليه كما سبق فى باب الذكر والحذف ، وأدلة  
الحذف كثيرة منها دلالة الفعل ، كقوله تعالى : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) (٢)  
أى وجاء أمره ، ومنها دلالة العادة كقوله تعالى (وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم  
تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو علم قتالا لاتبعناكم ) الآية (٣) أى  
لو نعلم مكان قتال ؛ لأنهم كانوا أخبر الناس بالحرب ، وإنما يريدون أنهم يقاتلون  
فى مكان لا يصلح للقتال ، وكانوا قد أشاروا فى هذه الغزوة بعدم الخروج  
من المدينة .

ومنها دلالة الحال كقولك لمن أعرس : د بالرقاء والبغين ، أى أعربت .

### انواع الاطناب :

وللإطناب أنواع منها :

الإيضاح بعد الإيهام : ونكتته قصد تشويق السامع إلى الشيء لتسكينه فى نفسه ،  
كقوله تعالى : ( قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ) (٤) فإن قوله اشرح  
لى ويسر لى ، يفيد طلب شرح وتيسير لى ما ، و د وصدرى وأمرى ، يفيد  
تفسيره ، والمقام يقتضى التأكيد للإرسال المؤذن بتلقى المسكارة والشدائد .  
وكقول ابن المعتز :

(١) غامري: استترى ، وعظامى : يركب بعضها بعضاً ، والكبر : واحدها كبرة وهى  
رأس الذكر . وهم يزعمون أن الضبع إذا وجدت قتيلاً ألقته على قفاه ثم ركبته .  
وهذا المثل د غامري أم حامر ، يضرب للذى يرتاع من كل شيء جبناً .  
(٢) الفجر : ٢٢ . (٣) آل عمران : ١٦٧ . (٤) طه : ٢٥ .

تستقيس في ليل شبيه بشعرها  
شبهت شديداً في ليلها بغير رقيب  
فان ليل في ليل شعر وظلة  
وشم من من شعر ووجه حبيب  
يقول البحرى :

انما دهر بني الراكشام  
أعطاني قتيان به وقود  
في محاني حبر وروض فالتق  
وشيان وشي مربي وشي توب  
وسفرن فامتلأت عيون واقبل  
وردان ورد جنى وورد مسعود

وقد سمى بعضهم تفدير الشعر والجمع على نحو ما في شعر ابن المعتز والبحرئ  
وشعرهما باسم التوشيم ، والأولى إدخاله في الإيضاح بهذا الإجماع قليلا هذه  
الأنواع . وما يدخل في هذا النوع أيضا باب نعم وبئس على قوله من يجعل  
المقصود من شعر مستعمل محذوف أو مبتدأ محذوف ، بخلاف من يجعله  
مبتدأ والجملة قبله خبرا ، وكذلك باب ضمير التماسن والتمسة لكل ما يجري  
هذا الجرى .

ذكر الشخص في القسم :

ومنها ذكر الخاص من الدام : ونكتته التوجيه على نطل الخاص والادتمام بأمره  
لدا ان تظنه زكاة له تعالى في من كان قد هلكته ورسك وبيع في وديكال  
فان ان شاء الله تعالى (٢٨) وقوله في ربي اغفر لي ولوالدي واني صابر ايتى هو من  
والله في ديني والوفاءات ولا نور انظماين الا تبارك (٢٩) .

وقول بعض شعراء الجماعة :

- وان الذي يفي وبين بيني أبي  
وبين في عني لختاف جد  
لدا اكلوا لحم وفرت بلوهم  
وان هم مودا غيرة مودا رشاد  
وان عني اني منقذت ذنوبهم

(٢) نوح : ٢٨

(١) لقمة : ٩٨

(٣) هذا هو ان تبارك لان كل لحم يؤكل الا لئسان فهو لا يذوق له به وليس  
كل ان يذوق له به اكل لا يذوق .



## التكرير :

ومنها التكرير ، ونسكتة التأنيد ، كقوله تعالى ﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ ثم كلا سوف تعلمون ﴿ ١٩ ﴾ وقوله ﴿ و قال الذي آمن يا قوم اليهذون أهذكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الآيات الدنيا متاع وإن الآخرة هي ، أرقاوار ﴾ ﴿ ٢٠ ﴾ ومعفه أيضا تكرر قوله تعالى ﴿ فبأى آلام ربكنا تكذبان ﴾ ﴿ ٢١ ﴾ في سورة الرحمن ، وكذلك ما ورد من نحوه في سور أخرى من القرآن . وقد ورد مثل هذا كثيرا في الشعر كنزك الملهل :

على أن ليس عدلا من كليب إذا ما ضم سوار المستجير  
على أن ليس عدلا من كليب إذا ضاقت رحيات المدور  
بما أن ليس عدلا من كليب إذا برزت مهبسات السدور

وبما يلحق بالتكرير أنه إذا طال الفصل من الكلام وكان أوله يعتبر إلى تمام لا يفهم إلا به ، فالأولى في باب البلاغة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية ليكون مقارنا تمام الفصل ، لا سيما إن وأخواتها إذا طال الفصل بين اسمها ونبرها ، كما في قول  
بعض شعراء الحماسة :

أصممتا وقبأ اشتياقا وغربة  
وأنأى سبيب إن ذا اعظم  
وإن أمردا دامت موائق عهده  
على مثل هذا إنه لتكرير

## التكرير المهييب :

فإذا لم يمكن التكرير مفيدا لنسكتة كان قبيحا ، مثل قول أبي نواس :  
أقنا بها يوما ويوما وثالثا ويوما له يوم التوب في خناس  
ومراد بهذا أنهم أقاموا بها أربعة أيام ، وهو من اللى الفاحش .  
وكذلك قوله أبي تمام :

قسم الزمان ريوها بين الصبا وقبورها ودبورها أثلا

(١) النجاشي : ٣ و ٤ (٢) خافر : ٣٨ (٣) الرحمن : ٢٣

فإن الصبأ هي القبول ، ولا معنى لمعطفها عليها ، وهذا من التكرير في المعنى دون اللفظ ، وهو يعاب في النثر مطلقا ، وأما في الشعر فقد قيل باعتباره في أعجاز الأبيات دون صدورهما ، لأن الأعجاز مكان القافية والشاعر مضطر إليها ، فيجعل له ما حرم على غيره ، وكقول امرئ القيس :

وهمل ينعمن إلا سبيدُ هلاله قائلُ الحوم لا يبيد بأوجال  
وقولُ الخطيئة :

قالت أمانة لا تجرُجْ فقلت لها إن العزاء وإن الصبر قد دخلبا  
هلا التستِ أنا إن كنتِ صادقاً مالا نعيش به في الناس أو نشبا  
فأبيد الأول معيب لأنه كرر العزاء والصبر لزم معناهما واحد ولم يردا قافية ،  
وأما البيت الثاني فليس بمعيب لأن التكرير في التشب وهو قافية .

#### الإيغال :

ومنها الإيغال وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ، كزيادة الحث على اتباع الرسل في قوله تعالى ( اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ) (١)  
وكزيادة المبالغة في قول الحسناء :

وإن صخرأ لنا ثم الهداة به كأنه علم في رأسه نار  
وكتحقيق التشبيه في قول امرئ القيس :

حملتُ مرد يدياً كأن سنانهُ سنا طِب لم يتصل بدُخان  
فإن قوله لم يتصل بدُخان هو الذي يحقق التشبيه الذي قبله .

#### التذييل :

ومنها التذييل وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها لتوكيدها ، والمراد بأشتمالها على معناها إفادتها بنحوها بما هو مقصود منها ، وبهذا يمتاز التذييل عن التكرير ، لأن دلالة الثانية على معنى الأولى في التكرير بالمطابقة لا بالفحوى . والتذييل ضربان : ضرب يجري مجرى المثل لاستقلاله عما قبله

وعدم توقفه عليه ، كقوله تعالى : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل لئن الباطل كان زهوقاً ﴾ (١) ، وقول النابغة الذبياني :

ولست بمستبقي أخاً لا تلتهُ على شمشي أي الرجال المهذب  
وضرب لا يجرى مجرى المثل لتوقفه على ما قبله ، كقول ربيعة بن مقروم :  
فدعوا أنزل فيكنت أول نازل وهلام أركبه إذا لم أنزل  
وقد اجتمع الضربان في قوله تعالى ﴿ وما جعلنا البعير من قبلك الخلد أفان  
مت فهم الخالدون ، كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا  
ترجعون ﴾ (٢) فقله ﴿ أفان مت فهم الخالدون ﴾ من الضرب الثاني ، وقوله  
﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ من الضرب الأول .

ولذا وقع التذييل في آخر الكلام صح أن يقال له إيغال أيضاً ، ولذا لم يقع  
في آخر الكلام قيل له تذييل لا إيغال ، فهو أهم من الإيغال من هذه الناحية ، كما  
أن الإيغال أهم منه من جهة أنه قد يكون بخير الجملة ولغير نكتة التوكيد ، كما سبق  
في الكلام عليه .

### التكميل

ومنها التكميل ويسمى الاحتراس أيضاً ، وهو أن يؤتى في كلام يوم خلاف  
المقصود بما يدفعه ، كقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف  
يأتي الله بقوم يجهلون ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ (٣) دفع بقوله  
﴿ أعزة على الكافرين ﴾ ما قد يتوهم من أن ذلتهم من ضعف لا من تواضع  
ولما قال : ﴿ أذلة على المؤمنين ﴾ فعداها بعلل دون اللام لأن المعنى أنهم مع شرفهم  
وعلو طبقتهم على المؤمنين خافضون لهم أجهضتهم ، ومنه قول طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تمحي

وكقول كعب بن سعد الغنوي :

حليم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو سمير

(١) الإصرار : ٨١ (٢) الانبياء : ٣٥ (٣) المسائدة : ٥٤

## النتيم

ومنها التميم : وهو أن يوثق في كلام لا يرم خلاف المقود بفصلة من مفعول ونحوه لئلا يكتف كالمبالغة ونحوها ، فهو أعم من الإيغال من جهة أنه لا يتقيد بأخر الكلام ، والإيغال أعم منه من جهة أنه لا يتقيد بأن يكون فضلة ، ومن التميم قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه ممكينا ويتريا وأسيرا) (١) إذا جعل للضمير في قوله «على حبه» الطعام فيكون تميها يقصد منه المبالغة في مدحهم ، فإذا جعل الضمير لله تعالى لم يكن تميها ، لأن معناه على هذا يدخل في أصل المراد من الكلام ، إذ الإنفاق لا يمدح شرعا إلا إذا كان لله لا لرياء وسمعة ، ومنه أيضا قول زهير :  
من يباقي يوما على علاقته سحرما يلقى السباحة منه والنسدى خلفا

## الاعتراض

ومنها الاعتراض وهو أن يوثق في أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين معتمى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغرض من الأغراض ، واتصال الكلامين بأن يكون ثانيهما بيانا للأول أو تأكيدا أو بدلا أو منطوقا عليه ، والاعتراض على هذا التعريف يباين الإيغال والتميم ، ويشمل بعض صور التكميل والتفصيل ؛ وله أغراض كثيرة كالتنزيه والتعظيم في قوله تعالى (ويجهلون قلة البناث سبعانه ولهم ما يشتهون) (٢) وكالدعاء في قول أبي الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقار هريم يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا  
والواو في قوله وحاشاك تسمى واو الاعتراض ، وهي غير واو العطف وواو الحال . وكالتنبيه في قول الشاعر :

واعلم فاعلم المرء ينفعه أن سوف يأتي كل ما قدورا

وهذه الفاء تسمى فاء الاعتراض أيضا .

وكتنخيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر خلق بهما ، كقوله تعالى :

(٢) النحل : ٥٧

(١) الإنسان : ٨

(٢) ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي  
ولو اليك إلى المصير (١) وكالمطابقة مع الاستعطاف في قول أبي الطيب :

وُخفوقُ قلبٍ لو رأيتَ لهيبه يا جنتي رأيت فيه جهنماً

وقد يأتي اعتراض في اعتراض كقوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه  
لقسم لو تعلمون عظيم ، إنه لقرآن كريم) (٢) فقولهُ «لو تعلمون» اعتراض  
في اعتراض ؛ لأنه اعترض به بين الصفة والموصوف ، واعترض بالجهنميين بين  
القسم والمقسم عليه .

#### الاعتراض المصيب :

فإذا لم يكن الاعتراض لغرض وفائدة فهو على ضربين : أولهما ضرب يكون  
دخوله في الكلام كخروجه منه لا يكتسب به حسناً ولا قبحاً ، ومنه قول النابغة  
الذبياني :

يقولُ رجالٌ يجهلون تخليفتي لعلَّ زياداً لا أباً لك حافلٌ

فقوله «لا أباً لك» اعتراض لا فائدة فيه ، ولا يفيد في البيت حسناً ولا قبحاً ،  
وقد وردت هذه اللفظة في موضع آخر فكان الاعتراض بها فائدة حسنة ،  
كقول أبي تمام :

✽ عتابك حسنى - لا أباً لك - واقصدي ✽

فإنه لما كره عتابها اعترض بين الأمر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق  
الدم . وثانيهما ضرب يؤثر نقصاً في الكلام ، وهو الذي يحدث تعقيداً فيه  
كقول بعضهم :

فقدنَّ والشكُّ بينَ لي عنائُ بوشكِّ فراقهم مُصرِّدٌ يصيحُ

يريد : فقد بين لي صرد يصيح بوشك فراقهم ، والشك عناء ، ففصل بين وقدنَّ  
والفعل الدخلة عليه بقوله «والشك» ، وهو اعتراض ردى لقوة اتصال قد بما تدخل  
عليه من الأفعال ، وإنما يفصل بينهما بالقسم ، كما تقول «قد والله كان كذا» ثم

فصل بين المبتدأ وخبره بقوله « بين لي » ، كما فصل بين الفعل وفاعله بخبر المبتدأ وهو قوله « عناء » ، وبهذا كله جاء معنى البيت كأنه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها إلى مكان بعض ، وقد معة بعض ما في هذا البيت من الاعتراض على مذهب من لا يشترط في الاعتراض أن يكون جملة أو أكثر من جملة .

### الإيجاز والإطناب النسبيين :

وقد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب باعتبار كثرة حروفه أو قلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساو له في أصل المعنى الذي يشتركان في الدلالة عليه ، فيقال للأكثر حرفاً لأنه مطب وإن كان في نفسه من المساواة أو الإيجاز بمعناها السابق في أول الباب ، ويقال للأقل حرفاً : لأنه موجز وإن كان في نفسه من المساواة أو الإطناب بمعناها السابق أيضاً . ومن هذا قول أبي تمام :

يصدُّ عن الدنيا إذا عنيَّ مسودُّ ولو برزت في ربيَّ هذراء ناهدٍ

مع قول أبي سعيد الخدري :

ولست بمنظاري إلى جانب اليفتى إذا كانت العالما في جانب الفقر  
فإن أبا تمام قد جمع في القطر الأول من بيته ما جمعه الخدري في بيته كله .  
ومنه أيضاً قول الشماخ :

إذا ما رايةٌ رفعتُ لجدي تلتها عرابةٌ باليمن

مع قول بشر بن أبي خازم :

إذا ما المكرماتُ رفعتُ يوماً وقصصُ مبتغوها عن مداها

وضاقتُ أدْرُعُ المثرينَ عنها سما أوُسُ إليها فاحتواها

ويقرب منه قوله تعالى ( لا يسأل عما يفعل وهم يسألون )<sup>(١)</sup> مع قوله السموءل :

ونذكر إن شئنا هل الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

ولأنما كان هذا قريباً منه ولم يكن منه ؛ لأن الآية والبيت لم يتساويا تماماً في

(١) الأنبياء : ٢٣

أصل المعنى ، لأن ما في الآية يشمل كل فعل ، فيدخل فيه القول لأنه فعل أيضا ، أما البيت فنخاص بالقول وحده .

### الاطناب في الحروف :

وقد يكون الإطناب بزيادة حرف على أصل المعنى لغرض من الأغراض ؛ ومن هذا زيادة أن بعد لما ، كما في قوله تعالى ﴿ فلما أن جاء البشير الفاء على وجهه فارتد بصيرا ، قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ (١) فزيادة أن فيه للدلالة على أن الفعل بعدها لم يكن على الفور بل كان فيه تراخ وبطء ، وكذلك قوله ﴿ فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالآمن إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ (٢) زيد فيه د أن ، بعد د لما ، للدلالة على أنه لم يسارع إلى قتل الثاني كما سارع إلى قتل الأول .

ومنه أيضا زيادة د ما ، بعد د إذا ، كما في قوله تعالى ﴿ والذين يهتذبون كبار الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ (٣) . وقول بشار :  
إذا ما غضبنا غضبة مضرية

هتكتنا حجاب الشمس أو قطرت دما

فزيادة ما فيهما للدلالة على قلة حدوث الفعل الذي بعدها ، فهي تشير في الآية إلى أن المؤمنين لا يغضبون إلا قليلا ، وتشير في البيت إلى أن قومه لا يغضبون إلا حين يوجب الحزم أن يغضبوا .

وهكذا الشأن في كل الأحرف التي يسميها النحويون أحرف زيادة ، ويغفلون عن دلالتها في الكلام على هذه الدقائق والرموز ، لأنها ليست من شأنهم ، وإنما هي من شأن الباحثين في علم المعاني ، لأنه هو الذي يعنى بأماثلها ، وهذا آخر ما أردنا ذكره في هذا العلم .

تم بحمد الله -

(١) يوسف : ٦ (٢) القصص : ١٩ (٣) الشورى : ٤٧

## ترجمة المؤلف بقلم ابنه

- مولد رحمه الله عام ١٣١٣ هـ ، ١٨٩٤ م بقرية دكفر الدجباء ، مركز أجا محافظة الدقهلية . توفي والده وهو في صامه الأول ، ولما لم يكن له أشقاء أو أعمام أشرفت والدته على تربيته ، فأرسله إلى الكتّاب ، المدرسة الإلزامية بالقرية حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ثم رحل إلى مدينة طنطا الالتحاق بالمرحلة الابتدائية في المدارس الأزهرية . وقد ظهر نبوغه مبكراً فقطع المرحلة الابتدائية في سنتين بدلاً من أربع سنوات ، فكان ينجح في العام الدراسي في الدور الأول ويدخل امتحان العام الدراسي التالي في الدور الثاني ، وكان في كل ذلك الأول على أقرانه دائماً .
- تخرج بالجامع الاحمدى عام ١٣٣٦ هـ وحصل على العالمية وكان أول دفعته .
- ظهرت عليه ملكة التأليف مبكراً ، فكان يقوم بوضع شروح لبعض كتب التراث المفقورة ، أو يبسطها في لغة هصرية .
- بدأ بالتدريس بالجامع الاحمدى بطنطا في ١٣٦٨ هـ ثم انتقل أستاذاً بكلية اللغة العربية إحدى كليات الجامع الأزهر .
- شارك بكتابة مئات المقالات في كبرى الجرائد والمجلات الثقافية والعلمية مثل مجلة الرسالة والأزهر والسياسة الأسبوعية وغيرها ، وكانت له معارك أدبية وعلمية مع معاصريه من الأدباء والمفكرين والمفاهيم ورحمهم الله .
- ألف رحمه الله أكثر من ستين مؤلفاً حازت قبولاً وانتشاراً في العالم العربي والإسلامي أغلبها إسلامي أو أدبي ومن أشهرها :

— لماذا أنا مسلم ؟	— النظم الفنى في القرآن
— توجيهات نبوية	— في مهدها الاجتهاد
— القرآن والحكم الاستعماري	— بغية الإيضاح ( ٤ أجزاء )



- القضايا الكبرى في الإسلام
- المجددون في الإسلام
- قضية مجاهد في الإصلاح
- تاريخ الإصلاح في الأزهر
- السكيت بن زيد
- النحر الجديد
- الميراث في الشريعة الإسلامية
- تهديد علم المنطق
- وغيرها وغيرها ...

- لما اشتد عليه المرض أهدى مكتبته الضخمة لجامعة الأزهر ، وكذلك بعض المؤلفات التي لم يسعفه الوقت لنشرها .
- توفي رحمه الله في الثالث عشر من مايو ١٩٦٦ م عن عمر يناهز السبعين عاماً .
- اعترافاً من الدولة بجموده في خدمة العلم والإسلام أطلقت اسمه على أحد شوارع مدينة نصر بالقاهرة . ومنح وسام الدولة للعلوم والفنون .

لواء / وهب عبد المتعال الصعيدي

جمادى الثاني ١٤١١ هـ ديسمبر ١٩٩٠ م



# فہارس الکتاب



## فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة	الصفحة
٦٤٥	الناحية	٧٠	٣٥	آل عمران	٢٨
٥	د	٨١	٣٦	د	٤٧
١	د	٨٤	٣٦	د	٦١
٩٦	البقرة	٤٠	٦٢	د	٥٣
٢٤١	د	٤٥	١٤٤	د	٥٣
١٤	د	٤٦	٤٠	د	١١٥
١١	د	٥٤	٨٦	النساء	٥٨
١٢	د	٥٤	٧٩	د	٧٥
١٤	د	٥٨	٦١	المائدة	٨٩
٧	د	٧٧	٩٤	د	٩٧
٩٦	د	٧٨	٣٧	د	٥٩
١٧٩	د	٧٨	٧	د	٧١
٢٢٣	د	٧٩	١١٦	د	١٠١
٢٣	د	١٠٠	٩٠	د	٥٠
١٤٥	د	١٠١	٥٤	د	١٢٩
٢٤	د	١١٥	١٥١	الأنعام	٨٤
١٨٩	د	١٠٩	٢٨	د	٩٢
١١٢	د	١١٢	٣٦	د	٥٦
١٧٩	د	١٢٢	٣٨	د	٩٢
٩٨	د	١٢٦	٢١	د	٤٦
١٣٧	د	١٢	١٣١	الأعراف	٩٩
٥	د	٦٢	١٤٣	د	١٢٣
١٤	د	١١٣	٩٩	د	١٢٢
٢٢	د	١١٤	٢٧	الأنفال	٦١
٧٥	آل عمران	٨٩	٧	د	٦٣
٩٧	د	٩٥	٤٢	د	١٠٨
١٦٧	د	١٢٥	٨	د	١٢٤

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة	الصفحة
٣٠	التوبة	٦٥	٢٠	النحل	٨٩
٧٢	د	٧٩	٩٨	د	٩٢
١٠٦	د	٩٨	٥١	د	٩٢
٦٠	د	٩٨	٥٧	د	١٣٠
١٠١	د	٨٨	٣١	الإسراء	٨٤
٢٥	يونس	٦٩	٣٥	د	١٢٩
٦١	د	٨٢	٩٣	د	٥١
٩٩	د	٩١	١٠٥	د	٦٢
٥٩	د	٩١	٨١	د	١٢٩
٦٩	هود	٥٨	١٦	د	١٢٤
٦٩	د	١١٢	٢	الكهف	٦٥
١٠٨	د	٨٢	٩٦	د	١٠١
٩٢	د	٨٨	٧٩	د	١٠٢
٩١	د	٨٨	٤٥	مريم	٧٩
٨١	يوسف	١٠٨	٤	د	١٢٣
٥٣	د	١١٢	٤٦	د	٨٥
٩٦	د	١٣٣	٥	طه	١٣
٨٥	د	١٢٣	٦٣	د	٢١
٨٢	د	١٢٤	١٨	د	٦٠
٩٦	د	٤٣	١٧	د	٦٢
٣٥	د	٤٣	٦٧	د	٨٦
٩٠	د	٤٦	٥٦	د	٩٢
٣٥	الرعد	٧٤	٢٥	د	١٢٥
١١٠، ١١٠	ابراهيم	٥٣	٥٥	الأنبياء	٥٨
٦	الحجر	٧٣	٣	د	٦٣
٣٠	د	٩٢	٣٦	د	٧٣
٨١	النحل	١٠٣	٢٢	د	١٠٢

(تابع) فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة	الصفحة
٢٣	الأنبياء	١٣٢	٤	الأحزاب	٢٨
٤٦	الحج	٧١	٢٤	سبأ	٩٧
٧٣	د	١٢١	٣١	د	١٠٢
١٦	المؤمنون	٤٥	٣	د	٨٣
٢٧	د	٤٣	٢٣	فاطر	٥٣
٣٣	د	٨٠	٤	د	٧٩
١٤، ١٣، ١٢	د	٩٧	٢٣	د	٨١
٢٤	د	٨١	١٤، ١٣	يس	٤٥
٣٣	د	٨٥	٧٨	د	٦٣
١٤	د	٩٢	٣٠	د	٨٤
٩١	د	١٢١	٢١	د	١٢٨
٤٥	النور	٨٢	٣٢	ص	١٢٣
٥٥	د	١٢	٩	الزمر	٥٥
٣٣	د	١٠١	٩	د	٦٧
٣٨	د	١١٣	٣١	طافر	٢٢
٦٩	الفرقان	٩٥	٢٨	د	٨٥
٦٥	د	١٦	٣٨	د	١٢٧
٨٥	الشعراء	٩٦	٦	فصلت	٥٢
٦٣	د	٤٧	٢٣	د	٧٤
٢٥	القصاص	٦٩	٣٧	الشورى	١٣٣
٤٤	د	١١١	٤٥	د	٢٣
١٩	د	١٣٣	٥	الزخرف	١٠٠
٢٥	د	٨٤	٨١	د	١٠٠
٨	د	٩٦	٩	د	٦٢
٣٦	الروم		١٠	الفتح	١٣
١٤	لقمان	١١	١٨	د	٧٥
١٢	السجدة	٧١	٧	الحجرات	١٠٢

## (تابع) فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة	الصفحة
٤٣	النجم	٦٧	٥١	المدثر	١٦
٥٤	د	٧١	٣٥، ٣٤	القيامة	١٠٧
٧	الرحمن	٤	٨	الإنسان	١٣٠
٧٢	د	٤٨	١٩	عبس	٩٧
٢٣	د	١٢٧	٢٢	الفجر	١٢٥
٧٥	الواقعة	١٣١	١٧	الليل	١١٦
٢٢	نوح	١٦	١	والضحى	٦٧
٢٨	نوح	١٢٦	٣، ٢، ١	العلق	٨٤
•	التنجيم	١٢	٤، ٣	التكاثر	١٢٧
•	د	١٠٥	٢	الماعون	٧٣
١	المالك	٤٩	١	الكوثر	١٢١
٢٢	د	١٦	٢، ١	المسد	٧١
١٦	المزمل	٧٥			



## الأحاديث الشريفة والآثار

---

- ص ٤ قول على رضي الله عنه « السفر ميزان القوم » .
- ص ٧ حديث « إن من البيان لسحراً » .
- ص ١٥ حديث « اللهم بارك لهم في معضها ... » .
- ص ٢٣ حديث : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم » .
- ص ٢٦ حديث عائشة رضي الله عنها : « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد فما رأيت منه ولا رأى مني » .

## الأمثال

---

ص ٤ : ولعلك من دمتى هتعبيك .

من يسمع يحل .

إذا نزل الخول امتكشفت النقص .

الحاكم ميزان الله في الأرض .

قول أنوشروان : لا يكن عندك عمل البر غاية في السكثرة ، ولا لعمل

الإثم غاية في القلة .

لا يشجذ امرؤ منكم - ينفه حتى يشجذ عقله .

ص ٤٦ : إن البلاد موكلة بالمنطق - إن خدأ لناظره قريب - إنما هو الفجر

أو البحر - إن المناكح خيرها الأبقار .

ص ٦٧ : من طابعت سريرة حمد الناس سيرته .

## فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	المصدر
( الحمزة )			
٢١	امرؤ القيس	الصحرَاء	ما إن رأيت
٥٤ ، ٣٩	ابن قيس الرقيات	للظلماء	إنما مصعب
٤٠	القاسم بن حنبل المري	أضاءوا	من البيض
٤٠	د	شاءوا	هم حلوا
٤٧	—	الحداء	فغنها
٧١	—	الظلماء	أبت الوصال
١١٩	أبو تمام	القضاء	أقروا
( الباء )			
٦	مقن بن زائدة	بالحجاب	إذا كان الجواد
١٩	المتنبي	النسب	مبارك الاسم
٢٦	أبو العتاهية	وهب	مات
٢٦	د	قلبي	يا أبا
٢٨	ابن هرمة	بالباب	هالله ربك
٣٣	الناطقة الذبياني	الكواكب	كليني لهم
٣٣	د	بآيب	تطاول
٣٣	بشار	الحباب	أعيدوا
٣٣	د	غياهب	فإن نهاري
٣٨	الأخطل	جذب	وقد جعل
٣٨	كثير	ضبابي	وما زلت
٣٨	د	التراب	ويرقيني
٣٩	ابن قيس الرقيات	الذهب	يعتدل
٤٣	—	ويوهب	ولقد نصحتك
٥٥ ، ٥٠	—	والآدب	ليس اليتيم
٥١	الناطقة الذبياني	الكتائب	ولا هيب
٥٦ ، ٥٢	—	تذهب	إلى الله
١٢٣ ، ٥٤	شوقي	ذهبوا	ولما الاثم

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	المصدر
٥٥	—	الأسباب	ما أنت بالسبب
٥٥	—	الأوصاف	فاليوم حاجتنا
٦٠	—	الأجرب	ذهب
٦٥	ضاعى البرجمي	لغريب	ومن يك
٦٥	—	الكتاب	لسن
٦٦	النافذة الديباني	وأقرب	ملوك
٧٠	—	أبي	إن ألقى
٧٦	المتنبي	محبوب	أنت الحبيب
٧٨	—	الأقارب	إذا كوكب
٧٨	القتال الكلبي	ساحب	إذا جاع
٧٩	مروان بن أبي خفصة	حاجب	له حاجب
٨٦	—	صليب	وكانت يدي
٩٠	البارودي	ويلعب	سواي
٩١	الصابي	تسكب	تشابه
٩٠	المتنبي	غربه	مثلك يلني
٩٠	المتنبي	مشبه	ولم أقل
٩٣	عبد الله بن مسلم الهذلي	رجيا	لكنه شافه
٩٤	"	شربا	كم حرة
٩٤	—	جالب	فأياك
١٠٥	أبو نواس	لا تمكذب	وقد حلفت
١٠٥	"	والمحصب	برب
١٠٥	الكبي	والشعب	أم هل ظمائن
١١٦	مسكين الدارمي	لاب	أحسبته
١١٩	المتنبي	شعوب	ولا فضل
١١٩	الهذلي	والوصب	ذكرت
١٢٤	أبو تمام	والقضب	لو يعلم
١٢٦	ابن المعتز	رقيب	سقتني
١٢٦	"	حبيل	فما زلت

(تابع) الأبيات الشعرية

الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
قالت أمامة	قد غلبا	الخطيب	١٢٨
هلا	نشبا	د	١٢٨
ولست بمستيق	المهذب	الديباني	١٢٩
حليم	مهيّب	كعب بن سعد الغنوي	١٢٩
وما مثله	يقارب به	الفرزدق	٨٠ ، ٢٤
(النساء)			
رماية	الزيت	بشار	١٢٠ ، ٢٦
لها عشر	الصوت	د	١٢٠ ، ٢٦
فلو أن قومي	اجرت	عمرو بن مقد يكرب	٦٧
وحرب	الذرات	امرأة من بني عار	٧٨
سيتركها	مصطبرات	د	٧٨
(النساء)			
بادر	لا تلبث	—	١٠٨
قسم الزمان	أثلاثا	أبو تمام	١٢٧
(الجميع)			
وظحما	مسرجا	العجاج	١٦
ولقد اغتدى	لمضرب	أبو داود الأيادي	١١٦
(الحساء)			
أخذنا بأطراف	الأباطح	كثير عزة	٩
ولما قنعينا	ماسح	كثير عزة	٨
وشدت	رائح	د	٩
كانه في اجتماع	روح	أبو تمام	٢٢
وظلمت	ملاح	ابن المعتز	٢٢
جاء شقيق	رماح	سجل بن فضلة	٤٥
هل أحدث	سلاج	د	٤٥

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	المصدر
٩٥، ٤٥	—	الضاحي	المع
١٠٨	خافظ إبراهيم	لمراح	قم يا ابن مضر
١٣١	—	يصيح	فقد والملك
(الذال)			
٤	الأنفوه الأودي	والخير توداد منه زاد	
٦	الحارث بن حلثة	جدة	عيشي بجدة
٦	د د	كدا	والعيش
١٦	—	بالبرد	فأطورت
١٩	الناطقة الذبياني	بقرمه	أودمية
٢٣	—	مجتهد	وصاحب
٢٣	—	الأبد	ما لن
٢٣	أبو تمام	وحدى	كريم
٢٥	العباس بن الأحنف	لتجهدا	سأطلب
١٩	زهير	بحقك	تقي
٢١	الناطقة الذبياني	باليد	سقط الضيف
٢١	د د	يعقد	بمخضب
٢٠	طرفة بن العبد	مخلد	ألا أيذا
٢٥	—	ليبد	ظنوا
٢٥	—	وقود	أجير
٢٠	العباس بن الأحنف	لتجهدا	سأطلب
٢٦	أبو عطاء	لجود	ألا إن هينا
٢٤	رجل من كلب	ولود	وهبد العرين
٤٨	دريد بن الصمة	أرشد	وما أنا
٤٩	—	مستردة	لأنا الدنيا

(تابع) الأبيات الشعرية

الأمثلة	المعنى	الشاعر	الصفحة
شده	شده	—	٤٩
وما لامرئ	فبخله	—	٥٢
إنما أنت	الأولاد	المتنبى	٥٤
أنا مصدر	النوادي	البارودي	٦٣
أنا فارس	ونادي	البارودي	٦٣
إذا أنت	تمردا	المتنبى	٧١
إن الذي الوحشة	لهذه	أبو العلاء	٧٢
والذي حارت	جساد	أبو العلاء	٧٢
مطاعين	وبنى الجد	الحطيمية	٧٥
وغيري	الأيادي	أبو تمام	٩٠
لا لا أبوح	وعهودا	جميل	٩٤
والمؤمن	والسند	الذبياني	٩٤
ما إن	يدى	الذبياني	٩٤
لمياء	برد	ذو الرمة	١٠٥، ٩٥
ألا حيدا	والجمد	الحطيمية	١١٨، ١٠٧
يا فتية النيل	مديدا	شوقي	١٠٨
بنونا	الأيام	—	١٠٨
اعطيت	لم يحمى	—	١٠٩
إذا أنكرتني	سواد	بشاور	١١٥
فقلت	الجواد	الفرزدق	١١٥
فإن كنت	يدى	طرفه	١١٩
لما مشين	وقدود	البيهقي	١٢٦
في حلقى	برود	البيهقي	١٢٦
وسفرن	خدود	البيهقي	١٢٦
وان الذى بينى	جدا	—	١٢٦، ١١٨
والعيش	كسدا	—	١١٨
يصند	ناهد	أبو تمام	١٢٢
حتابك	واقصه	أبو تمام	١٣١

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعنى	المصدر
	(الراء)		
٩	أبو تمام	وزير	ولاني لأرجو
٩	"	وأمو	تكون عن
٩	ابراهيم بن عباس	نصير	فلو إذ نيا
١٥	بشر	عقرا	وأطلت
١٥	"	مشمخرا	ففر مضرجا
١٩	أبو نواس	الشطار	وملحة بالزل
٣٢	أنشده الجاحظ	قر	وقبر حرب
٢٤	الفرزدق	تصايره	إلى ملك
٣٢	ابن المعتز	عنبر	فانظر إليه
٨٥١٣٩	أبو بكر بن الطماح	الدهر	لههم
٨٥١٣٩	"	البحر	له راحة
٤٧٠٤٤	بشار	النسيك	بسكر
٥٠	الخنساء	وإدبار	تومع
٨٧٠٥٢	المتنبي	نارا	وما أنا أمقت
٥٥	أبو فراس	البدور	سيد كرى
٦٣	المرجى أو جندب ليل	البقر	بالله يا ظبيات
٦٦	ابن علقمة الفراءى	صهر	داني
٦٨	"	البصر	خلام
٦٨	الجهوهري	تفتكوا	فلم يبق
٧١	"	وزرا	نعم امرا
٧٥	الأعشى	عشارا	هو الواهب
٧٧	جميل	شمرا	أبوك
١٠٩٠٧٦	"	المواطر	أسود
٨٢	البحترى	الجارى	يتفرقن
٨٢	البحترى	الأوتار	كالنسي



(إتباع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعجز	المصدر
٨٣	محمد بن وهيب	والصمر	ثلاثة تشرق
٨٩	طرفة بن العبد	ينشقر	نحن في المشتاة
٩٣	الخرنق	الجور	لا يبعدن
٩٥	الجلدي	مظهرا	يلفنا
١٠٨	—	يجري	أخط مع الدهر
١٠٨	المصاحب بن عباد	الامر	رق الزجاج
١٠٩	—	يضره	المرء يأمل
١٠٩	—	مره	تنفي
١١٥	أبو صخر الهذلي	القطر	واني لتعروني
١١٧	عروة بن الورد	اعذرا	عجبت
١٢٠	البحثري	وافر	قوم
١٢٢	—	البقر	على نصح
١٢٤	حاتم الطائي	الضمد	أماوى
١٢٤	البحثري	العدا	كل عذر
١٢٥	الشنفرى	حار	لا تدفوني
١٢٧	المهازل	المستجير	على أن ليس
١٢٧	د	المصدر	على أن ليس
١٢٨	الخنساء	نار	ولن صخرا
١٣٠	—	قدرا	واعلم قدرا
١٣٢	أبو سعيد الخزوي	الفقر	ولست بنظار

(س)

٢٢	المتنبى	شرس	دان
٤٣	أبو نواس	الياس	عليك بالياس
٥٠	—	الفاس	ان الجديدين
٥٦	الحريرى	أمنه	لعمرك

(تابع) الآيات الشغرية

الصفحة	الشاعر	المعجز	الصدر
١٢٤	البحتري	وفرس	قازا ما رأيت
١٢٤	د	الدرفس	والمنايا
١٢٤	د	ورس	في اخضرار
١٢٧	أبو نواس	خامس	أقنا بها
(الغناد)			
١٧	أبو الشيص	المقراض	وجناح
٣٢	ابن الرومي	الأرض	وقد نشرت
٣٣	أبو العلاء	أبيض	يطروها
٣٣	أبو العلاء	من بعض	كما ذيال
٥٧	—	لا تنقض	فروح
١١٢	أبو العلاء	ما غرضا	وقد غرضه
١١٢	د	غرضا	جربه
(العين)			
٢٢	ابن بابك	ومسمع	حامه
٢٥	أوس بن حجر	جدعا	وذات هدم
٢٧	الصمة بن عجد الله	أخذعا	تلفت
٤٨	لبيد	ساطح	وما المرء
٥٤	—	وعى	وانما المرء
٥٦	—	الوقائع	وما شاب رأسي
٦٦	الاقشير الاسدي	يسريع	سريع
٦٦	الاقشير الاسدي	يمطيع	حريص
٦٧	البحتري	واعى	شجو
٦٨	اسحاق الحزيمي	أوسع	ولو شئت
٧٣	الفوزدي	المجامع	أولئك آباء

## (تابع) الايات الشعرية

الاصحاح	الشاعر	العجز	الصدر
٩٠	المتنبي	شجعوا	غري
٧٢	هبة بن الطيب	تضرعوا	ان الذين
٨٦	الاقشير الاسدي	يسريع	سريع
١٠٣	أبو ذؤيب الهذلي	مصرع	سجقوا
١٠٩	—	وارتفاع	دنوت
١١٩	البحري	لا ترجع	ما أحسن الايام

## (ف)

١٧	—	الصيارف	تفني يداها
٧٠	عمرو الخورجي	عختلف	نحن بما عندنا
١١١	أبو العتاهية	وعفا	الفقر
١١٣	مساود بن هند	إلاف	زعمتم

## (ق)

٤٧	العباس بن الاحنف	ما رزقا	أنا لم أرزق
٥٨	النضر بن جؤية	منطلق	لا يآلف
٧٤	الراوندي	مرزوقا	كم حافل
٧٤	الراوندي	زنديقا	هذا الذي
٧٧	جعفر بن علبة الحارثي	موتق	هوأي
١٢٣	الشريف الرضي	تخفق	مالوا
١٢٣	حافظ ابراهيم	الأعراق	الأم
١٣٠	زهيد	خلقا	من يلق

## (الكاف)

١٣	تأبط شر	المسالكة	يظل بموماه
١٣	المتنبي	ابتشماكا	وما أرضى
٢٨	أبو تمام	خرقك	يا دهر

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعبر	المصدر
٦٠	—	حصاكا	الحى جبدك
١١٦	الساولى	مالكا	قلبا خشيت
(اللام)			
٦	—	البنخيل	لماذا كان الجراد
١٢	امروء القيس	المتعشكيل	وفرع يزين الماتن
١٢	د	ورسل	غداثه
١٧	النجاشى	فضل	فلست بآتيه
١٨	أبو الفهم	الجزل	الحمد لله
١٩	زهير	والقمل	وأقسمت
٢٠	—	مساول	ليس إلاك
٢٠	امروء القيس	مرسل	غداثه
٢١	امروء القيس	واخل	فاليدوم
٢٢	المتنبى	صل	أقل
٢٢	ديك الجن	للهماني	أحل
٢٣	الحريرى	صبيل	وما ناكح
٢٥	عنترة	فاجهل	ولذا يلبس
٢٥	—	ليبد	ظعنوا
٢٥	امروء القيس	معول	وان شفاى
٢٥	د د	فحومل	قفانبك
٢٧	د د	الفاق	إن لم تنيلوه
٣١	د د	السائل	يطلب
٣١	د د	القائل	يا من رأى
٣١	د د	السائل	حيث على
٣١	د د		

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعجز	الصدر
٣١	امرؤ القيس	شاغل	ولا تلوموا
٣١	"	قابل	أو كنتم
٣١	أبو العتاهية	حاجل	يا إخوتي
٦٦، ٤٧	الأعشى	مهلا	إن محلا
٥٠	—	صقيع	هل الجود
٥٠	أبو تمام	الأول	نقل فؤادك
٥٢	—	المفاصل	لك القلم
١١٢، ٦٥	—	طويل	قال لي
٦٩	البحرئى	مثلا	قد طلبنا
٦٩	ذو الرمة	عالا	ولم أمدح
٧٢	الفرزدق	وأطول	إن الذى
٧٦	الخنساء	الجبال	إذا قبج
٧٧	مروان بن أبي حفصة	أشعل	بنو مطر
٨٠	—	شمالا	إذا ستمت
٨٥	أبو العلاء	سائل	أعندى
١٠١	أبو العلاء	البال	فيا وطنى
١٠٩	—	لم يحل	تمام عيني
١١٢	—	لا تنجلي	زعم العواذل
١١٥	امرؤ القيس	أغوال	أيقننى
١١٥	أبو الصلت الثقفى	محلا	فاشرب
١١٥	امرؤ القيس	المتفضل	بجنت
١١٥	حفص بن حفص المرى	السرامل	متى أرى
١١٦	كعب بن زهير	الاقاويل	لا تأخذنى

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
١١٨	الحجبل	قبال	وأبوك بدر
١١٨	—	ميالا	لا ير مضون
١١٨	—	أبطالا	ويقتلون
١٢٨	امرؤ القيس	بأوجال	وهل ينمن
١٢٩	ربيعة بن مقروم	أنزل	قدعوا
١٣١	الغابغة الذبياني	عاقل	يقول رجال
١٣٢	السمؤل	نقول	ونفسكر
(الميم)			
٨	أبو تمام	استسلام	مستسلم
١١	ابن جعد	شيطم	جلف
١١	د	ليزينم	وما شبرقت
١٣	أبو تمام	مظلم	ولمت
١٧	البحرئ	وأيتم	يشق
١٨	المتنبى	بالصرم	أذاق الغواني
١٨	الهذلي	بالصرم	قد كان صرم
٢٠	حسان بن ثابت	مطعما	ولو أن يجدا
٢٤	—	قلما	فأصبحت
٢٥	زهير	يظلم	ومن لم يند
١٣٣، ٢٦	بشار	دما	إذا ما غصبتنا
٢٦	د	ملها	إذا ما أغرنا
٢٨	عمر بن أبي ربيعة	كالدى	ومن مائى
٣٠	أبو القاسم بن هانيء	مخدم	أصاحت
٣١	د	مخدم	وما ذعرت
٣٣	أبو نواس	شيماء	أيها الراحان
٣٥	حسان	دما	لنا الجففات
٣٥	د	ملها	إذا ما

## (تابع) الايات الشعرية

الصدر	المعجز	الشاعر	الصفحة
وأنت الذى	يلوم	أمامة الخثعمية	٦٠ ، ٤٠
فالى	مستقيم	أبو نواس	٣٤
هذا ابن	العلم	الفوزذق	٦٣ ، ٤٣
أيها الرامحان	شميما	أبو نواس	٤٣
أوكلنا	يتوسم	طريف بن تميم	٥٧
هنا	تدبسا	—	٦٠
وكم ذدت	العظم	البهترى	٦٨
ولقد خرت	اساموا	أبو نواس	٧٢
وبلغت	أنام	أبو نواس	٧٢
هذا أبو الصقر	والسلم	ابن الرومى	٧٣
ولله صغولك	مقدما	حاتم الطائي	٧٣
في طلبات	مغنا	د	٧٤
إذا مارأى	صمما	د	٧٤
ترى رعه	مخذما	د	٧٤
وأحناء	مسوما	د	٧٤
فذلك	مذمما	د	٧٤
قومى	سهمى	الحارث بن وحلة	٧٧
سعدت	الايام	—	٨٣
سلام	السلام	—	٨٤
خيرى جنى	المتنم	—	٩١
ولو دامت	دوام	أبو العلاء	١٠٢
كيف أصبحت	السكريم	—	١٠٤

تابع الايات الشعرية			
الصفحة	الشاعر	المعجز	المصادر
١٠٥	—	المزوحم	الى الملك
١١٣	—	تهيم	وتظن
١١٥	ابن الرومي	وقهظيم	والله يبقيك
١١٦	زهير	لم يحلم	كان فنان العيون
١١٩	زهير	هي	واعلم
١٢٠	عبد الكريم	يلوم	انما الذلفاء
١٢٠	د	تقوم	احسن الناس
١٢٠	د	صروم	اصل
١٢١	زهير	تلم	ومهما يكن
١٢٣	أبو محمد الثقفي	الحاجبا	رايت الخمر
١٢٣	د	نديما	فلا والله
١٢٤	المتنبي	المهرم	أق الزمان
١٢٧	—	لعظيم	أسجنا وقيدا
١٢٧	—	لكريم	ولن امرأ
١٢٩	طرفة	تهمي	فسق مبارك
١٣١	المتنبي	جهنما	وغفوق
( ن )			
٤	المتنبي	الثاني	الرأى
١٧	يزيد بن المفرغ	السكتان	وبرود
٢٨	المتنبي	الدوران	لو الفلك
٣٣	بشار	أحيانا	يا قوم
٣٣	د	ما كانا	قلوا
٤٠	د	وللداني	أنا المرح
٤٧	—	بالإحسان	لن دهر
٤٨	عمرو بن كلثوم	قادرينا	لنا الدنيا
٥٠	—	ما اقتنى	وللفق
٥٩	تأبط شرا	بطان	ألا من مبلغ



(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	العجز	المصدر
٥٩	تأبط شرا	صحصحان	بأنى قد اتيت
٥٩	د د	لى مكاني	فقلت لها
٥٩	د د	يمان	فشدت
٧٠	ابن زيدون	مآقينا	بلىتم
٥٩	د د	وللجران	فأضربها
٨٣	أبو العلاء	دخان	وكالنار
٨٨	هرو بن أذينة	أينا	سليمى
١١٨١٠٧	هدى بن زيد	ومينا	وفددت
١٢٨	امرؤ القيس	بدخان	حملت ردينيا
١٣٢	الشماخ	بالين	إذا ما راية

(الماء)

٨	ابراهيم بن عباس	حببها	قريبة عهد
٨	د د	هبوبها	تمر الصبا
١٢	المتنبى	سويداواتها	إن الكريم
٢٤	الخطوبة	علاها	ومن يطلب
٥٦	—	ذكرناها	أساميا
٦٣	ليل الاخيلية	فشفاها	إذا نزل
٦٣	د د	سفاها	شفاها
٦٥	د د	تراها	أحجاج
٩٨٠٦٥	توبة بن الحمير	لجورها	وقد زحمت
٩٩٠٤٥	عبد الرحمن بن حسان	واصطناعها	ذمت
١٠٠	د د	باعها	أبى لك
١٠٠	د د	أطاعها	إذا هى
١٠٠	الارجاني	عبها	فبت

(تابع) الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	المعجز	المصدر
١٠٩	الأرجاني	ينعماء	والليل
١٠٩	د	أسراه	والنجم
١١١	—	شكة	يفتنيك
١٣٢	بشر بن أبي خازم	مداها	إذا ما المكرمات
١٣٢	د	فاحتواها	والليل وضائق
	(الوار)		
٧٣	—	أهوى	وأخذت
	(الهاء)		
٢٨	أبو حية	التقاضيا	إذا ما تقاضى
٣٢	ابن المعتز	كاليه	كان آذريونها
٣٢	د	فاليه	مداهن
٨٩	المعذل الليثي	المغاليا	هم يفرشون
٥٦	—	حذاريا	ألا فليمت
١٣٠	المتنبي	فانيا	وتحتقر الدنيا

## كتب للبؤاف صدرت عن مكتبة الآداب

- لماذا أنا مسلم ؟
- النظم الفنى فى القرآن
- توجبات نبوية
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة ( ٤ أجزاء )
- المهندون فى الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجرى
- القضايا الكبرى فى الإسلام
- البلاغة العالية
- الميراث فى الشريعة الإسلامية
- للقرآن والحكم الاستعماري
- شرح أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك .
- تجديد علم المنطق فى شرح الخببى على التهذيب
- البكيت بن زيد

## كتب تراث وكتب إسلامية صدرت عن مكتبة الآداب

- الإعراب الكامل لآيات القرآن الكريم د . عبد الجواد الطيب
- نهج البردة لأمر الشعراء أحمد شوقى شرح شيخ الأزهر الشيخ سليم البشرى
- قاموس المصطلحات الإسلامية عبد الرحيم الجمل و د . عبد الحميد شبيحة
- مسند الإمام أبى حنيفة
- وصية الإمام أبى حنيفة
- مختصر صحيح البخارى لابن أبى حمزة الأزدي ، شرح العلامة الشرنوبى
- الصداقة والصديق لأبى حيان التوحيدى
- المصباح فى المعانى والبيان والبدائع لابن الداظم تحقيق د . حسنى عبد الجليل
- نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز لرعاة الطهطاوى

- مختصر الشئال المحمدية للإمام الترمذى
- أهلام النبوة للإمام أبى الحسن البصرى الماوردى
- تفسير المعوذات الثلاث للدكتور عبد الجواد الطليب
- تفسير الفاتحة للإمام محمد عبده
- خصائص على بن أبى طالب للإمام الدسائى
- المسيح عيسى ابن مريم للحافظ ابن كثير
- ألفية ابن مالك فى النحو والصرف
- كيلة ودمنة لابن المقفع
- فضل الكلاب على كثير من لبس الشباب لابن المرزبان
- ديوان ميمون ليلى لأبى بكر الوالى
- الإكسير فى علم التفسير للإمام الطوفى
- شرح التبريزى لقصيدة بانة سعاد تحقيق عبد الرحيم الجبل
- الأدب المفرد للإمام البخارى
- لامية للحرب للشنفرى
- مع القرآن للشيخ الباقورى
- الأنموذج فى النحو للعلامة الزعزعى
- موسوعة عصر سلاطين المماليك وتواجه العلمى والأدبى
- ٨ أجزاء تأليف د . محمود رزق سليم
- رحمة الله للعالمين تأليف محمد حسن عبد الله
- مائة حديث وحديث من أحاديث غاتم المرسلين تأليف محمود خاطر
- عذراء البصرة رابعة العدوية . ابراهيم الإيبارى
- تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ومضارعتهم د . محمد الساداقى
- الشيخ محمد إلياس حياته ومنهجه فى الدعوة . عبد الحاقى يهزادة
- تراث الإسلام زكى محمد حسن وآخرون
- عقيدة المسلم
- روح الإسلام تأليف السيد أمير على
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس تحقيق د . محمد محمد حسين
- البردة للإمام البوصيرى شرح شيخ الأزهر الشيخ الباجورى

## فهرست الكتاب

١٩	الكرامة في السمع	١٩	تقديم للدكتور عبد القادر حسين (ج)
٢٠	الفصاحة في الكلام	١	مقدمة المؤلف
٢٠	ضد التأليف	٣	البلاغة والفصاحة
٢٠	ضد التأليف لا يخل بالفصاحة	٣	وجودهما في سائر اللغات
٢١	لا فصح إلا فيما لا يجيزه النحو أصلاً	٤	أقوال الندماء في معناها
٢١	لحاق عيوب القافية بذلك	٦	ذم البلاغة الساحرة
٢١	تنافر الكلمات	٧	تعريفها
٢٣	التعقيد	٧	تعريف أبي هلال العسكري
٢٣	الخلاف في الألفاظ	٩	تعريف عبد القاهر
٢٤	التعقيد اللفظي	١٠	تعريف الخفاجي
٢٤	التعقيد المعنوي	١١	تعريف السكاكي
٢٦	ابتذال الكلام	١١	تعريف الخطيب
٢٦	الابتذال لا يخل بالفصاحة	١١	الفصاحة في السكامة
٢٧	البلاغة في الكلام	١١	تنافر الحروف
٢٧	تفاوت مقامات الكلام	١٣	الغرابية
٢٨	منزلة المحسنات البديعية في البلاغة	١٣	الغرابية لعدم الالف
	تكلف الاستعارات ونحوها	١٤	الغريب القبيح والحسن
٢٩	تكلف المحسنات	١٥	لا فصح في الغرابية لعدم الإلف
٢٩	مراتب البلاغة	١٦	الغرابية لعدم التخريج
		١٧	غواية التخريج من مخالفة القياس
٣٠	اللفظ والمعنى	١٧	مخالفة القياس
		١٧	ابتذال السكامة
٣٠	رجوع البلاغة إلى اللفظ والمعنى	١٩	لا فصح في ابتذال السكامة

(تابع) فهرس الكتاب

ص	ص
٤١	٣٠
أبواب علم المعاني	من يؤثر اللفظ على المعنى
	٣١
(الباب الأول)	من يؤثر المعنى على اللفظ
٤٢	٣٢
أحوال الاسناد	المعاني المحدثه
٤٢	٣٢
(١) التأكيد	الاستشهاد بمعاني المولدين
٤٢	٣٣
مقام التأكيد	موازنة بين القدماء والمحدثين
٤٢	٣٤
مقامات خالي الذهن	علوم البلاغة
٤٢	إدراك الجاهلين ببعض مسائل
تنزيل غير الخالي منزلة الخالي	٣٤
٤٣	البلاغة
مقام المتردد	٣٤
٤٣	تدوين الجاهل فيما
تنزيل غير المتردد منزلة المتردد	٣٥
٤٤	تدوين ابن المعتز
مقام المنكر	٣٥
٤٤	تدوين قدامة
أدوات التأكيد	٣٦
٤٤	تدوين عبد القاهر
تنزيل غير المنكر منزلة المنكر	٣٦
٤٥	تدوين السكاكي
تنزيل المنكر والمتردد منزلة غيرهما	مجاولته تطبيق أساليب العرب
٤٥	٣٧
مقامات أخرى للتأكيد	على أساليب اليونان
٤٦	٣٧
	إلتكاز ابن الأثير هذه المحاولة
٤٧	٣٧
(٢) القصر	تدوين المتأخرين
٤٧	٣٨
مزايا القصر	(علم المعاني)
٤٨	٣٨
تعريف القصر	تعريف الخطيب
٤٨	الفرق بين موضوعات العلوم الثلاثة
طرق القصر	٣٨
٤٩	تعريف ثان لعلم المعاني
القصر الحقيقي والإضافي	٣٩
٤٩	الفرق بين علم النحو وعلم المعاني
نقد العناية بأقسام القصر	٤٠
٤٩	غفلة السكاكي عن الفرق بينهما
القصر الحقيقي والادعائي	٤١
٤٩	المعنى الأصلي والزائد

(تابع) فهرس الكتاب

ص	ص
٦٢	٥٠
مقامات الذكر	القصر بالاستثناء من النفي
٦٤	٥١
(٢) الحذف	القصر بما
٦٤	٥٢
مزايا الحذف	القصر بالتقدم
٦٤	٥٢
مقامات الحذف	مقامات القصر
٦٧	٥٣
الحذف للسجع من علم البديع	مقام الاستثناء من النفي
٦٧	٥٤
مقامات حذف المفعول	مقام إنما
٦٩	٥٥
(٣) التعريف والتنكير	مقام العطف والتقديم
٦٩	٥٦
مقام التعريف والتنكير	اجتماع أداتي قصر
٧٠	٥٧
مقام الضمائر	الاسناد الاسمي والفعل
٧١	٥٧
مقام العلم	الفرق بينهما عند عبء القاهر
٧١	مقامات الاستمرار التجديدي
مقام الموصول	٥٧
٧٣	في الفعل
مقام اسم الإشارة	مقامات الاستمرار المتصل في
٧٤	الاسم
اسم الإشارة لا يأتي موضع الضمير	٥٨
٧٤	استعمال المضارع في مقام الماضي
مقام التعريف باللام	٥٩
٧٥	استعمال الماضي في مقام المضارع
تعريف الخبر باللام	٥٩
٧٦	(٤) أغراض الاسناد الخبري
تعريف المجتدأ والخبر	٦٠
٧٧	الأغراض الأصلية
مقام التعريف بالاضافة	٦٠
٧٧	الأغراض غير الأصلية
مقامات التنكير	
٨٠	(الباب الثاني)
(٤) التقديم والتأخير	أحوال الطرفين والمتعلقات
٨٠	٦٢
مزايا التقديم	(١) الذكر
٨٠	٦٣
تقسيم التقديم	الذكر ضرب من الاطلاق
٨١	٦٢
مقامات التقديم الذكرى	
٨١	
تقديم الاكثر على الأقل	

(تابع) فهرس الكتاب

ص	ص
٩٢	٨١ تقديم الالعجب فالعجب
٩٣	٨٢ التقديم للترقي
٩٤	٨٢ تقديم الاليق بالسياق
٩٤	٨٣ مقامات التقديم المعنوى
٩٥	٨٣ التقديم للتشويق
٩٥	٨٣ التقديم للتعجيل بالمقصود
٩٦	٨٤ التقديم للاهتمام
٩٦	٨٥ التقديم لدفع زعم خطأ
٩٧	٨٦ التقديم للضرورة
٩٧	٨٦ التقديم للضرورة ليس من البلاغة
٩٨	٨٦ التقديم للتخصيص
٩٩	٨٦ التقديم للمتعين للتخصيص
٩٩	٨٧ اتفاق الشينخين فيه
١٠٠	٨٧ التقديم للمحتمل للتخصيص والتقوية
١٠٠	٨٩ مميزات الاحتمالين
١٠١	إبطال إلحاق نحو زيد عارف
١٠١	٨٩ يفحو هو عرف
١٠٢	٩٠ التقديم في مثل وغيد
١٠٢	٩١ تقديم أداة العموم على الفقى
	٩١ فقد ذكره في هذا العلم
	٩١ التقديم فى الاستفهام
	(٥) التقييد والاطلاق
	إرجاعهما إلى اعتبار التكرار
	والحذف
	٩٢
	١٦٦

﴿ الباب الثالث ﴾

١٠٤	أحوال الجمل
١٠٤	(١) الوصل والفصل
١٠٤	تعريف الوصل والفصل
١٠٤	إبطال إتيانهم فى المفردات ونحوها



( تابع ) فهرس الكتاب

ص	ص
مواضع الایجاز والاطناب	إبطال لإبائهما في غير الواو ١٠٦
١٢١ ومقامتهما	الاختلاف في الخبر والانشاء
١٢٢ أنواع الایجاز	اعتبار نحوى ١٠٦
١٢٢ إيجاز القصر	كمال الاتصال اعتبار نحوى أيضا ١٠٦
١٢٣ إيجاز الحذف	مقامات الوصل ١٠٨
١٢٥ قرينة الحذف	مناسبات خفية ١٠٩
أنواع الاطناب : الايضاح	مقامات الفصل ١١١
١٢٥ بعد الاجام	(٢) فروق الحال ١١٣
١٢٦ ذكر الخاص مع العام	فروق الحال من علم المعاني ١١٣
١٢٧ التكرير	مقامات الربط بالواو والضمير ١١٤
١٢٧ التكرير المعيب	اجل الصالحة للربط بالواو ١١٤
١٢٨ الإيغال	اجل الصالحة للربط بالضمير ١١٤
١٢٨ التذييل	(٣) المساواة والایجاز
١٩٢ التكيل	والاطناب ١١٦
١٣٥ التقيم	الخلاف في تفضيل الایجاز على
١٣٠ الاعتراض	الاطناب ١١٦
١٣١ الاعتراض المعيب	تعريف المساواة ١١٧
١٣٢ الایجاز والاطناب النسبانيان	تعريف الایجاز ١١٧
١٣٣ الاطناب في الحروف	تعريف الاطناب ١١٨
١٣٤ ترجمة المؤلف بقلم ابنه	مقام المساواة ١٢٠
١٣٩ فهرس الآيات القرآنية	مواضع المساواة ١٢٠
» الأحاديث النبوية والحكم ١٤٣	
» الآيات الشعرية ١٤٥	

رقم الإيداع ١٩٩١/١٥٥١

التوقيع الدولي 477-241-022-2 I.S.B.N.



حقوق الطبع محفوظة لمكتبة الآداب (علي حسن)

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

٣٠٠